وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

قصائد الخالدين

شعراء وقصائد من ثقافات العالم



أوراق منسية لم تنشر

للأديب الراحل صدقي إسماعيل

تحرير: عواطف الحفار إسماعيل

٩
دراسات أدبية

قصائد الخالدين

شعراء وقصائد من ثقافات العالم

تصميم الغلاف

أحمد إسماعيل

قصائد الخالدين

شعراء وقصائد من ثقافات العالم

أوراق منسية لم تنشر

للأديب الراحل

صدقي إسماعيل

تحرير: عواطف الحفار إسماعيل

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٢م

قصائد الخالدين : شعراء وقصائد من ثقافات العالم : أوراق منسية لم تنشر للأديب الراحل صدقي إسماعيل / تحرير عواطف الحفار إسماعيل .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢م .- ٢٨٨ص؛ ٢٤ سم.

(دراسات أدبية؛ ٩)

١- ٨٠٨,٨١ س م ق ٢- ٩٢٨ ١ س م ق ٣- العنوان
٤- إسماعيل ٥- الحفار إسماعيل ٦- السلسلة

مكتبة الأسد

دراسات أدبيـة

«٩»

كلمة

مـن الأوراق المنـسية الـتي لم تنـشر، والـتي تركهـا صـدقي إسماعيل، بين أوراق عديدة جداً ، قمت بتنـسيق، وتـدقيق وجمع بعض هذه الأوراق، التي كتبها عن كبار الشعراء العالميين، بحب وشغف، لهؤلاء العظماء، ولقصائدهم، الـتي اختارهـا وترجمهـا بنفسه.....

عواطف الحفار إسماعيل

مدخل

بقلم: أ.د. حسام الخطيب

خلّف الأديب المفكر الراحل صدقي إسماعيل، تراثاً فائقاً من جميع وجوهه في مختلف المجالات المعرفية، ذات الطابع الفكري والأدبي والسياسي والاجتماعي، وكان مجلسه في منزله وفي المنتديات العامة، مثالاً لما يُتوقع من المثقف الملتزم ، والمراهن على القيم القومية والمعرفية والكرامة الإنسانية. وعلى الرغم من تركيزه على الثقافة العربية، فإنه كان ذا نظرة ثاقبة فيما يتعلق بالقيم والأخلاقيات على امتداد الإطار العالمي.

أضف إلى ذلك أنه كان مثالاً للأدب واللطف، وكان غزير الاضطلاع والثقافة، وفي الوقت نفسه كان مناضلاً أبياً ومعتداً بنفسه ومجتمعه وانتمائه العربي، والى حد كبير على امتداد الإطار العالمي والإنساني.

وباختصار كان أنموذجاً للمثقف الملتزم، الذي وهب نفسه لخدمة وطنه ومستقبل أمته العربية.

وبالنسبة لهذا الكتاب يمكن القول إن صدقي حرص حرصاً شديداً على تزويده بأعظم الإنتاج الفكري في العصور الحديثة. ولم ينسَ تزيين الكتاب بعدد لا بأس به من إبداعات الجنس اللطيف، فذكر مثلاً الشاعرة الأمريكية

إميلي ديكسون، والشاعرة الاسبانية جوانا دو اسباج، والشاعرة الفرنسية كونتيس دونواي، وكذلك مدام جيرار دو فيل، بالإضافة إلى البريطانية إميلي برونتي، ومدام دو ستايل، واهتم بوجه خاص بالشاعرات الفرنسيات. ثم إنه خصص في كتابه فصلاً عن جوانب عالمية غير مرددة في الثقافة العربية مثل: الشعر الفنلندي والسويدي وغيرها، وبيّن طبيعة الإبداع الخاص للمرأة ولاسيما في مجالات شعر الحب والحنين وربما التوحد، وحرص أيضاً على تقديم أسماء لم يكن لها بريق في نطاق الثقافة العربية. وانتقى من الإنتاج العالمي ما رأى أنه يناسب احتياجات الثقافة العربية. ولذلك قدّم التفاتة موجزة حول شعراء من إفريقيا ومن آسيا، لم تتح لهم فرصة العالمية ، وهذا فضل يُذكر له. ومن خلال هذه الالتفاتة توصل إلى الروائي الجزائري المعروف «محمد ديب» الذي صور الحياة البائسة في رواياته وفي أشعاره أيضاً.

وقاد حرص المؤلف على تقليدية الثقافة الشعرية العربية إلى أن يتابع الشعر الحديث الملتزم، في أجزاء مختلفة من أوروبا الشرقية، مثل قصائد ميخائيل دودين وغيره من الشعراء السوفيات في حينه، وقد كان لهؤلاء الشعراء الملتزمين تأثير قوي على المجتمعات المعانية وعلى المعذبين في الأرض.

وسوف يلاحظ القارئ أن صدقي لم يشأ أن يقفل موسوعته الأدبية، دون وصلها بأحدث تطورات الشعر المتألق في القرن العشرين، ربما لكي تكتمل الصورة. وكان ختام المسك هو لفت النظر إلى موسيقى الشعر وكأنه يؤكد المرددات الشعرية الفرنسية بوجه خاص، في أواخر القرن العشرين، تلك المرددات التي كانت تنادي بأن الشعر «هو الموسيقى ولا شيء إلا الموسيقى»، كما ترك لنا الجواب معلقاً: هل صحيح أن الشعر هو

الموسيقى ولا شيء إلا الموسيقى؟ أم أن الشعر هو الالتزام بالهدف الإنساني والاجتماعي!.

لقد خلّف صدقي تراثاً ثقافياً صافياً تمثل في إنجازاته الأدبية المختلفة، ومن أبرزها رواية «العصاة» التي تحكي قصة أسرة محمد الحلبية ومن اتصل بها من الأشخاص منذ مطلع القرن العشرين، حتى نهاية النصف الأول منه، كما تابع هذه الأسرة في تطوراتها الاجتماعية والوطنية، ومن خلال هذه المتابعة يمكن للقارئ تصور تطورات الفكر النظري والنظام الاجتماعي آنذاك، كما تعرّج الرواية نسبياً على قضية فلسطين بمهارة وعلى مسائل سياسية ونضالية أخرى[١].

وفي الكتاب الحالي، كما الشأن في كل كتاباته، تتضح تماماً النزعة الإنسانية إلى جانب التفكير الاجتماعي، وريادة صدقي في متابعة ثقافة العصر بصرف النظر عن تباين اللغات والأذواق والمقاصد، على المستوى العالمي. كما نلاحظ بعداً عالمياً وإنسانياً وإحاطة فائقة، بمختلف أشكال وتطورات الثقافة العالمية، من خلال متابعة إبداع الحائزين على جائزة نوبل، إلى أبرز إبداعات المثقفين العالميين العظام على امتداد الكرة الأرضية جغرافياً ، وذلك بروح إنسانية وثقافية واسعة الأفق، ومرة أخرى يتم ذلك من خلال حساسية فنية تذوقية مفعمة بمبدأ الإبداع حيثما وجد.

وأخيراً يحسُن أن نسجل لصدقي جمال لغته المترجمة وصفاءها إلى جانب دقّتها وحُسن انتقائه للنصوص المترجمة، وليس ذلك أمراً سهلاً.

---

(١) للتفصيل راجع :

أ.د. حسام الخطيب: سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٣، ص ص : ١١٠- ١٤٦.

ومما يحمد لصدقي في المجال الحالي التعريج على سيرة الأديبة العربية مي زيادة (١٨٨٦-١٩٤١) ضمن هذه الكوكبة من الروّاد العالميين العظام، لأنها كانت رائدة نسائية في عصرها ومثّلت فلسطين (موطن ولادتها) ولبنان ومصر (ميدان نشاطها) في الإبداع والنَفَس الإنساني الرقيق، وذلك في عصرٍ لم يكن للمرأة فيه نشاط يذكر.

أخيراً أسمح لنفسي أن اعترف أن صدقي في معظم ما كتبه كان يبرهن بالوعي، وإلى حد ما بالسليقة، أن الإبداع الإنساني المنشود هو الجمع بين الحسنين: الجمالية ونصاعة الهدف، وما نظن إلا أنه شخصياً فارسهما المجلّي وحامل الراية.



الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين

Aleksandr Pushkin

١٧٩٩ - ١٨٣٨

ينتمي الشاعر (ألكسندر بوشكين) إلى المدرسة الرومانتيكية، التي تتميز بحرارة الأداء، والروح الغنائية، واللجوء إلى الرمز المثير، في التعبير عن المشاعر،

ولد (بوشكين) في موسكو عام ١٧٩٩، وبدت عليه علائم النبوغ في دراسته وتلقى أفضل دراسة في روسيا، حيث حصل على شهادات كبيرة كانت موضع الاحترام والتقدير، وبدأ بنشر كتاباته وهو في الخامسة عشرة من عمره، ونشر أول قصيدة له وهو في السادسة عشرة، وحصل على منحة للدراسة في كلية العلاقات الخارجيّة في بترسبورغ، وهناك تعرف على الأوساط الأدبية التي رحبت بأعماله الشعرية التي تحمل طابع الثورة والحرية، كما كتب قصائد عن (ألكسندر الأول) وبدأ بكتابة عمله الأدبي الكبير (روسلان ولودميلا).

في عام ١٨٢٠ كانت قصائده الثورية موضع المساءلة من قبل الحاكم في بترسبورغ، مما أدى إلى إرساله إلى المنفى في جنوب روسيا..

وخلال ثلاث سنوات في المنفى كتب (بوشكين) قصائد تحمل عنوان (السجين في القوقاز) ثم روايته الشعرية (أوجين أونيجين).

وعندما قامت ثورة ديسمبر عام ١٨٢٥ كان (بوشكين) في المنفى، وهناك علم أن الثوار قد وجهوا له تهمة التورط من خلال قصائده السياسية، فمزق جميع أوراقه التي قد تكون خطرة على حياته..

وفي عام ١٨٢٦ تم الإفراج عنه وبدأ يبحث عن زوجة جميلة، وفي عام ١٨٣١ عثر على زوجة جميلة اسمها (ناتالي غونشاروفا) بشرط واحد، هو أن يوضح موقفه من الحكومة وكيف سيكون... ونتيجة ذلك تمت الموافقة لبوشكين ليقوم بنشر كتابه (بوريس غودونوف) الذي لم تسمح السلطات بنشره خلال أربع سنوات..

خلال فترة زواجه، واجه (بوشكين) مشاكل عديدة نتيجة تصرف زوجته الجميلة، التي أصبح اسمها (بوشكينا) وعلاقاتها مع أوساط القيصر، والدعوات والحفلات التي قربت بوشكينا من القيصر نفسه - كما أحيطت بالمعجبين الكبار، وقد أرهقت هذه الحياة التي تمارسها الزوجة، كاهل بوشكين، وتراكمت على (بوشكين) الديون الكثيرة، كما أدت تصرفاتها الجنونية إلى دعوته للمبارزة مع أحد المعجبين بزوجته، وقد أدت هذه المبارزة إلى جرحه، ثم وفاته بعد يومين من المبارزة وكان ذلك عام ١٨٣٨.

من أشهر قصائد (بوشكين) قصيدة (إلى سيد كبير) وهي إشارة إلى الثورة الفرنسية. يقول فيها:

- يا للأرض المباركة، والشطآن الآسرة!
حيث ينضج البرتقال ويرتعش الغار
حدّثنا عن النساء هناك،
كيف يوفقن بين الحب والرحمة؟
كيف يلوّحن بالإشارات المناسبة؟
كيف تسقط الرسالة وراء الحواجز؟
كيف يرتجف عاشق في العشرين تحت النافذة؟
ولكن كل شيء تغير الآن...

إنك لترى زلازل العاصفة،

وكيف يسقط عالم بأسره..

كيف يتحالف العقل وعواصف الثورات،

والقانون الذي تبشر به الحرية الرهيبة.

إن رعود مجد جديد قد غيّر العالم..

- ويقول في قصيدة (شجرة في الصحراء):

- في صحراء شحيحة قاحلة ،

وعلى تل جمدته الشمس المحرقة،

تنتصب شجرة وحيدة في الخليقة،

مثل نجمة منذرة،

لقد غرستها الطبيعة في سهولها الظامئة..

في ساعة غضبها الشديد،

وسقت بالسم جذورها

وخضرة أغصانها الشاحبة،

وتسرب السم في نسيج القشور،

قطرات سكبتها حرقة الظهيرة،

وعند المساء تحولت إلى كتل من الصمغ

كثيف وشفاف...

رآها العصفور فنفر من منظرها،
وتجنبها النمر، ودارت بها هبة من الريح
فأحنت كل ما فيها من اخضرار...
غير أن الرياح ذهبت وقد لوثها المرض.
وطاف الندى بأوراقها الغافية
فسقاها هنيهة ومرَّ،

ومن أغصانها تساقط مطر مبيد على أرض محرقة
ولكن إنساناً يحسن الطاعة فعل هذا
أرسلوه إلى الشجرة فذهب دون تردد،
وفي اليوم التالي عاد بالسم، نزع الصمغ القاتل
ومن الأغصان والأوراق الذاوية،
وكان العرق يتصبب من جبينه الشاحب،
في جداول من الصقيع،
حمل الصمغ وتمايل وسقط،
على حصير الخيمة...
العبد المسكين لفظ أنفاسه الأخيرة
عند قدمي أميره الذي لا يقهر،
تناول الأمير السم
وسقى به سهامه الطّيعة
فأصبحت تحمل الدماء لجميع جيرانه في ساحة القتال...

يقول ألكساندربوشكين في قصيدة بعنوان:

(اعتراف)

أحبك - أحبك، وأحترق بنار الغضب على ذاتي بسبب هذا الهاجس،

أجثو عند قدميك وقد تملكني القنوط، لأبوح بهذا الاعتراف المُذل.

أدري مدى هواني،

بلغت من العمر عتيا، آن لي أن أسلم قيادي للحكمة...

ولكن كيف السبيل؟ حبك يتملكني،

هو داءٌ يتزيا بالهوى.

عندما تكونين قربي يغمرني الحزن،

وعندما تبتعدين عني، أتثاءب مللاً من الحياة.

هذا الحب، هذا الجنون، لن يظلا حبيسا روحي،

لا أتوق إلى أكثر من ذلك!

يا ملاكي، عندما أسمع حفيف ثوبك،

صوتك الرقيق،

خطواتك اللطيفة في الردهة - تجتاحني،

ويا للغرابة، مشاعر الاضطراب والارتباك والحيرة.

تقطبين جبينك - أتألم، أشعر بالأسى؛

يشرق وجهك بابتسامة - يتوارى الأسى وراء البهجة؛

أطبع قبلة على يدك، يا حبيبتي،

فأنسى عذاب يومي.

عندما تجلسين للخياطة،
وتسبلين عينيك وتتطاير خصلات شعرك الناعم حول وجهك،
أتأملك بحنان كأنني طفل، يفيض قلبي عشقاً،
وتطوقك نظراتي بهيام.
كيف أصف غيرتي وحنيني ومرارتي وكربي

عندما تذهبين وحيدة لتمشي في صباح كئيب،
أو عندما تمضين الأمسية مع رجل آخر
وتجلسين قربه لتعزفي البيانو،
أو عندما تسافرين إلى أوبوشكا،
أو عندما تمضين يومك صامتة بين الأسى والدموع.
أيلينا، أشفقي علي، ارحميني!

- لا جرأة لي على طلب حبك
فقد أكون غير جدير بالحب
بكل ما يثقل كاهلي من خطايا، كبيرة وصغيرة!
لكنك إذا تظاهرت بالحب، بحب زائف،
فلن يكون من الصعب خداعي،
لسوف أكون سعيداً بخداع نفسي، صدقيني،
هذا إذا استطعت.

قصيدة (الرسالة المحترقة) لبوشكين

وداعاً يا رسالة الحب! وداعاً: ولكن، تلك هي رغبتها.

لكم أجلت! لكم رفضت، بغضب، تدمير مصدر بهجتي الوحيد!..

كفى! آن الأوان. سأحرق ما خطته أنامل الحب الساحر.

هيأت نفسي؛ هذا كل ما تحتاجه روحي الحزينة..

بدأ اللهب الشره يجتاح الرسالة.

.مرت دقيقة!.. اشتعلت الرسالة وتوهجت ،

على وقع آهات الحسرة،

يتلاشى الدخان الخفيف.

والآن غاب شكل الختم الدائري -

بدأ الشمع الأحمر بالغليان.. آه، أيتها العناية الإلهية!

انتهى كل شيء! تلوثت أوراق الرسالة واسودت؛

وفوق الرماد الخفيف بدأ شكلها المألوف

يتحول إلى البياض..

اعتصر الألم قلبي. أيها الرماد الغالي،

قدري الحزين أن تجثم مشاعر السلوى البائسة، التي طالها الدمار

على صدري إلى الأبد..

قصيدة (الحلم)

قبل مدة وجيزة، تراءى لي حلم ساحر،

حلمت بأنني ملك - أتحكم بكنوز العرش؛

ويبدو أنني كنت أسير حبك،

كان قلبي ينبض بالبهجة.

غنيت أنشودة حبي جاثياً أمام ركبتيك البديعتين.

أيتها الأحلام، لماذا لم تطيلي أمد سعادتي إلى الأبد؟

لكن الآلهة لم تحرمني من نعمتها الكاملة:

فأنا لم أفقد سوى مملكة الأحلام.

روحي بكاملها هي صرخة،

وأعمالي هي تفسير لتلك الصرخة.

* * *



الشاعر الفرنسي لويس آراغون

Louis Aragon

١٨٩٧ - ١٩٨٢

يعد الشاعر الكبير (لويس آراغون) مؤسس الحركة السوريالية في الأدب، مع الشاعر (بول ايلوار) و(أندريه بريتون) وغيرهم، فقد عكست هذه الحركة الأفكار الرئيسية للقرن العشرين، وكان آراغون شاعراً وروائياً وناشطاً سياسياً، وناطقاً باسم الحزب الشيوعي. وكانت نظرياته في الرواية والشعر موضع اعتبار وتقدير.

ولد لويس آراغون في أحد أحياء باريس الراقية، ودرس في ثانويتها، ثم تخرج من جامعة باريس عام ١٩١٦ حيث درس الطب، ومارس عمله بالطب خلال الحرب العالمية الأولى.

ثم قدمه صديقه (أندريه بريتون) وهو الشاعر السوريالي، إلى الحركة الدادائية والسوريالية، وفي عام ١٩١٩ أسس مجلة (الأدب) والتفت إلى الشعر، وتحمل مجموعته الأولى اسم (نار الفرح) صدرت عام ١٩٢٠ ،وحملت هذه المجموعة أصداء الأفكار التي تنادي بها الدادائية، بتحطيم القيم والمؤسسات التقليدية.. وكان نجاح (بيكاسو) في هذه الفترة حافزاً لأراغون لتأليف كتابه (بانوراما).. وفي عام ١٩٣٠ زار الاتحاد السوفياتي وكتب مقدمته الشهيرة (الجبهة الحمراء) استوحاها من الشاعر السوفياتي المعروف (ماياكوفسكي).

وهناك تعرف بسيدة من أصل روسي تدعى (إلزا تريوليه) التي أصبحت زوجته لمدة أربعين عاماً، (وقد كان لها أكبر الأثر في كتاباته الأدبية جميعها. وهي كاتبة كبيرة حازت على جائزة (الغونكور) الأدبية الفرنسية.

كتب آراغون أجمل وأرق القصائد من أجل زوجته (إلزا).

من أشهرها قصيدته

(إلى إلزا)

- أول فكرة منها تبعث هواها (الجميل)

إلزا، الفجر يغمغم بارتداد الأمواج في الغدران،
إلزا، إنني أسقط! أين أنا؟.. إنسان كالحصاة الثقيلة،
تجرفه المياه على رمال النهار.

إذن تراجع الموت مرة أخرى،
تاركاً هذا الجسد الذي استرد حياته..
أما زلت أيضاً هذا القلب الذي سفك دمي،
أية قوس على صدغي تشد الكمان،
إلزا، كل شيء يستعيد أنفاسه لكي أبوح لك بالحب،
كل فجر يطل هو ميلاد جديد،
يحملك ملء الحياة إلى شفتي الرصاصية،

إلزا! كل شيء يستعيد أنفاسه لكي يغمغم باسمك.
العالم إلى جانبك يبدأ طفولة جديدة.
يمزق أسمال حلم لم ينطفئ بعد،

وأنا أخرج من الرقاد، أخرج من الغياب.
دون أن أعرف كيف أعتاد،
على أن أفتح عيني كل صباح وأنت قربي،
على أن أعود إليك من صحاري البعيدة...

في أعماق نفسي أسمع أصداء شراييني
أعرف هذا الرعب المفاجئ يملأ جوانحي،
أليس لي إذن إلا أن أعاني وألزم الصمت؟
أليس لي إذن إلا أن أحمل الأسرار دون إيمان...

من أجل هذه الشمس القدسية أتنسم الحياة،
هذا الضياء الذي يلهو على محياك منذ أول يوم،
هذه الشفاه التي عاودها الشحوب القديم،
قد أعرف التمزق في جميع الألوان،
قد أتبعثر، أتحطم، تصدعني آلاف الجراح،
ولكن العذاب جدير بالاحتمال، وإنني أقبل نيره.

لا تحدثيني عن ورد الخريف،
فما أحببت إلا جبهة الطفل النقية،
إن أهدابه لتحتفظ بصبغة الشقائق..
وإنني لأحيا من أجل هذا الربيع العابر تمنحيني إياه،
عندما تسندين رأسك على كتفي المترنحة،
وكل ما في أيار من عطور رائعة..

منك عرفت كل شيء عن الأشياء الإنسانية،
ومن ثم رأيت العالم مثلما تنظرين إلى العالم.
منك تعلمت كل شيء مثلما ينهل ماء الينابيع،
مثلما نطالع في السماء إشراق النجوم البعيدة،
مثلما نقتبس الأغنية التي يترنم بها عابر منشد،

منك تعلمت كل شيء حتى ارتعاشة الحواس،
تعلمت منك كل ما يتعلق بحياتي،
كيف يشرق نهار الظهيرة، وكيف تكون السماء زرقاء،
وكيف السعادة لا تكون قنديلاً في الكهف،
لقد اجتذبت يدي من جحيم العصر،
حيث لا يعرف الإنسان ما معنى الحياة في اثنين

السعادة كلمة مريرة، تظللها الرهبة،
أي وحش حمل إليها قناع الأفكار،
من تحدث عن السعادة ــ فقد أومضت عيناه بالأحزان،
أليست زفرة من أجل ما لا نريد أن يكون،
أليست وتراً محطماً بين أنامل عازف على القيثار،
ومع هذا أقول لك إن السعادة توجد أبداً،
أكثر مما في الأحلام، أكثر مما في الغيوم.
توجد على الأرض..
وها هي ذي أشرعتها المجهولة تلوح...

ما دام لي أن أحس الرعشات،

وأن أشعر بنفحة الحياة،

إلى أن تنذرني بالنهاية،

ما دام الألم يعصمني من الانتحاب،

ما دام لي قلبي وجنوني

وهيكلي العظمي القديم،

ما دمت أحس برودة العرق في جسدي..

ما دامت يدي تمسحه عن جبيني كالملح..

ما دامت عيناي تتبعان الضياء،

ما دامت قدماي الفانيتان تحملاني إلى النافذة،

وعندما يصبح ليلي كابوساً طويلاً،

عندما تدهمني الهموم دون أن تنفرج ولو لحظة واحدة،

فسوف أبقى من أبناء السعادة

سوف أبقى وفياً للحياة،

لأنك في قلبي..

* * *



الشاعر اليوناني نيكوس كازانتزاكي

Nikos Kazantzakis

(١٨٨٣ - ١٩٥٧)

المعروف أن (كازانتزاكي) قد نال شهرته العالمية، بروايته المعروفة، (ألكسيس زوربا) ومجموعة قصائده الرائعة، وروايتيه: (المسيح يصلب من جديد)، و(الحرية أو الموت).. وعلى الرغم من أن (كازانتزاكي) قد تناول في مؤلفاته جميعاً أزمة الإنسان المعاصر في مختلف أبعادها، ولا سيما ما يتناول القيم التي يؤمن بها، وتعلقه بالوطن ونزعاته التحررية، فإنه في كتابه الجديد (الأوديسة) يبدو شاعراً من طراز إنساني كبير، يجمع بين الروح التقليدية في الإخلاص لبلاغة التعبير الشعري الكلاسيكي، وبين أقصى ما يمكن أن تبلغه المعاصرة، في التعبير عن معاناة الوجدان الحديث.. إن كتابه الأوديسة هو قصيدة كبيرة تتألف من ما يقارب ٩٠٠ صفحة. وقد اختار لها هذا العنوان بعد ثمانية وعشرين قرناً من ولادة قصيدة ملحمية مماثلة، كان ينشدها مواطنه (هوميروس).. ولم يتخل (كازانتزاكي) عن روح سلفه القديم في التعبير عن المغامرة الوجدانية للإنسان، خلال تجارب الحياة.

والمعروف أن (كازانتزاكي) بدأ بكتابة هذه القصيدة عام ١٩٢٤ ولم يكتب فيها البيت الأخير إلا عام ١٩٣٨ ويقول:

- لم يكن في تقديري أنني سوف أخضع أربعة عشر عاماً، لإيقاع قصيدة واحدة، تهيمن فيها روح شخص واحد، وجدتُ فيه نموذجاً معاصراً (لأوليس Ulyss) القرن العشرين.. ومع هذا فإنني كنت أجمع كل إيقاعات

القصائد، التي كان يمكن أن أكتبها في تجربة إنسان واحد، يخوض معركة داخلية عميقة الجذور، يمكن أن تعد معاناة لكل إنسان في هذا العصر.

- والمعروف أن (كازانتزاكي) يريد من هذه المعاناة، تطلع الإنسان إلى ما يؤمن به: حقيقة يمكن أن تجسد معنى وجوده. يقول مثلاً في إحدى المقطوعات الشعرية التي يمكن أن تعد تمهيداً لتجربة (أوليس) في (**أوديسة كازانتزاكي**):

- أيها الرفاق! لم أجد على الأرض أبداً، أو في عرض البحار عروساً للمياه،
أشد فقراً وبؤساً، من الأماني الشاحبة، التي يلوّح لنا هذا العصر، بأطيافها الثرثارة.
في كل خطوة، وكل يقظة،
تبدو لي الحكمة الإنسانية، وهي تتقلص وتتحول إلى هذا المزيج الغريب،
من الحلم والتعقل، من النباهة والانسياق في جهالة المجموع..
فلتبق عيوننا أيها الأصدقاء، يقظة،
وليتغلغل بريقها القلق في أبعاد البحر الخادع..
هل نستطيع أن نفعل شيئاً آخر؟
إذا كنا مُطالبين بالبطولة، فذلك يعني أننا ينبغي أن نبلغ مرحلة الكيان البشري الحق، على الأقل...

- إن التجربة الشعرية لدى (كازانتزاكي) هي عنصر أساسي في تجربة الحياة كلها، لدى مثقفي القرن العشرين.. ولا سيما في تساؤلاته المرتبكة، عما يدعوه (أوليس) في قصيدته هذه، مأساة الخروج من كل العصور الماضية، إلى مستقبل إنساني آخر.. إن الشعر في تجربة (كازانتزاكي) هو الحاضر الذي نحياه، ونحن على يقين من أننا ما نزال ضحية الماضي، أو شيء حالم من تطلعات المستقبل...

وتعتبر رواية (كازانتزاكي) (الحرية أو الموت) تصوراً بارعاً للروح القومية الجريئة، التي تجلت في نفوس الشعب اليوناني، في جزيرة كريت، خلال الاحتلال التركي عام ١٨٨٩. وقد صور في هذه الرواية، نموذجاً فريداً

للبطل الشعبي الذي استطاع أن يستقطب مشاعر الشعب ونزعته الأصيلة، **إلى الكفاح من أجل الحرية...**

يقول بطل الرواية:

- تذكرون أيها الأخوة، أن الثورة ليست شيئاً سهلاً، أن الأمر لا يقتصر على أن نثور،
وتزدحم نفوسنا بالحماسة والغضب،
في كل ثورة يجتمع الأحرار تحت سنديانة قديمة،
أو في دير مهجور،
ويتناقشون في شؤون أرضهم المسلوبة،
ولا يهمهم عندئذ، إلا أن يمسحوا العار،
الذي وصمهم به المحتلون الطغاة..

اصغ إلي يا بني، لقد شارفت على المئة عام،
وعرفت أشياء كثيرة من الحياة،
عرفت الحرب، والعمل في الحقول،
وعرفت المسرات والآلام،
وأديت واجبي، كإنسان يريد أن يحيا بشرف،..
ليس في الحياة ما يمكن أن يدعو إلى اليأس،
إن الأمر كله يتعلق بما في القلوب من إيمان،
إن الشعب المؤمن بحريته، لا يؤذيه كثيراً، موت أبطاله،
بل إنه يستمد من موتهم نفس القوة،
التي ينفحونه بها وهم أحياء....
لم ينطفئ على هذه الأرض شيء...
لقد تحولت الشعلة المتقدة إلى شرارات..
شرارات لا نهاية لها، تزيدها الرياح التهاباً ونوراً...

- يقول كازانتزاكي في إحدى رسائله:

- كثيراً ما أقرأ ما يكتبه النقاد عني، في شيء من الاعتداد بالنفس، إن آثاري هي العمود الفقري للأدب، في عصرنا هذا... صحيح أنني أكتب شعراً، وأعبر عن تجارب كثيرة في الحياة، من خلال قصص متعددة، ولكنني ما أزال حتى الآن، أشعر بأنني لست إلا كاتباً.. أي إنسان يستخدم الكلمات، مثلما يستخدم الفلاح محراثه، أو يستخدم الجندي سلاحه... ليس الفن كما يقولون علماً سحرياً، متعالياً، ولاسيما فن الشعر، بل إنه الإنسان في تجربته الوجدانية، يحاول أن يُطلع الآخرين، على شيء من الشقاء الداخلي، الذي يشترك معهم، في البحث عن تعبير واضح له، أو كلمة عزاءٍ من أجله..

ويقول نيكوس كانتزاكي في قصيدة المبادرة:

العلاقة بين الإنسان والإنسان

ما هو واجبنا؟
هو السعي لكي تتفتح زهرة صغيرة
من حمأة الجسد والعقل.
يهوي النجم، لكن ضياءه لا يخبو؛
هكذا هي أيضاً صرخة الحرية.
إيروس[١]؟
وهل ثمة اسم آخر لذلك الدافع الذي
تأسره الفتنة، لحظة يلمح المادة،
ليتوق، من ثم، إلى وسمها بطابعه؟
في كل لحظة من لحظات الأزمة

---

(١) Eros ، إله الحب في الأساطير الإغريقية.

ثمة مجموعة من الرجال
يخاطرون بحياتهم في الصفوف الأولى
ويرفعون رايات الله ليحاربوا،
ليضطلعوا بمسؤولية المعركة بكاملها.

هذا هو عصرنا،
وسواء أكان صالحاً أم طالحاً،
جميلاً أم قبيحاً،
غنياً أم فقيراً ،
لم يكن لنا يد في اختياره.

عليك أن تموت كل يوم.
عليك أن تولد كل يوم.
تبرأ من كل ما هو يومي.
الفضيلة المثلى ليست في كونك حراً،
بل في النضال من أجل الحرية.
لا تتساءل، متظاهراً بالتواضع: «هل سننتصر؟ هل سنهزم؟»
حارب!
أنا واحد من بحارة أوديسيوس(١)
قلبي نار ملتهبة
لكن عقلي يحكمه الحزم و الروية.
روحي بكاملها هي صرخة،
وأعمالي هي تفسير لتلك الصرخة.

* * *

(١) بطل ملحمة الأوديسة Odyssey .



الشاعر النرويجي هنريك إبسن

Henrik Ibsen

١٨٢٨ - ١٩٠٦

على الرغم من المكانة المرموقة التي يحتلها (هنريك إبسن) في تاريخ المسرح العالمي، فإن القضايا الفلسفية التي طرحها في مؤلفاته، ما تزال موضع نقاش وتأمل، بالنسبة للمفكرين في هذا العصر، كما كانت في نهاية القرن الماضي..

و(إبسن) مسرحي مبدع، ولكنه إلى جانب ذلك شاعر، وأحد رجال الفكر القلائل، الذين تركوا أثراً عميقاً في تاريخ الثقافة الحديثة، ويرجع إبداعه المسرحي إلى إقحامه الحياة اليومية، بتفاصيلها ومشاكلها، في الفن المسرحي، وتحطيم التقاليد العريقة التي جعلت المسرح منذ عهد شكسبير، ميداناً لإثارة القضايا الإنسانية العامة، في إطارها المثالي الذي تحيطه مظاهر الأبهة، والمغالاة في معظم الأحيان..

كان (إبسن) أحد ثلاثة، وجهوا الفكر الحديث منذ القرن الماضي، وامتد تأثيرهم إلى جميع الأجيال التالية، وهم (إبسن) و(كارل ماركس) و(نيتشه).. ويتفرد (إبسن) بالأثر العميق الذي تركه في تطور الحياة الاجتماعية، بالنسبة للمجتمعات الحديثة، وذلك لما تركته مسرحياته من تغيرات جذرية في عقلية الناس..

- ومسرحية البطة المتوحشة تفضح الكذب الذي يخضع له الإنسان بدافع غروره وأوهامه، ويبين (إبسن) في هذه المسرحية، الفرق بين نوعين

من المثالية: النوع المخرّب، الذي يجد حب الحقيقة فوق كل اعتبار، دون أن يأبه إلى متناقضات الحياة.

والنوع الآخر هو المثالية الكاذبة التي تصطنع الأفكار العظيمة فراراً من العمل،

ويعتبر إبسن بهذه المسرحية ريبياً إلى أبعد حد، فهو لا يتخذ موقفاً تجاه أي شخص من أشخاص مسرحيته، بل يعرض هذا التصارع في سخرية وجد، دون أن يوجه الجمهور إلى أية فكرة يحرص عليها...

ومن أشهر مسرحيات (إبسن) مسرحية (بيرغنت) الشعرية، يقول في بعض قصائد هذه المسرحية:

قصيدة الصباح

يا لروعةِ الصباح! يأتي مثقلاً بالأماني الذهبية،
والكائنات الوديعة تتحرك في كلِ ركنٍ من الأرض الندية.
بأي سحرٍ عجيب تدفع الطبيعة السمحة كل شعاعٍ من
ضياءِ النهار الطالع!..
كيف نشعر بأننا أقوياء أمام اليوم الوليد؟
لكم نحب الحياة، حين يغمرنا السكون الطليق في هدأة
النسيم البكر!..
إنها البراءة، تمنحنا الشجاعةَ والإيمان والثقة بالنفس،
لأنها تضم جميع الأحياء في أولى ساعات النهار..
أجل!. إنها غبطة القلبِ، حين يرى كلَ كائنٍ مخلصاً لذاته،
في وداعتِه وهدوئه، في ضوضائِه وصراعه الحيوي العنيد..
وها أنا ذا؟ الإنسان بين الجميع، فهل لي أن أكون ما جبلت عليه؟..

وأنا الذي أعرف الزمن كما لم يعرفْه أيُ كائن؟
وأستطيع أن أتلفتَ إلى الوراء بالعديدِ من الذكريات
الغنية الألوان؟..
ألا أستطيع أن أكون ذاتي وأن أعيش بكل جوانحي،
كما تفعل الأزهار، كيف تقطِّر نسغَها الريان في الأوراق الزاهية!

ولكنني تعلمت منذ القديم حكمة الأوائل الغابرين:
ما ينبغي أن تكون إياك، أيها الناظر إلى البعيد،
يا من ترنو إلى الذرى النائية في غمرات السحب الشاهقة،
لقد وجدت لكي تَقهر طبيعتك، لكي تتجاوز الطرقات المعبدة،
لكي تحطم كل سياج شائك، لكي تسمو إلى كل منتظر لم تنله يد إنسان...
ذلك هو القدر الذي يحمل مصير الإنسان: لابد من الارتفاع،
ولكن من ارتفع فقد هوى،
فكيف السبيل إلى أن نجابه هذه العزلة الممتدة إلى
الآفاق البعيدة؟.
لماذا كان كل هذا الفراغ؟ لماذا الامتداد اللانهائي،
ما الذي يتلألأ في البعيد؟.. أهو البحر؟. لا: إنه السراب!
البحر في نهاية الغروب، ونحن أمام طلائع الشرق الجميل..
وماذا تحمل للعيون سلاسل الجنوب المتعرجة في قوافل
الغمام المنحسر؟.
إنها الجبال تسيج الأرض لتمنع عنها عاصفات
الشتاء الغريب..
بعد حين تطرد الرياح من أروقة الشمال كل قتام الغيوم الواعدة..

وتنهمر الأمطار الغزيرة على رمال الصحراء، وتعبث الليالي بذوائب النخيل.

الذي يحرس ركام القرى المبعثرة بين التلال..

فأين تمضي أيها العابث في متاه الزمن؟.. أين أمضي؟.

إن لي بحاري وأمطاري، ومن أعاصيري تهب الرياحُ خالية من الرمال..

أين أمضي بالزوابع العاتية تزأر في دمائي، ويهدر بها كل عصب مختلج؟..

هل أستطيع أن أعبر الحدود؟ أن أرى العواصم المتوهجة بالصخب والضياء؟.

هل أسلك شعاب المحاربين الأشداء، وهم يهرعون لصراع الموت العنيد؟.

يا للعزلة الحزينة، أمام الأماني الجامحة، التي تعصف بالقلب الذي يجهل الارتواء!.

سوف أمضي إلى جميع جهات العالم، لكي أشهد حريات الشعوب!..

سوف أُقاسم الظافرين غنائم المعركة الأخيرة.. ولكن. لا.. لا أريد إلا حصاناً رشيق الحوافر..

ينطلق بي عبر البوادي في صهيل، يقرع صخور الجبال المطلة من البعيد..

سوف تعلمني صهوته الجريئة، كيف أنسى ما كنت، ومن أنا، وماذا سوف أكون...

ولكنه اللحن الجميل ينساب إلي في هدأة الصحراء..

تعالي إلي، أيتها السمراء ذات الخطى الراقصة..

إنها الصحراء، والماء يزدهر بالنجوم، ورياح السموم ترحل إلى الشمال..

إن سكينةَ الليل تنادي همساتِ القيثارة وعزيف الناي العذبة..

لقد آن لنا أن نطأ الرمال الدافئة، بعيداً عن عواصف الخيال، وأشواك الندم..

آن أن نستعيد أيام الطفولة في حنان الربيع العائد...

حين كنت صغيراً كانت لي روح بألف جناح..

وكنت أذهب كل يوم، وقد أغلقت ورائي باباً، ما كان لي أن أعود إليه.

كلَ صباح، كنت أبحث عن حب جديد، وفي المساء أبكي المواعيد الضائعة.

ومن دموعي نسجت شراعاً أصم يمزق صدر الرياح..

لأن الآلام الشابة هي كالأرض المنيعة، لا تعطي ينابيعها الغزيرة إلا من الأغوار..

وحين بلغت الشاطئ، من عرض البحار أو امتداد السراب، أحرقت شراعي، لأن الهواء الطليق لم يترك من دموعي إلا الأخاديد الجافة..

فلنغن فرحة الحياة، لأن الجمال ينتظرنا أبداً على الضفاف المقفرة..

تريدين أن تعرفي ما هي فرحة الحياة؟.. إليك ما تريدين!.

هي أن ننطلق عبر الزمن المنساب في الأخاديد الخفية، دون أن نلوّثَ أقدامَنا، أو نبلل ذيول الثياب..

أن نكون أطفالاً حين نضحك للورد المتفتح، والبلبل الثرثار..

أن نضرب الأرض بخطوات راسخة حين تفيض جوانحنا بعنفوان الشباب..

أن نقطف الثمار قبل أن تسقطها رياح الخريف... قبل أن تتغضن عروق اليدين..

إن النسر المحلق فوق الذرى، يفقد ريشه يوماً بعد يوم، وفي كل عام تهوي في الغابة شجرة عتيقة يابسة الجذور،

والشعر الرمادي الأغبر يتألق على الفودين ببياض الثلج اللامع..

حتى الذكريات تضمحل وتهرب من مخيلة الإنسان الذي استهلكته الحياة..

ولكن خلجة واحدة في القلب، تبعث حياته من جديد...

مثلما تضيء شمعة واحدة، جحافل الظلام الكبيرة..

إنها كلمة وحيدة تتهامس بها الأعصاب، حين يغزوها صقيع الأيام.. فيتنهد الدفء في الدماءِ الصامتة..

كلمة وحيدة ولكنها لا تقال، بل ترتسم في بريق العيون: ساعة اللقاء الأول، وكذلك حين نريد الرحيل..

كتب إبسن مسرحيته (البطة المتوحشة) هذه عام ١٨٨٤، وبقيت طوال هذه الأعوام مغمورة على الرغم من أنها مثلت بنجاح في بعض السنوات، وقد ألفها (إبسن) بعد مسرحية (عدو الشعب) التي عالج فيها مشكلة الكذب والحقيقة في حياة الإنسان.. ويعتبر النقاد مسرحية البطة المتوحشة تتمة لهذه المشكلة..

* * *



الشاعر الإيطالي غابرييل دانونزيو

Gabriele D'Annunzio

١٨٦٣ - ١٩٣٨

نشرت أخيراً آراء الشاعر الإيطالي المعروف (غابرييل دانونزيو) في الحياة والشعر والفن. و كان (دانونزيو) نموذجاً غريباً بين شعراء هذا العصر، فهو مغامر تستهويه أقاصيص الحب والبطولة، وسياسي تعنيه المجازفة، ولكنه قبل هذا كله شاعر له وجهة نظر أصيلة في الشعر، وتجربة عميقة في الحياة. كان (دانونزيو) وثنياً بروحه، فهو يمجد الطبيعة والميول البشرية، التي كان يعتبرها جذور الحياة الإنسانية. وهذه الروح قد أملت معظم أشعار (دانونزيو) الأولى، ولا سيما: (النشيد الجديد) و(انترمتزو) و(أغان بحرية)... ومعظم روايات (دانونزيو) تدور حول أشخاص يتميزون بالعنف حتى الضراوة. فالإنسان في نظره هو حيوان جميل عجيب، جدير بالحب والتصوير، ويهيمن على هذه الروايات طابع الرمزية، التي تهيمن على قصائده ايضاً، ولكن قوة الأشخاص تفرض نفسها على القرّاء. والمعروف أن كثيراً من أشعار (دانونزيو) ومقاطعه الأدبية، تعتبر تراثاً لغوياً في ثقافة بلاده.. ومن أقوى رواياته (ظفر الموت)، و(النار)، وكثيراً ما يقارن النقاد بين ألفاظ (دانونزيو) وموسيقى (فاغنر) بما فيها من روعة. وقد كان كاتب مسرحية من الطراز الأول، (المدينة الميتة)، و(استشهاد سان سيبستيان)، و(الجوكوندا).

كانت مسرحيات (غبريل دانونزيو) بمجموعها، تسجيلاً رمزياً أميناً لمراحل حياته، ولاسيما تجاربه العاطفية...

- يقول في إحدى قصائده:

وهذه الجمرة تضطرم في الأعماق
لا شيء يخمدها، لا شيء
يتساقط عليها ندى الحب الهادئ،
فيتلاشى كموجة من الضباب الأغبر،
في الفضاء الرحيب..

ويقول عن الجوكوندا:

ليس هناك أي سر.. إنها ترمز إلى القلب البشري.. يتوجه أبداً إلى الوضوح والنور...

ولكن المرأة تخلق له عالماً من الأوهام والأساطير، وأنت تعلمين أن الأسطورة لا تروى إلا مرة واحدة،
وتفقد بعد ذلك كل ما فيها من سحر وجمال..
لا أعرف لماذا أتوجه للأسطورة
ثمة نداء بعيد يملأ مسمعي بأصدائه العذبة ويأسر خيالي..
أناشيد جديدة يجب أن تصدح في قلوب الناس
وفي يدي وحدي قيثارها الملهم..
إذا كنت تعرفين الحب حقاً، فدعيني وحيداً في هذا المكان،
يجب أن أخاطب الآخرين بكلمات جديدة،
أسكب في ضمائرهم رحيق العزاء والحنان
أعلمهم كيف يصغون إلى غمغمات النجوم، وهتاف الليل العميق.
الحياة جميلة ممتعة يا اليونورا، ذلك هو الدرس الرائع الذي يلقننا إياه الحب،
ولكم نكون حمقى عندما نجمع الحياة بين هذه الجدران الصامتة.
يجب أن نتوجه بأناشيدها إلى كل مكان...

ويقول دانونزيو:

.. في فمي نداء يجب أن تدوي به الآفاق،

وتردده قلوب البشر.. أبارك الحياة، وأدعو إلى الحرية والحياة الغنية..

حياة البطولة والعنفوان

ألا تذكرين قصيدتي عن الموت...

لقد تلوتها عليك مراراً...

وكما تلاشى في حياتنا كل أمل بالطمأنينة والسلام..

تبدّد خوفي من الموت.. وانقشعت ظلاله الكئيبة،

لا أحب الهدوء.. أريد أن أموت مضطرماً بالأهواء،

وألفظ أنفاسي في قلب الكفاح العنيد،

أريد أن يكون معي أجمل انتصارات الحياة..

بالموت الشجاع يتكامل وجود الإنسان،

فالذي لا يخاف الفناء لا يموت أبداً

والموت يفر أمام الذين يقصدون إليه...

* * *



الشاعر الروسي فلاديمير مايكوفسكي

Vladimir Mayakovski

١٨٩٣ - ١٩٣٠

نشرت أخيراً في باريس رسائل جديدة للشاعر الروسي الكبير فلاديمير مايكوفسي، كانت بينه وبين صديقة مغمورة تدعى (ليلى بريك Lili Briek) تعرف عليها الشاعر في بداية حياته الأدبية، ثم تزوجت برجل اقتصادي وعالم في اللغة هو (اوسيب بريك .Ossip. B).

وقد أشار مايكوفسكي في بعض هذه الرسائل، إلى المناسبات الداخلية لكثير من قصائده ومسرحياته الشعرية ولاسيما قصيدته (**الدوران**) والتي يقول فيها:

- أبي نبيل ومن أصل عريق..
وبشرة يدي رقيقة،
قد يعطيني الشعر الفقر، حتى نهاية أيامي!!
دون أن ألجا إلى الدوران،
بل إنني أكره هذا المصير، بأنفاسي وصوتي،
بخلجات صدري..
بكل شعرة من شعري الذي صلّبه الذعر
بصرير أسناني الموحش، بتغضن جلدي..
بكل ما في أهدابي المشعثة من غضب حانق،

بملايين الملايين من بذور الحياة في جسدي!!!
في الخريف كما في الشتاء، في الربيع كما في الصيف..
في يقظة النهار كما في إغفاءة الليل..
أكره الدوران..

إنه ماضي العبودية المغروس فينا،
إنه جرثومة الهوان المتغلغلة في أعماقنا..
مهما يكن الهدف الذي نسقط من أجله،
فالموت ليس الموت..
فالرهيب أن نبقى دون حب..
من المخيف أن لا نملك الجرأة..
ما دامت هناك قنبلة للعالم كله، ومدية للجميع،
وأنا إلى متى انتظر.. وماذا أريد أيضاً..
قد يتاح لي أن أجد في أعماق طفولتي، عشرة أيام مستساغة.
لقد كنت أبداً من أجل الآخرين،
وهذا ما أردته أبداً...
لا شيء، كما ترون، لا شيء على الإطلاق..
هل أؤمن بما وراء العالم؟ أنها نزهة على سبيل التجربة،
كلمة من السهل أن تقال..
يكفي أن نمد يدنا، وفي الوقت نفسه تنطلق القنبلة،
في دوي الرعد، وتمزق صدر السماء، بعيداً إلى ما وراء العالم.
ولكن ماذا أستطيع أن أفعل، إذا كان لي أن أعرف الإيمان،
في هذا العالم، وهذه الحياة..

وأن استمر على ما أؤمن به، بكل قواي، وبكل ما يمنحني القلب من عنفوان..

ومهما يكن الانتظار طويلاً
فإنني أرى في غاية الوضوح، أرى حتى الهذيان المحموم،
أنه يكفي أن أنجز هذه القافية الشرود
لينقلني الشعر إلى حياة مثقلة بالأعاجيب..
أعليّ أنا أن أطرح الأسئلة؟ هذا أو ذاك
إنني أرى، أراه بجميع التفاصيل،
أراه عبر الأجيال، أراه مرتفعاً في الفضاء،
ماذا أرى؟
الهيكل المتلألئ الذي تتبض فيه جميع معالم الانبعاث،
في حياة البشر..
هو ذا نداء التحرر، منيعاً على كل فساد..
صلباً أمام التمزق..
هو ذا هذا الكيماوي الصامت بجبهته الواسعة،
بجبينه المغضّن أمام تجربة خطيرة..
إنه كتاب يبحث عن كلمة.. كتاب (الأرض جمعاء).

أيها القرن العشرون، لمن أريد الانبعاث؟
هو ذا أنا.. أيها القرن المعاصر،
فلنبحث عن أشد الوجوه تعبيراً،
أهو وجه شاعر؟ لا، ليس في جمال جدير،
لسوف أكتب في أعماق هذه الصفحة،
لا تقلب صفحتك أبداً، بل امنحني الانطلاق،

أسكب الدماء في قلبي حتى تمتلئ جميع الأوردة،
وأغرس الفكر في رأسي الأجوف.
فإنني لم أعش حقاً ما في كياني من حياة أرضية،
لم أستنفد على الأرض نصيبي من الحب..
سوف أفعل مجاناً كل ما يروق لكم،..
لقد كنت فرحاً، ولكن ماذا يجدي الفرح،
إذا كان شقاؤنا دون جدوى..

قريباً يطل عليكم القرن الثلاثون،
وما تزال جراح الهوان تمزق قلوبنا جميعاً،
بل سوف نجد ما قدّر لنا من الحب المبتور،
في العديد من الليالي المتلألئة بالنجوم..
فليكن لي الانبعاث لأنني أنتظره من أجيال..
فلتنحسر هموم الحياة اليومية إلى الأبد
ليكن لي التحرر الذي أريد،
فمن أجله أريد أن أعيش قروناً عديدة،
من أجل أن لا يعود هناك حب مستعبد،
من أجل أن يتكسر زجاج الترف اللماع،
من أجل أن تموت روائح الطعام الشهي...
من أجل أن يرتفع الحب، فيصبح كأنه الكون بأسره،
لئلا يتسول بعد اليوم في ضراعة باكية،
شقاء الهنيهات التي تورد الشيخوخة،
لكي يعود بكل ما فيه إلى الأرض،
عند أول نداء يتردد فيه اسم صديق،

لئلا يضحي بوجوده بعد اليوم،
في هذه الكهوف التي يدعونها المنازل.
لكي يصبح آباؤنا في ظله كل رحابة العالم
وتصبح أمهاتنا كل وفاء الأرض....
إصغ إلي إذن..

إذا ما اشتعلت النجوم،
فذلك لأن هناك كائناً يحتاج إليها،
لأن هناك كائناً ينادي هذه القطرات اللؤلؤية الصغيرة،
هو ذا الكائن إذاً، إنه متعب في قلب عاصفة،
في وسط الظهيرة.
هو ذا ينغمس في ظل الإله الطيب،
ويرتعد لأنه جاء متأخراً...
إنه يبتهل، ومن أجل هذا فهو بحاجة إلى كوكب يرعاه
إنه يقسم.. فلم يعد يستطيع الانتظار أكثر،
ويحتمل الكآبة الشقية في سماء خالية من النجوم..
ولكنه يمضي ممزق الفؤاد.. ويتظاهر بالمكر..
ويهمس لأول من يراه:
حسناً.. الأمر أفضل على كل حال، ألم يذهب بعد هذا الخوف؟
اصغ إلي إذن؟ إذا ما توقدت النجوم،
فذلك لأن هناك من يريدها،
لأنه لابد من أن تشتعل في كل مساء
نجمة واحدة على الأقل،..
نجمة واحدة تحت كل سقف..

ومما يلفت النظر، اهتمام الشاعر (فلاديمير ماياكوفسكي) بالفن السينمائي اهتماماً كبيراً، ومشاركته في تمثيل ثلاثة أفلام، ولكن لم يبق من هذه الأفلام إلا فيلمٌ واحد، أمكن حفظه بشكل كامل.. ويقوم المخرج المعروف في الاتحاد السوفياتي (سيرغي بوتكيفيتش) بإخراج فيلم مكرس للأعمال التي أسماها ماياكوفسكي (أعمالي السينمائية). ويتحدث هذا المخرج فيقول:

- في هذا الفيلم الجديد سيدخل شريط (الفتاة والشقي) كاملاً، وهو الفيلم الذي أخرج عام ١٩١٨ عن سيناريو (لماياكوفسكي) والذي لعب فيه هو نفسُهُ أحد الأدوار الرئيسية. ويقتصر عملي كمخرج أن أتمكن من إبراز وجه مايكوفسكي بكل تفاصيله، إن رؤية وجهه ممتع للغاية، وعلى الرغم من أنه لم يكن ممثلاً محترفاً، إلا أن جاذبيته الشخصية كفنان وإنسان تؤثر على المتفرج تأثيراً قوياً..

- ولد (ماياكوفسكي) عام ١٨٩٣ في قرية بغداتي في جورجيا، وكان أبوه حارس غابة، وبعد وفاة أبيه انتقلت الأسرة إلى موسكو، حيث عاشت في فقر مدقع.. ودخل (ماياكوفسكي) المدرسة، إلا أنه لم يتم تعليمه إذ انضم إلى إحدى الحلقات الثورية، وأخذ يشارك في المظاهرات، فقبض عليه وسجن. ولكنه لم يكتب الشعر، فقد كانت لديه منذ الصغر مواهب فنية في الرسم.. فالتحق بمدرسة للتصوير والنحت، إلا أنه بدأ يكتب الشعر في عام ١٩١٥ فذهب إلى الكاتب الكبير (غوركي) الذي اكتشف فيه فناناً ذا مواهب خارقة..

ويتميز إبداع ماياكوفسكي بتمجيد الأخوة بين الناس، وقدرة الإنسان على تغيير الواقع، وتميزت أشعاره بتجديد الشكل، فقد وجد أن أعرق التقاليد الكلاسيكية، قد أصبحت قاصرة عن استيعاب المحتوى الجديد للعصر..

ثم سافر إلى فرنسا وأمريكا والمكسيك وكوبا، ومن أروع ما كتب في هذه الفترة سلسلة أشعار باريس، وترك (ماياكوفسكي) أثره على المرحلة الأولى في الشعر السوفيتي.

ومن أشهر قصائد (ماياكوفسكي)

قصيدة إلى الثورة

- إليك،
وأنت مشتتة
وقد حفرت فيك المدافع أخاديد،
إليك.
وأنت مذبحة
تقوم بها لغة رديئة،
هي لغة الحراب،
أقدم إليك
كل حماستي،
متسامياً على الإهانات...
أقدم إليك
نغماً رائع الكبرياء
أنت:
أيتها المتوحشة،
أيتها الطفلة.
أيتها البائسة،
أيتها العظيمة...
بأي اسم تريدين أيضاً أن أدعوك ؟
كيف ستدورين في المستقبل
يا ذات الوجهين ؟
أأنت صرح متناسق
يهيمن عليه الانسجام؟

أم كتلة من أنقاض؟
انك لتحرقين ببخورك
العامل اليدوي،
وعامل المناجم،
الذي يحضر كتلة الصخور..
إنّك لتحرقينهم
بكل تقوى،
وتمجدين كل جهد إنساني،
وغداً، غداً
ارفعي بكل خيلاء
معبدك المثقل بالتماثيل الرائعة،
إنك لترسلين البحارة
إلى ملتقى الأنهار،
التي تسقط جميعاً
في بحر واحد،
إنك لتهدرين بجمهور ثمل،
سوف يقول لك المرائون
أيتها الملعونة ثلاث مرات،
أما أنا، أنا الشاعر
فإنني أقول لكِ
أيتها الممجدة المباركة
أربع مرات.

* * *



الشاعر الأمريكي ت. س. اليوت

T. S. Eliot

١٩٦٥ - ١٨٨٨

نوبل ١٩٤٨

تعد قصيدة الأرض الخراب، أهم صفحة أدبية في الشعر المعاصر، وقد اشتهر بها الشاعر المعروف (ت. س. اليوت) Thomas Streams Eliot ولم تكد تنشر خلال الأربعينات، حتى أصبحت مصدر إيحاءٍ لأجيال متعددة من الشعراء المحدثين، بالإضافة إلى أهميتها كوثيقة عن روح العصر. وقد نشرت في معظم لغات العالم، وطبعت مئات المرات بالنص الإنكليزي، وكتبت عنها آلاف الصفحات. وكان الشاعر (إليوت) ينقح فيها باستمرار، ويُعنى بالجزئيات الصغيرة لتعبيرها اللغوي، لأنه أقدم على صياغة كثير من الكلمات الجديدة في أدائها بنوع من تحدي اللغة المعروفة. ومن ثم كانت المخطوطة الأولى لهذه القصيدة ذات أهمية في نظر النقاد والأدباء ومؤرخي الشعر المعاصر.

ومن آخر ما يتناول هذه المخطوطة ما كتب عن تدخل الشاعر العجوز (ايزرا باوند) في نسختها الأولى. والمعروف أن هذا الشاعر كان على صلة (بإليوت)، وقد عملا معاً خلال ر بع قرن، وكان (ايزرا باوند) يؤثر دائماً في التجربة الشعرية (لإليوت).

ويذكر أن (باوند) كان ينقح قصائد (إليوت) دائماً، وقد صحح الكثير من ألفاظ هذه القصيدة.

وقد نشرت الصحف حينها، نبأ عن قصة النص الأصلي، لقصيدة الأرض الخراب، جاء فيه أن أرملة إليوت (فاليري) قد نشرت النص الأصلي، قبل نصف

قرن من طبع النص المعروف، وذكر ذلك خلال حديث أجراه صحفي إنكليزي يدعى (ولسون) مع أرملة (إليوت) أكدت فيه أن الشاعر الكبير بقي طوال حياته تحت كابوس هذه القصيدة، وأنه كان يفكر دائماً بتعديلها كلمة كلمة. وأن حياته القلقة وقسوة المرض عليه في الأعوام الأخيرة، كان يرجع إلى خوفه الشديد من أن يموت، قبل أن ينجزها على النحو الذي يريد، أو قبل أن يكتب أثراً شعرياً يتخطاها، وقد ساعده على شيء من الطمأنينة، أنه تعرف على الفيلسوف (برتراند راسل) غير أنه بقي على اضطرابه العميق...

وتشير (فاليري إليوت) إلى مزاج الشاعر خلال عمله الفني، وتأثير عملية الإبداع في تكوينه، وحياته اليومية، تقول في هذا الصدد:

كان يرى أن حياة الشاعر هي أقل أهمية من شعره، وكل ما كان يعنيه أن لا يعزف الجمهور عن قصائده، وذلك ما يفسر ظهور رسائله المختارة، وهي تضم المعلومات المختلفة عن حياته، على الرغم من أن هذه الحياة لم تكن شيئاً هاماً بالنسبة إليه، بل كان يخشى أن يتحدث عنها الآخرون، فما يعنيه هو الشعر وحده، كثير من الباحثين وطلاب الفلسفة يأتون إلي للحديث عن زوجي، وقلما أقابل أحداً منهم، إلا وأنا أفكر ببناء تاريخي أو لاهوتي، يرجع إلى القرن السابع عشر.

هذه هي الحقيقة، إن (إليوت) كان دائماً بالنسبة لنفسه ولي وللآخرين أزمة أدبية، نستطيع أن نقول إنها أزمة روحية، ولكنها في الحقيقة صورة معقدة لكل ألوان الشقاء الذاتي، من خلاله كنت أعرف أن كلمة الشاعر تعني كل من لا يستطيع التلاؤم مع الآخرين، ومن يخشى أن لا يفهم عمله الشعري، ومن يحلم دائماً بأن يكون هناك شخص على الأقل، في هذا العالم يستطيع فهمه.. حين كان مريضاً كنت أُعنى به على نحو يشعره بأنه عاجز عن الحياة لحظة من دوني، وكم كان فخوراً بأنني كنت أشعره بدوري بأن هذا أقصى ما أريد في حياتي.

والمعروف أن هذا النص الأصلي قد نشر بإشراف (إيزرا باوند).

الأرض الخراب (١٩٢٢):

بأم عيني شاهدت سيبيل معلقة داخل إناء، عندما سألها الصبية: «ماذا تريدين؟» أجابت: «أريد أن أموت»[(١)].

١ - دفن الموتى:

نيسان، الشهر الأقسى بين الشهور

فيه يزهر الليلك من الأرض الميتة،

تمتزج الذكرى بالرغبة،

وتبعث أمطار الربيع الحياة في الجذور الهامدة.

في الشتاء، كان الدفء يسري في أوصالنا

اكتست الأرض بغلالة من الثلج، ثلج بلا ذاكرة،

بضع درنات جافة كانت كافية لتبقي على رمق الحياة.

أخذنا الصيف على حين غرة، أغرق بحيرات (ستارنبير غيرسي)[(٢)] بوابل من المطر؛

توقفنا قليلاً في الرواق، عندما سطعت الشمس، ذهبنا إلى حديقة (هوفغارتن)[(٣)]،

حيث شربنا القهوة وتجاذبنا أطراف الحديث لساعة.

«أنا لست روسية، أنا من ليثوانيا، ألمانية صرفة»[(٤)]

---

(١) سيبيل Sibyl هي شخصية أسطورية يونانية، منحها أبولو Apollo الخلود، لكنها نسيت أن تطلب منه منحها الشباب الدائم فذوى جسدها مع الوقت وتلاشت سلطتها..

(٢) Starnbergersee، بحيرات حول ميونيخ.

(٣) Hofgarten، حديقة في ميونيخ.

(٤) كناية عن الأصل الارستقراطي.

عندما كنا أطفالاً، نقيم في قصر (الأرشيدوق)(١)
قصر ابن عمي، اصطحبني للتزلج، تسرب إلى نفسي الخوف.
قال لي: ماري، ماري، تمسكي بي جيداً. واندفعنا إلى السفح.
هناك في الجبال، أتنشق عبير الحرية.
أقضي الليل في المطالعة، وأيمم شتاءً صوب الجنوب.

هل يمكن للجذور أن ترسخ، وللأغصان أن تنمو
وسط هذا الهراء المروع(٢)؟ يا ابن آدم،
لا يسعك قول شيء، لا يسعك تخمين شيء
كل ما لديك شظايا صور، حيث تلسع الشمس دون رحمة،
حيث الشجرة العجفاء لا توفر لك فيئاً تستظل به، حيث لا يبعث صوت الجدجد الراحة في نفسك،
ولا تسمع خرير الماء في الحجر الأصم.
ثمة فيء في ظل هذه الصخرة الحمراء فقط(٣)،
(تعال وتفيأ ظل هذه الصخرة الحمراء)
ولسوف ترى شيئاً لا يشبه ظلك في الصباح وهو يلهث وراءك،
أو ظلك في المساء وهو ينهض لملاقاتك؛
سوف أريك الخوف كامناً في قبضة من تراب(٤).

---

(١) الأرشيدوق فرديناند، ولي عهد النمسا، الذي كان اغتياله السبب المباشر لاندلاع الحرب العالمية الأولى.
(٢) وحشة العالم المعاصر.
(٣) ورد في سفر أشعيا، الإصحاح الثاني والثلاثون، الآية الثانية: «هو ذا بالعدل يملك ملك ورؤساء بالحق يترأسون ويكون الإنسان كمخبأ من الريح وستارة من السيل كسواقي ماء في مكان يابس كظل صخرة عظيمة في أرض متشققة».
(٤) إشارة إلى طقوس الدفن في الكنيسة الأنجليكانية: «من التراب وإلى التراب...».

«الريح المنعشة تهب
باتجاه الوطن.
يا فتاتي الإيرلندية،
أين تهيمين؟»[١]
«أهديتني زهور الياقوتية أول مرة قبل عام مضى؛
صار اسمي فتاة الياقوتية».
- ولكن، عندما عدنا من الحديقة، متأخرين، كانت ذراعاك مليئتين،
كان شعرك رطباً، خانتني الكلمات، عيناي كستهما غشاوة،
كنت معلقة بين الحياة والموت، خواء يملأ فكري،
أحدق في قلب الضياء، في الصمت.
«البحر يسكنه الفراغ وتغمره الوحشة»[٢].
يا مدينة الأوهام[٣]،
وسط الضباب الرمادي فجر يوم شتائي،
تدفق حشد فوق جسر لندن، حشد كبير،
لم يخطر لي يوماً أن الموت قد حصد هذا العدد الهائل[٤].
تعالت زفرات من هنا وهناك
وثبت كل رجل نظره على قدميه.
تدفق الحشد صاعداً التلة، ومن ثم سار إلى شارع كينغ ويليام،
إلى حيث تعلن كنيسة سانت ماري وولنوث[٥] الوقت،

---

(١) انظر، Tristan und Isold, i, Verses 5-8.
(٢) المصدر السابق، iii, verse 24.
(٣) مدينة لندن.
(٤) إشارة على بيت من الشعر لدانتي في «Inferno iv. 25-27 الجحيم». برأي إيليوت أن حشد المشاة هذا هو تجسيد جديد للجحيم في الحاضر، تجسد للموت في الحياة.
(٥) Saint Mary Wolnoth.

وتضيع الدقة الأخيرة من دقات الساعة التاسعة.
صادفت رجلاً أعرفه، استوقفته منادياً «ستيتسون!
ألم تكن برفقتي على السفن في مايلاي(١)!
هل برعمت الجثة التي غرستها في حديقتك العام الفائت(٢)؟
هل ستزهر هذا العام؟
أم أن موجة الصقيع المفاجئة ضربت المسكبة التي ترقد فيها؟
أبعد الكلب، صديق الإنسان، عن مكان الجثة،
وإلا فسوف ينبش عنها التراب بمخالبه.
«أيها القارئ المنافق! - يا شريكي في الإنسانية - يا أخي!»(٣)

٢ - لعبة الشطرنج:

فوق الأرضية المرمية، توهج العرش الصقيل حيث تربعت(٤)،
كانت الأواني الزجاجية المحمولة على قوائم مزخرفة بعرائش مثقلة بالثمار،
توارى فيها كيوبيد ذهبي يسترق النظر
(آخر يخفي عينيه خلف جناحه)،
تزيد ألق لهيب الشموع المغروسة في الشمعدانات ذات الفروع السبعة
وتعكس الضياء على سطح الطاولة لينسكب فوق بريق جواهرها
المنبعث من العلب الحريرية؛
كانت عطورها الاصطناعية الغريبة ترقد داخل القوارير المفتوحة،
قوارير عاجية وأخرى من الزجاج الملون،

---

(١) Mylae، معركة في الحرب البونية الأولى بين الرومان والقرطاجيين (٢٦٠ق.م.).
(٢) إشارة إلى ديانات الخصب التي يفضي فيها الموت إلى ولادة جديدة.
(٣) بودلير Baudelaire مقدمة «أزهار النشر Fleurs du Mal».
(٤) البيت مقتبس من مسرحية انطوني وكليوباترا.

عطور بلسمية، مساحيق، سوائل معطرة - تغمر الوعي بعبيرها وتعكره وتضلله؛

يتصاعد العبير مع الهواء المندفع من النافذة، لينفخ الروح في اللهب المتطاول للشموع،

ويدفع الدخان إلى ألواح السقف،

باعثاً الحياة في زخارفه.

أعصابي تالفة هذه الليلة. تالفة، نعم. ابق معي.

حدثني. لماذا لا تتكلم مطلقاً؟ تكلم.

بم تفكر؟ ماذا يشغل فكرك؟ ماذا؟

«لا أدري مطلقاً ما يدور بخلدك. بم تفكر».

أعتقد أننا نعيش في زقاق جرذان،

حيث يفقد الموتى عظامهم.

ما تلك الضجة؟

إنها الريح تهب من تحت الباب.

ما تلك الضجة؟ ماذا تفعل الريح؟

قلت لك لا شيء، لا شيء

لا تعرف شيئاً؟ لا ترى شيئاً؟ لا تتذكر شيئاً؟

أتذكر

أن هاتين اللؤلؤتين كانتا يوماً ما عينيه.

هل أنت حي أم لا؟ ألا تدور أية أفكار في رأسك؟

ولكن

آه يا لروعة أغنية «الأسماك الشكسبيرية»[١] -
يا لأناقتها
يا لذكائها
ماذا سأفعل الآن؟ ماذا سأفعل؟
سوف أندفع خارجاً كما أنا، وأسير في الشارع
وشعري مسدل على كتفي. ماذا سنفعل غداً؟
وماذا يقدر لنا أن نفعل؟
الماء الساخن موعده الساعة العاشرة
إذا هطل المطر، سوف نستدعي سيارة مغطاة في الساعة الرابعة.
وسوف نلعب الشطرنج،
نضغط على أعين دون أجفان وننتظر طرقة على الباب.

٣ - ماذا قال الرعد[٢]:

توهج لهب المشاعل الأحمر على الوجوه المغطاة بالعرق
وغلّف البستان[٣] سكون قاتل
بعد معاناة صنوف العذاب في الغرف الحجرية،
وبعد الصراخ والنحيب
والسجن والميدان ورجع
رعد الربيع فوق الجبال النائية[٤]

---

(١) "that Shakespearean Rag" أغنية مبتذلة شاعت عام ١٩١٢.
(٢) ورد في Upanishad أن الرعد، الصوت المقدس، عندما يهدر Da, Da, Da، فهو إنما يقول: «Damyata, Datta, Dayadhvam» (تحكم بانفعالاتك، تصدق، كن رحيماً).
(٣) بستان Gethsemane، حيث ألقي القبض على السيد المسيح.
(٤) الزلزال الذي أعقب صلب السيد المسيح.

هو[١]، من كان حياً أصبح الآن ميتاً
نحن، من كنا أحياء نموت الآن
نافذي الصبر.

هنا لا يوجد ماء، صخور فقط
صخور صماء وطريق مغبر
يتلوى الطريق صاعداً بين الجبال
الجبال الصخرية الجرداء
لو كان هناك ماء، لكنا توقفنا للشرب
وسط الصخور لا يمكن للمرء التوقف أو التفكير،
جف عرقنا، وانغرزت أقدامنا في الرمال،
ليته كان هناك ماء بين الصخور
فم الجبل الأجرد بأسنانه النخرة لا يستطيع البصاق،
هنا لا يستطيع المرء الوقوف ولا الاستلقاء ولا الجلوس،
لا يوجد في الجبال ولا حتى الصمت،
لا يوجد سوى رعد جاف عقيم لا يحمل مطراً،
لا يوجد في الجبال ولا حتى عزلة،
لا يوجد سوى وجوه حمراء كئيبة، يغطي قسماتها الازدراء والغضب،
تطل من خلف أبواب البيوت التي يملأ الطين شقوقها
ليته كان هناك ماء
دون صخور
ليته كان هناك صخور

---

(١) السيد المسيح.

وماء أيضاً

وماء

نبع ماء

بركة وسط الصخور

ليتنا كنا نسمع خرير الماء فقط

لا صوت الزيز

وغناء الأعشاب الجافة

بل صوت خرير الماء المتساقط على الصخور

حيث يغرد طائر السمن المتعبد(١) بين أشجار الصنوبر

درب، درب، درب، درب، درب

ولكن، لا يوجد ماء

من هو الشخص الثالث السائر إلى جانبك أنّى توجهت(٢)؟

عندما أقوم بالعد، لا يوجد سوى أنت وأنا،

ولكن، عندما أنظر إلى الأمام، إلى الدرب الأبيض،

هناك دائماً شخص آخر يسير بجوارك

ينسل متدثراً بعباءة بنية وقد اعتمر القلنسوة،

لا أدري إن كان رجلاً أو امرأة

ولكن من الشخص السائر إلى جانبك؟

---

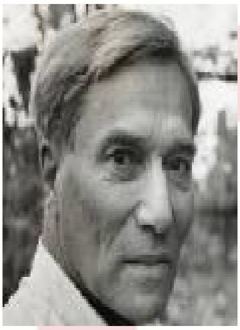
(١) طائر Hermit-thrush، يعيش في مناطق منعزلة، تغريده يشبه صوت تساقط قطرات الماء.

(٢) إشارة إلى مشهد إنجيل لوقا، الإصحاح الرابع والعشرين، حيث يسير المسيح بعد قيامته من الوت مع رجلين مسافرين دون أن يدركا أنه المسيح.وهناك أيضاً إشارة إلى مشهد مشابه في رواية South، بقلم السير إرنست شاكلتون Ernest Shackleton.

ما هذا الصوت الذي يتعالى في الجو
همس نواح الأم
من هم أولئك المحتشدون، الذين اعتمروا القلانس،
المندفعون إلى سهول لا نهاية لها، يتعثرون بالشقوق التي تملأ الأرض،
لا يطوقهم سوى الأفق المسطح،
ما تلك المدينة القابعة فوق الجبال،
شقوق، تشكيلات، انفجارات تملأ الهواء البنفسجي
أبراج تتداعى،
هل هي القدس، أثينا، الإسكندرية،
فيينا، لندن
مدن الأوهام

في هذا الثقب الخرب بين الجبال
في ضوء القمر الشاحب، تغني الأعشاب
فوق القبور المتهدمة المحيطة بالكنيسة
ها هي الكنيسة الخاوية إلا من عويل الرياح.
باب الكنيسة يتأرجح، ولا نوافذ فيها
العظام الجافة لا تستطيع إيذاء أحد.
كان ديك وحيد يقف على السطح
كوكو ريكو   كوكو ريكو،
أومض البرق. هبت عاصفة رطبة،
وهطل المطر

* * *



الشاعر الروسي بوريس باسترناك

Boris Pasternack

١٨٩٠ - ١٩٦٠

نوبل ١٩٥٨

نشرت أخيراً تفاصيل جديدة عن حياة الشاعر الروسي الكبير (بوريس باسترناك)، وعلى الرغم من الضجة الكبرى التي أحدثها هذا الشاعر في الأوساط الأدبية العالمية، إثر منحه جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٨ وموته بعد ذلك بعام فإن الكثير من تفاصيل حياته كان ما يزال غامضاً.

وأهم ما في هذه المعلومات الجديدة، أن أم الشاعر روزا باسترناك، كانت في بداية حياتها من نوابغ الموسيقيين في أوروبا، ففي عام ١٨٧٥ قدمت حفلة موسيقية ناجحة في مدينة أوديسا، وعمرها لم يتجاوز الثامنة. وكانوا يلقبونها بموتسارت الفتاة، وتعرفت خلال ذلك على الموسيقي الكبير (روبنشتاين)، الذي قدمها لجمهور موسكو وسان بطرسبورغ عام ١٨٨١، فكانت معجزة خارقة في الأداء الموسيقي، وكان يرافقها على الكمان، الموسيقي المعروف (بابلو سارازات).. ثم قضت عدة سنوات في فيينا، وعادت إلى مسقط رأسها أوديسا عام ١٨٨٩، حيث تعرفت برسام شاب هو (ليونيد باسترناك) وتزوجته.

واستقر الزوجان في موسكو، وكانت حياتهما نموذجاً للبيئة الفنية المبدعة، وفي ١٠ شباط عام ١٨٩٠ ولد (بوريس) الذي قدر له أن يكون شاعر الحداثة

الأعظم في روسيا. وكان أبوه في ذلك الحين صديقاً حميماً للكاتب المعروف (ليون تولستوي) الذي طلب إليه أن يرسم له مؤلفاته الروائية..

وما تزال المكتبة الوطنية في موسكو تحتفظ بأربع لوحات رائعة من رسوم هذا الأب، وكتب الناقد الإنكليزي المعاصر (ماكس أوسبورن) Osborn، صفحات مسهبة عن أصالة التعبير الفني، في أسلوب (ليونيد باسترناك)، وترجع هذه الأصالة إلى أنه كان أول فنان روسي، حاول أن يمزج بين صوفية الروح السلافية، ودقة الفن الغربي في أوروبا، وقد استهوته المدرسة الانطباعية، فكانت لوحاته تعبيراً شعرياً، عن إحساسه بالطبيعة، والمعروف أن هذا الإحساس المرهف، يتجلى بأغنى أشكاله، في الصور الشعرية التي تبدو في قصائد الابن (بوريس باسترناك). وقد نال الأب شهرة في روسيا، فعين أستاذاً في مدرسة الفنون بموسكو، ولكنه كان يجدد أسلوبه في كل عام... وقد أنجب بعد بوريس ابنتين... وتشير المصادر إلى أنه استقر مع أسرته في أوكسفورد، ولكنه لم يقطع علاقاته بوطنه روسيا.

وقد أسهب النقاد في تحليل رسومه بعد ذلك، ولاحظ بعضهم أنه قد استطاع تطوير الانطباعية، على نحو مبكر. ذلك أنه حافظ في أسلوبه الانطباعي، على الألوان الغامقة، التي توحي شيئاً من الغموض والكآبة العميقة، اللذين يرجعان إلى براعته في توزيع النور، فهو تارة يرسم النور بتضاد الألوان، كما هي الطريقة الكلاسيكية، وتارة يتدرج اللون كما كان يفعل (رامبراندت)..

وعلى الرغم من صداقته الوثيقة لتولستوي، الذي كان يعتبر الفن وسيلة للتوجيه الخلقي، كما أشار في كتابه المعروف (ما هو الفن) فإنه أي (ليونيد) كان من دعاة الفن للفن، وكان يمثل وحده اتجاهاً فريداً بين عدة اتجاهات فنية، يمثلها الواقعيون مثل بيروف Perov وريبين Ripine، وكانا يدعوان إلى الالتزام في الفن..

وقد تأثر (بوريس باسترناك) بأبيه إلى أبعد حد، حتى إنه يقول في إحدى رسائله: (إنني أدين لكم بكل ما في شخصيتي). والواقع أن أثر الأب في عبقرية ابنه، يرجع إلى البيئة الثقافية الحرة، التي أدخله فيها منذ الصغر. فقد تعرف (باسترناك) الشاعر، وما يزال فتى، بجيل من نوابغ الفنانين عن طريق أبيه، كان منهم (راخمانيوف) و(شاليابين) والشاعر (رينه ماريا ريلكه) و(سكريابين) بالإضافة إلى الكاتب العظيم (ليون تولستوي).

نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٨ وتوفي عام ١٩٦٠.

وظهرت (لبوريس باسترناك) أول مجموعة نشرتها له جماعة المستقبليين الروس... وقد تأثر في كتاباته بأفكار الفيلسوف (كانت) وبأشعار (ريلكه) و(ليرمينتوف) أعظم شعراء روسيا. وخلال الحرب العالمية الأولى عمل (باسترناك) في مصنع للمواد الكيماوية، ويقال بأنه استفاد من هذه التجربة في كتابه (دكتور زيفاغو) الذي كتبه بعد عدة سنوات... ولم يكن مثل الكثيرين من أصدقائه وأقربائه، الذين تركوا روسيا ،وكان حريصاً على البقاء في روسيا بعد الثورة، وكان مبهوراً بالأفكار الجديدة والإمكانيات التي أتاحتها الثورة من أجل الحياة.

في عام ١٩١٧ كتب (باسترناك) مجموعة (حياة شقيقتي) ولكنها لم تنشر حينها بسبب أسلوبها، وعندما نشرت بعد أربع سنوات، جعلت من (باسترناك) النموذج الشاب للشعراء في روسيا وغيرت الأسلوب الشعري القديم. في عام ١٩٣٢ كتب عدة قصائد ثورية، بأسلوب يمكن أن تسمح الرقابة في نشره، منها مجموعة شعرية بعنوان (الولادة الثانية).. ثم أخذ يعمل في ترجمة (شكسبير) و(غوته) و(بول فيرلين) وغيرهم، مما جعل الآداب الأجنبية محببة إلى الشعب الروسي...

وعندما كتب روايته الشهيرة (دكتور زيفاغو) لم يستطع نشرها في الاتحاد السوفياتي، وأثناء حكم خروتشوف، فتعهد بنشرها ناشر من أثرياء إيطاليا، اسمه (فلترينيلي) وأصبحت عملاً متميزاً خارج الاتحاد السوفياتي وخارج العالم

الشيوعي.. وكان من نتائج نشر هذه الرواية أنْ طرد (فلترينيلي) من الحزب الشيوعي الإيطالي.. ولم يتسن لأي من النقاد السوفيات قراءة هذه الرواية، وطالبوا بطرد (باسترناك) من الاتحاد السوفياتي، وأصبح القول المأثور الفكاهي في روسيا (أنا لم أقرأ باسترناك ولكني أدينه)...

يقول (بوريس باسترناك) في قصيدة بعنوان

الليلة البيضاء

يبرز في ذاكرتي زمن سحيق،
البيت الموجود في أحد أحياء بترسبورغ،
الابنة المتواضعة للارستقراطية الخجولة،
ولدتِ في كيرسك، لكنكِ تدرسين هناك.

فاتنة أنتِ، -- وكثرٌ هم معجبوك.
أنتِ وأنا هنا وحدنا، في هذه الليلة البيضاء،
نحاول، دون كلل، إيجاد مكان لنا على عتبة نافذتك،
لنشرف على المشهد من الأعلى.

كانت مصابيح الشارع ترتعش لنسمات الصباح الصقيعي،
كفراشات غازية
وكانت كلماتي، بين الهمسات والآهات،
أشبه بالهضاب الهاجعة.
صدفة جمعتنا هنا،
ربط بيننا لغز، وفاء خجول،

وعبر نهر نيفا،...
كانت بترسبورغ تمتد إلى ما لا نهاية.

في تلك الأدغال الكثيفة النائية،
في هذه الليلة الربيعية البيضاء الشاحبة،
أيقظ تغريد العنادل الصاخب
كل الغابات الممتدة أمام الأنظار

كأن أغاني العنادل تتوهج عاطفة،
وفي أعماق الغابة المسحورة،
أيقظ كورس الطيور السحري
مشاعر الهوى والافتتان.
تهادى الليل إلى تلك الغابات،
كهائم حافي القدمين، يتلمس طريقه حول السور،
وخلف الليل، سوى أثر حديث هامس،
آتٍ من عتبة نافذة.

على مسمع من حديثنا،
في المساحات المسيجة داخل الحديقة،
ارتدت شجرات التفاح والتوت، بهدوء،
غلالات نسجها نور الشمس المتوهج.

وعلى جانب الطريق،
اصطفت الأشجار البيضاء، الأشبه بالأشباح،

لتؤدي فروض الاحترام

الليلة البيضاء التي تنسحب وقد شهدت الكثير، الكثير.

١٩٥٣

قصيدة جائزة نوبل

ضاع كل شيء، أنا وحش أسير داخل حظيرة.
خارج الحظيرة، هناك أناس وهناك حرية،
لكن الصيادين جاهزون، ما من سبيل للهروب.

حافة بركة... الغابات تحت جناح الليل
وجذع صنوبر يرتمي عارياً من الأوراق.
أنا محاط من كل طرف، معزول من الجانبين.
فليحدث ما يحدث، لم أعد أكترث لشيء.

هل أنا قاتل، وغد، ولص؟ ما هي الجريمة التي أحاكم بسببها؟
العالم بأسره يصغي، على وشك البكاء،
لكلماتي التي تصف بلادي الجميلة.

إلى الآن، وبعد أن أصبحتُ على حافة القبر،
لم يتزعزع إيماني بأن القدر الرحيم، --
بأن روح الخير
سرعان ما ستقهر الشر والبغضاء.

١٩٥٩

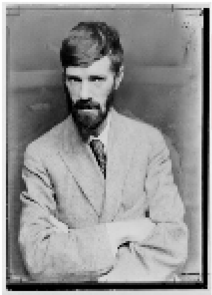
وفي قصيدة اعتراف يقول باسترناك

ها هي الحياة تعود فجأة،
مثلما غابت يوماً دون سبب.
وها أنا أعود للوقوف في هذا الشارع العتيق،
مثلما وقفتُ في ذلك اليوم الصيفي البعيد.

نفس الأشخاص المسنين ونفس القلق القديم،
ضوء شمس الغروب ما زال دافئاً،
مثلما بثته السماء يوماً، على عجل، فوق الجدار الراسخ.

نساء في ثياب قديمة رخيصة،
تهترئ أحذيتهن خلال الليل،
قبل أن يُصلبن فوق حديد الأسطح،
ها هي إحداهن، صورة للكآبة والسأم
شرعت ترتقي الدرج خارجة من قبو المبنى،
لتعبر الفناء بخط مائل،
ها أنا ذا ثانية أخطط لتمثيليتي الإيمائية
ومرة أخرى تبدو التمثيلية تافهة ومملة

* * *



الشاعر الإنكليزي د. هـ. لورانس

D. H. Laurence

١٨٨٥ - ١٩٣٠

يعتبر النقاد أن الكاتب والشاعر والمسرحي والناقد (د. هـــ. لورانس) من أفضل الكتاب الذين يمثلون الحداثة في الأدب... ولد (لورانس) في إنكلترا عام ١٨٨٥ في مدينة آستوود في إنكلترا، وهو الولد الرابع في عائلته، وأمضى طفولته في آستوود، في المنزل الذي ولد فيه، والذي أصبح بعد وفاته عام ١٩٣٠ في فرنسا متحفاً خاصاً له.. كانت دراسته الأولى في مدرسة المدينة، وكان أول من حصل على منحة دراسية في نوتنغهام بمرتبة الشرف، نظراً لتفوقه بالدراسة.. ثم تنقلت عائلته إلى استراليا، ثم إلى ويلز وأخيراً إلى المكسيك، وهناك تعرف بشخصيات أدبية معروفة، مثل ألدوس هكسلي..

خلال هذه الفترة أطلق عليه اسم (د. هـــ. لورانس) بعد أن كان اسمه دافيد، هربرت، ريتشارد س. لورانس.. وكان يكتب بغزارة، على الرغم من سوء صحته، كتب مجموعة كبيرة من القصائد، والمقالات، والروايات من أشهرها (نساء عاشقات)، وتوفي في مصح إثر إصابته بمرض السل. في مدينة فنس بفرنسا عام ١٩٣٠.

من أجمل قصائده، قصيدة:

(صباح على البحر)

أواه!.. يا له من صباح رائع!.. كانت الشمس قد أطلت علينا في البعيد، وارتفعت في رشاقة فوق أفق البحر..

وكان نورها الذهبي المشرق يوشي السماء بذراته؛

كان نوراً مليئاً بالغبطة، وكان لونه الذهبي الأصفر مفعماً بالحرارة..

أما البحر فقد كان لامعاً كصفحة من الزجاج، وقد سكنت الرياح، وانطلقت الأمواج تفور في هدهدات طويلة خفيضة..

وكان الزبد الذي تتركه آثار مسير الزورق في الموج،

شاحباً متجمد الزرقة، في الهواء الأصفر،

صباح عذب جميل، يفيض بالهدوء،

بشمسه البازغة التي تسبح بأنوارها على صفحة البحر؛ وبهذا الزورق الشراعي المرتفع، الذي ينساب بمقدمته المستوية، في هدوء خلال النور...

وفي البعيد البعيد، مركب بخاري يشق الموج، في ذلك الأفق الصباحي الباهر الإشراق...

يا للفجر المشرق! صباح عذب صاف، رحيب في عرض البحر. ذهبي الهواء، لطيف النسمة،

ورعشة البحر الجميلة، سماء بعيدة، بعيدة نائية، صافية صفاء عميقاً، لا سبيل إلى سبر أغواره...

كم يكون المرء سعيداً، لو أنه ينطلق في مثل هذا الصباح، على زورق صغير، في الأفق البعيد..

يا لها من ساعة سعيدة إلهية، أثيرة على قلب الإنسان.. ليت الإنسان يستطيع أن يبحر إلى الأبد، في مركب صغير هادئ.. ينطلق على الموج

وحيداً، من بلد إلى بلد، ومن جزيرة إلى جزيرة.. يسير في البحر من دون هدف،

مندفعاً في أبعاد هذا العالم الرائع.. في أبعاد عالمه هو، ذلك العالم الحبيب وحده،..

عندئذ، يكون من الجميل أن يأتي أحياناً إلى الأرض اليابسة، ليحشر نفسه إلى حين في مظاهرها الغليظة،...

ويكون اهتزازة حية منطلقة على جمود أرضنا الجافة،...

عندئذ تكون الحياة نفسها في انطلاق طائر؛ ستكون اضطراب الفراغ الأبدي،...

وما أجمل رفيف الفراغ الذي لا نهاية له...

ما أجمل أن يكون للمرء جناحان يبتعد فيهما عن العالم، دون أن يعرقل انطلاقه في الأرض معرقل... دون أن يكون كالقرد ذي الأرجل الخشبية المزعجة،

متعلقاً بهذه الأرض المملة، التي لم يعد لديها أي جواب، لنفس الإنسان القلقة...

بل أن يبتعد عن العالم.. أن يكون إلى جانبه ثلاثة من الرفاق الذين لا وطن لهم، ولا أهل،

ولا يعرفون غير التشرد والتجوال من دون هدف أو وطن أو أهل،

ولا يعرفون غير التشرد و التجوال من دون هدف أو غاية...

فينطلق معهم في الفراغ اللانهائي، انطلاقاً أبدياً دائماً ما دامت الحياة..

لم يسعون إلى الرسو في مرفأ؟..

ما من شيء في الأرض يستحق أن يلقي المرء في الشط مراسيه من أجله.. لم يعد في الأرض من جواب للروح الظامئة. لقد أصبحت الأرض يابسة جامدة..

فيا أيتها الآلهة الطيبة!. هبيني مركباً صغيراً، وثلاثة من الرفاق الذين أضاعوا أوطانهم، وفقدوا أهليهم..

أجيبي ندائي، ودعيني أجوب عالمك المشرق القصي هذا، دون مأرب أو هدف...

أسير في عالم خال من الناس،

عالم بعيد مقدس، تتواثب فيه ذرات الفراغ في غبطة أبدية...

وفي قصيدة بعنوان **(في ذلك اليوم) يقول**:

في ذلك اليوم

سوف أضع وروداً على ورود..

لأغمر قبرك بباقات الزهور البيضاء..

لأنك كنت شجاعة، كبريق اللون الأحمر القاني..

وعندما يمر الناس تحت الأشجار،

في طرقات الوادي الظليل،

سوف ترتفع عيونهم ليشاهدوا القبر على التل،

بكل دهشة وانبهار..

يتساءلون عن روعة الجبل وعن الورود المتراكمة

لكي يعرفوا، لمن هو الاحتفال التكريمي،

ولمن تتوهج هذه الألوان البيضاء والحمراء القانية،

ثم سوف يقولون: (لقد ماتت منذ زمن طويل..

فمن يذكرها بعد هذه الأيام العديدة)..

ولكن.. عندما يقفون هناك.. سوف يتذكرون.

كيف كانت مشيتك بينهم في الطريق، بدون أن يراك أحد..

ملكة تائهة في كل المتاهات..

متاهات الأمور الدنيوية،

وسيقولون: كانت ملكة،

نامت دون أن يشعر بها أحد،

على هذه التلة المنسية،

نامت في مكان مجهول، وبسيط

إلى أن أصبح الفجر كل فجر يومي المتمرد.

* * *



الشاعر الفرنسي بول ايلوار

Paul Eluard

١٨٩٥ - ١٩٥٢

يعد (بول ايلوار) من مؤسسي الحركة السوريالية في الأدب مع (لويس آراغون) و(أندريه بريتون) كما إنه من أهم الشعراء الغنائيين في فرنسا في القرن العشرين، إلا أن (ايلوار) بعد فترة، تخلّى عن السوريالية، وانضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وقد عكست أعماله في تلك الفترة جميع الأحداث الهامة مثل الحرب العالمية الثانية، والمقاومة ضد النازية، والمثل العليا السياسية والاجتماعية في القرن العشرين..

ولد (بول ايلوار) في طبقة فقيرة في باريس، كان أبوه أمين مستودع للكتب، وكانت أمه تعمل في مصنع للثياب.. وقد بدأ اهتمام (ايلوار) بالشعر منذ حداثته، وخاصة عندما أرسل إلى مصح في سويسرا لمعالجته من مرض السل.. وعندما عاد إلى فرنسا، انتسب إلى الجيش، وأصيب إصابة بالغة.. فكان ديوانه الأول يحمل الكثير من الحزن والقلق، وحمل عنوان (الواجب والقلق).. وفي عام ١٩١٧ تزوج امرأة روسية اسمها (هيلينا دياكونوفا) وعرفت باسم (غالا)، وقد ألهمته قصائد جميلة صدرت في مجموعة شعرية، أوصلته إلى الشهرة كشاعر كبير..

ثم عمل مع الحركة الدادائية ومع الفنانين المشهورين في عصره مثل (ماكس إرنست).. وفي عام ١٩٢٤ اختفى (ايلوار) بشكل فجائي ودارت الشائعات حول موته، ولكنه عاد بعد سبعة أشهر، قام خلالها برحلة طويلة امتدت من مارسيليا إلى تاهيتي وأندونيسيا.

وقد ترافقت هذه الرحلة مع هروب زوجته (غالا) مع الرسام الشهير (سلفادور دالي) السوريالي، وقاما ببعض الأعمال، ثم ذهبت إلى الفنان (ماكس إرنست) التي رسم لها لوحات شهيرة.. إلا أن (إيلوار) قام عام ١٩٣٢ بطلاق (غالا) التي أنجبت له بنتاً اسمها (سيسيل)..

ومن أشهر قصائد إيلوار

عيونهم صافية أبداً...

إنها أيام الأناة، أيام المطر،
أيام المرايا المحطمة والإبرِ الضائعة،
أيام الأهداب المغلقة على أفق البحار،
والساعات المتشابهة...
أيام الأسر، إن روحي ما تزال تتألق
على الأوراق والأزهار،
روحي عارية كالحب.
لقد نكّس الفجر رأسها، الفجر الذي غمرته بالنسيان،
ومضى في تأمل جسمها الطائع الباهت..
ومع هذا فقد رأيتُ أجمل عيون العالم،
الآلهة الفضية تضم الياقوت في يديها،
آلهة حقيقية، العصافير على الأرض وفي الماء،
رأيتها جميعاً..
إن أجنحتها هي أجنحتي،
ولا شيء يوجد مما يهز شقائي،
إلا طيرانها الطليق
انطلاقة النجوم والضياء،

انطلاقة الأرض والحجر،
وعلى أمواج أجنحتها
تمسك روحي بالحياةِ والموت.

حب الشعر

أيها الحب، ضع شفتيك في سماء كلماتك،
مثل نجم متلألىء.
لكي تمثل رغباتي...
إن قبلاتك في حياة الظلام،
والتفاف ذراعيك حولي
مثل لهيبٍ ينذر بالهجوم،
إن أحلامي في العالم،
مشرقة من الروح..
وحين لا تكون هناك أيها الحب،
أحلم أنني هاجع، أحلم أنني أحلم..
جبهتي على الزجاج كما يفعل سمَّار الأحزان،
والسماء التي تجاوزت ليلها العميق،
والسهول الصغيرة في يدّي المفتوحتين،
في أفقِها المزدوج اللاهي، أفقها العاطل،
جبهتي على الزجاج كما يفعل سمّار الأحزان،
أبحث عنك هناك، أيها الحب،
أبحث عنك في الانتظار،
أبحث عنك وراء ذاتي،

لم أعد أعرف أنني أريدك إلى هذا الحد
فأينا، نحن الاثنين، هو الغائب.

أغمضت عيني لئلا أرى بعد اليوم،
أغمضت عيني لكي أذرف الدموع لأنني لم أعدْ أراكِ.
أين يداك، أنامل الحنان؟
أين عيناك، كل ما في النهار من إرادة؟
كل شيءٍ منك إلى ضياع
وأنت نفسك تمضي أيضاً،
لكي تُبهري ذاكرة الليالي..
كل شيءٍ إلى ضياع، ولكنني أرى نفسي في قلب الحياة،
من أجل الصمّ والبكم والعميان
من أجل الصخرةِ الكبيرة على الكواهل،
من أجل اختفاء العالم دون أسرار.
ولكن من أجل الآخرين أيضاً، إذا أسمينا الأشياء بأسمائها،
من أجل الحرقة في جميعِ التغيّرات المفاجئة،
من أجل السلسلة المتعاقبة من إشراقات الصباح،
من أجل كل صراخٍ يتحفز لتحطيمِ الكلمات،
ويحفر الأفواه ويحدد العيون
حين تعبث الألوان الخانقة، بضبابِ الانتظار،
ويقف في وجه الحياة،
يحلم به الموتى ويتقاسمه الأشقياء،
والآخرون عبيد الحب،
وهم يستطيعون أن يكونوا عبيد الحرية.

من كل ما قلت

ماذا بقي من كل ما قلت لنفسي..
لقد احتفظت بالكنوز الزائفة، في خزائن خالية
إنَّ سفينةً لا تُجدي، قد ضمت طفولتي إلى سأمي،
وألعابي إلى التعب.
وأعطت أوهامي رحلة بعيدة،
وأعطت العاصفة إلى كوة الليالي
حيث كنت وحيداً.
وأعطت أحلاماً للغائبين
ومدت يدها إلي، لتشبك يدي
فحييتها بابتسامة.
إننا لا نفكر بالجهالة، حين الجهالة تسود،
لقد نسجت الآمالَ حول كل شيء،
ومن كل شيء يئست...
من الحياة، من الحب،
من النسيان والرقاد،
من القوة والضعف،
لم يعودوا يعرفونني الآن
فاسمي وظلي عند ذئابِ الغابات...

العيون الخصبة

لا تستطيعين أن تعرفيني،
وخيرٌ لك أن تعرفيني
عيناك اللتان نهجع فيهما معاً،
أتاحتا للضياءِ البشري الذي يغمرني،
مصيراً أفضل من مصير كل ليالي العالم،
عيناكِ اللتان أُسافر فيهما بعيداً،
منحتا إشارات الدروب،
منحىً منفصلاً عن الأرض،
والذين أزاحوا عنا نقاب العزلة اللانهائية،
في عينيك البعيدتين،
لم يعودوا ما توهموا أنهم كائنون،
لا أستطيع أن أعرفك،
والأفضل لي أن أعرفك، كما أنت...

تنهضين..

إنك تنهضين فيتجمع الماء،
وتستسلمين للرقاد فالماء يزدهر،
إنك الماء ينطلق من أغوارهِ السحيقة،
إنك الأرض تمدُّ جذورها العميقة،
وكل شيءٍ يتمكن فيها..

إنك حُباب الصمت في صحراء الضجيج،
وتُنشدين التراتيل الليلية على
أوتارٍ من قوس قزح،
إنكِ في كل مكان، تزرعين كل طريق
تضحّين بالزمن،
من أجلِ الشبابِ الأبدي، ينسجه اللهيب الصريح،
اللهيب الذي يحجب الطبيعة حين يصنعها،
أيتها المرأة، إنك تلدين جسماً يشبهك
أبداً،
لأنك أنت التشابهُ بحد ذاته..

ويقول بول ايلوار: في قصيدة بعنوان:

أحــبــك

أحبك من أجل جميع نساء العالم،
اللواتي لم أتعرف إليهن،
أحبك من أجل كل زمن لم أعِشهُ،
من أجل عطر جميل، ورائحة الخبز الساخن،
من أجل الثلوج التي تغمر براعم الورد،
وتغمر الحيوانات أيضاً، التي لا يخافها الإنسان..

أحبك لكي أحب،
أحبك من أجل نساء العالم،

اللواتي لم أعشقهن...
وإذا لم يكن تأثيرك علي عميقاً يغمرني،
فأنا لا أرى نفسي أمامك إلا صغيراً،
بدونك لا أرى شيئاً،
قد أرى صحراء ممتدة بين ما كان، وبين اليوم،
لقد كان علي أن أتعلم الحياة كلمة كلمة،
مثلما ننسى كلمة كلمة..

أحبك من أجل حكمتك التي لا أتصف بها،
أحبك ضد كل ضلال،
من أجل القلب الخالد، الذي لا أنتمي إليه
كنت تعتقدين بأنك الشك.
وأنت لست في الحقيقة إلا كل العقل..
أنت الشمس العظيمة التي تخيم فوق رأسي،
وعندها أكون واثقاً من نفسي،
عندها أكون واثقاً من نفسي.

*   *   *



الشاعر الأمريكي ادغار ألن بو

Edgar Allan Poe

١٨٠٩ - ١٨٤٩

نشرت العالمة النفسية (ماري بونابرت) وهي إحدى تلميذات (فرويد)، دراسة تحليلية عن الشاعر الأمريكي (ادغار ألن بو) وقد طبقت هذه العالمة طرق التحليل النفسي التي وضعها (فرويد) لفهم الجوانب الخفية من الحياة الغريبة، التي عاشها هذا الأديب الكبير، وأعطى خلالها نتاجاً فنياً زاخراً بالإبداع.

وتقوم هذه الدراسة على تحليل نفسي عميق لطفولة الشاعر، و كان (فرويد) يرى في تجارب الطفولة البعيدة، المصدر الأول لتكوّن شخصية الإنسان، فالروح القلقة العنيفة التي تتجلى في حياة (بو) وفنه، ترجع إلى السنوات الأولى التي عرف خلالها أحداثاً جسيمة، فقد اختفى أبوه قبل أن يتجاوز العام الأول من عمره، ولا يعرف هل مات، أم هجر المنزل، أم رحل من دون عودة.. وماتت أمه بعد ذلك قبل أن يبلغ الثلاثة أعوام، وقد شهد موت أمه، ولذلك فإن صورة الموت بقيت تطارده طوال حياته.

والعقدة الثانية التي تركت أثراً كبيراً في حياة (بو) هي موقفه النفسي من المرأة، التي تبنته بعد موت أمه. فقد كان (بو) يعرف أنها ليست أمه الحقيقية، ولذلك فإنه لم يحجم عن النظر إليها كامرأة، عندما بدأ يعي، ومن ثم نشأ في نفسه صراع داخلي هو ما يسميه التحليل النفسي: الشعور بالخطيئة، ولم يتحرر (بو) من هذا الشعور، إلا عندما تزوج ابنة عمه الصغيرة (لورا)،

ولكن الموت خطفها منه بعد فترة قصيرة، فكانت هذه الكارثة بداية الحياة البوهيمية القلقة، التي اختارها لنفسه: الخمر والأفيون وأوهام الجريمة والهلع... وأقاصيصه تنم عن هذه الروح، فهو مبتكر الرواية البوليسية في الأدب الحديث، كما إنه كان أول من كتب ما يسمونه قصص الرعب.. ويرى التحليل النفسي أن عناية (بو) بالتفاصيل في قصصه هذه، إنما ترجع إلى يقظة ماضية، بكل ما فيه من دقائق، وأجزاء صغيرة.. فهو يكثر من وصف الدم لأنه شهد أمه، وزوجته، تموتان وهما تبصقان دماً.. ويسهب في وصف الأجواء الصامتة، كالغرف الخالية والطرق المقفرة، والسهول الجرد، كإشارة إلى سكون الموت، الذي هيمن على نفسه منذ الصغر، أما الحساسية المرهفة التي يصف بها الأشياء، فهي وحدها ترجع إلى عبقريته الفنية..

والمعروف أن (ادغار ألن بو Poe) كان يُعنى إلى جانب هذا كله، بالعبارة، فللكلمات في قصائده وأقاصيصه دورٌ هام، في إيحاء الجو الذي يعبر عن تجربته، وقد كان ذا موهبةٍ فذة في استخدام الجرس الموسيقي في شعره، ولا ريب أن هذه الموهبة تتجاوز حدود التحليل النفسي الذي يرى في حياة الشاعر وآثاره مظهراً للمرض والاضطراب.

يقول (ادغار آلن بو) في قصيدة بعنوان:

(الوحيد)

مختلفاً كنت منذ طفولتي؛
مختلفة كانت رؤيتي،
مختلفاً كان منبع سعادتي.
مختلفاً كان منشأ أحزاني؛
لحنٌ مختلف كان يُرقصني طرباً؛

كلٌّ ما أحببته، كان لا يعني سواي.
في طفولتي، في فجر حياتي الصاخبة،
نشأ اللغز الذي لف كياني، وما يزال:
من السيل الغزير، أو الينبوع،
من الجرف الجبلي الأحمر،
من الشمس وهي تدور حولي
بنورها الذهبي كأوراق الخريف،
من برق السماء المندفع أمام ناظري،
من الرعد والعاصفة،
من الغيمة، لحظة تتراءى لي بشكل شيطان
(في فسحة السماء الزرقاء الصافية).

*   *   *



الشاعر البلجيكي موريس ماترلنيك

Maurice Maeterlinck

١٨٦٢ - ١٩٤٩

نوبل ١٩١١

تحتفل الأوساط الأدبية في أوروبا بذكرى الشاعر البلجيكي المعروف موريس ماترلنيك الحائز على جائزة نوبل للآداب لعام ١٩١١. وقد قامت دور النشر العالمية بطبع المجموعة الكاملة لمؤلفات هذا الأديب، الذي كان خلال حياته أبرز شاعر أوروبي حديث. وقد أضيفت إلى مؤلفاته المعروفة، صفحات لم تنشر حتى الآن، وجدت بين مخطوطاته، منها مسرحيتان كتبهما الشاعر في أسبانيا، بين ١٩٤٠-١٩٤٥ وهما الأب سيتوبال Setubal، والقضاة الثلاثة..

ولد ماترلينك عام ١٨٦٢ في مدينة غاند ببلجيكا في أسرة متوسطة وكان ميالاً إلى الشعر منذ سنوات دراسته الأولى، وبدأ الكتابة قبل أن يبلغ العشرين. ولكنه لم ينشر شيئاً إلا بعد الخامسة والعشرين، وذلك عندما جاء إلى باريس في عام ١٨٨٧ واتصل فيها بالحركة الأدبية، التي كانت مسرحاً للصراع بين الاتجاهين المعروفين: النزعة الطبيعية، والنزعة الرمزية.

وقد لفت إليه الأنظار عندما نشر ديوانه الأول (ضمّات حارة) وهو مجموعة من القصائد العاطفية، تسجل انطباع الأشياء الخارجية على النفس، وقد مزج فيها بين الواقعية والرمزية..

يقول في إحدى قصائده:

أترقب، أناملك الصافية،

تمر على جبهتي.. شبيهة بملائكة من البلور

أترقب أن تحمل إلي السلسلة الذهبية،

أترقب رطوبتها الندية على وجهي

كما ينتظر الإنسان كنزاً في أعماق المياه..

- وقضى في باريس ستة شهور، سئم خلالها من ضوضاء المدينة الكبيرة، فاعتزل في قرية صغيرة ببلجيكا، منصرفاً إلى زرع الأزهار وتربية النحل، وكتب فيها أولى مسرحياته الأميرة مالين Maleine، وهي مأساة غامضة يهيمن على حياة أبطالها نوع من الحيرة والكآبة. وقد رمز (ماترلينك) بهذه الحيرة إلى موقف الإنسان أمام القدر، فثمة تساؤل يعيش في قلوب البشر ويبعث فيها الهم العميق: ماذا ينتظرنا في المستقبل؟ وماذا نستطيع؟ وقد صور (ماترلينك) هذا التساؤل في شيء من الرمز هو ساعي البريد، الذي يطرق على الباب في كل مشهد، ويحمل رسالة مغلقة، تعكر صفو المشهد، وبذلك أدخل (ماترلينك) أسلوب الرمز إلى المسرح الحديث..

ولم تمض فترة وجيزة حتى نشر (ماترلينك) مسرحيته الشعرية العالمية بيلياس ومليزاند Pelleas Melisanda وهي توضيح لفكرته الأولى، فالقدر يحسر النقاب عن وجهه أمام الإنسان، فإذا هو الغموض..

فبطل المسرحية هو الملك الأعمى آركل Arkel. رمز للإنسان القوي، الذي يستطيع كل شيء، إلا أن يعرف الغيب.. يقول:

لو كنتُ إلهاً،

لأشفقت على قلوب البشر،

القلوب التي تنفعل، دون أن تجد الطريق...

- وقد قدر لهذه المسرحية أن تصبح أوبرا عالمية عندما وضع لها الموسيقي كلود ديبوسي، الموسيقى وأبدع بها الأوبرا الانطباعية.

وفي عام ١٨٩٥ تعرف (ماترلينك) بالمغنية الفرنسية جورجيت لوبلان، وكانت ألمع نجم في الغناء الأوروبي، فأحبها وقالت عنه..

إنه الرجل الوحيد الذي أستطيع أن أحبه..

وعاشا معاً مدة طويلة. وكانت المغنية لوبلان قد تزوجت رجلاً إسبانياً في سن مبكرة، ولم تستطع الطلاق منه، فهجرته. و كانت تدعو نفسها جورجيت لوبلان ماترلينك. وقد كتب لها (ماترلينك) عدة قصائد ونظم لها مسرحية شعرية رمزية هي **مونا فانا Monna Vanna**.

أنت جميلة رائعة،

كالقدر الساحر

الذي يتسرب إلى المأساة،

في خطوات ملاك،

فتصبح المأساة الدامية.. قصيدة من السعادة والحب...

وتعاقبت مؤلفات (ماترلينك) في ظل هذا الحب الجميل، فنشر كتابيه: (كنز المتواضعين) و(الحكمة والقدر). ثم أصدر مسرحية رمزية عرفت بين روائع آثاره هي (الطائر الأزرق).

والطائر الأزرق هو رمز لسعادة الإنسان، السعادة التي لم تحلق دائماً في أجواء بعيدة، ولكننا نستطيع أن نغريها بالهبوط على حياتنا، عندما تكون لدينا أزهار جميلة وأنغام ساحرة..

عندما تتبعك عيناي،

أحس بالحنين إلى الأفق البعيد..

عندما تتردد همساتك الدافئة،

تضيء الحكمة في أعماقي...

يجب أن نحاول الحياة،

عندما يحيط بنا الغموض

وعندما نتعثر بالألغاز الحائرة

يجب أن نجعل الإشارة، كلمة، والكلمة، لقاء حب...

واستمرت حياة (ماترلينك) هادئة مفعمة بالعاطفة الحارة والشعر. كانت أشبه بحديقة منعزلة، تعطي الثمار في كل موسم، دون أن تعلن عن نفسها.. وكانت أروع مؤلفاته في سن الشيخوخة، مجموعة جديدة من القصائد الرمزية، اشتهرت منها قصيدته المعروفة **(وإذا ما عاد يوماً)**.

وهذه الأغنية عرفتها جميع شعوب العالم.

وفي هذه القصائد بدأ يشير إلى سكينة الموت، برموز غريبة كالشمعة المطفأة، والفم العاجز عن الكلام. يقول

يقولون في البعيد جبل من الرعب،

جبل يسد الأفق.. كلما اقتربوا منه

تضمحل سفوحه وتتبسط...

ذلك ما يقولون..

جبل شامخ لا تجده.. حين تصل إليه...

ومن أشهر قصائد الشاعر موريس مترلينك قصيدة **صلاة**. يقول فيها:

نفسي خائفة كأنها امرأة،
فانظر يا رب، ماذا فعلت،
بيدي نسجت زنابق روحي،
ومن عيني ترامت سماوات قلبي،
فلتكن رحيماً بمأساتي..
لقد فقدت الإكليل والخاتم،
فارأف بصلواتي
إنها زهرات واهنة في كأس من الماء،
كن رحيماً بآلام الشقاء
بالحسرات التي اصعدها من الأعماق،
وازرع الزنابق طوال ما أعاني من الاضطراب،
مثلما تغرس الورود على الغدران.

- **وفي قصيدته الخائن يقول**:

وإذا ما عاد يوماً
ماذا ينبغي أن أقول له؟
- قولي له انني انتظرته
حتى آخر الأنفاس،
وإذا ما ألح في السؤال
دون أن يعرفني؟
- كلميه مثل شقيقه،

فقد يعرف شيئاً من العذاب،
وإذا سألني أين أنت؟
بماذا أجيب؟
- أعطيه خاتمي الذهبي،
دون أن تجيبيه بكلمة...
وإذا أراد أن يعرف
لماذا الغرفة خالية؟
- أريه المصباح الخامد
والباب المفتوح
وإذا سألني المزيد
عن الساعة الأخيرة؟
- قولي له انني ابتسمت.
مخافة أن يبكي...

وفي قصيدته رغبات الخريف يقول:

أبكي الشفاه الذابلة
حيث القبلات لم تبصر النور،
أبكي الرغبات المهجورة
في حصاد الأحزان،
أبداً تنهمر الأمطار في عرض الآفاق،
والثلوج أبداً تغمر رمال الشطئان،
وعلى العتبة المغلقة في باب أحلامي

ذئاب تختبئ في الأدغال،
تراقب في نفسي المتعبة
عيني اللتين أذبلهما الماضي...
تراقب كل الدماء التي أريقت في القديم،
من الحملان الصريعة على الجليد...
وأخيراً يشرق القمر وحيداً
بأحزانه الرتيبة،
ويدب الصقيع في أعشاب الخريف،
والجوع ينهش رغباتي المريضة...

وفي قصيدته أغنية يقول:

جاءوا يقولون لي
لكم أشعر بالخوف يا بني،
جاءوا يقولون لي
إنه على أهبة الرحيل،
أشعلت مصباحي
وأنا خائفة يا بني،
أشعلت مصباحي
وأصبحت منه قريبة
عند أول باب
شعرت بالخوف يا بني،
عند أول باب
ارتجف ضوء المصباح،

وفي الباب الثاني
كنت خائفة يا بني؛
في الباب الثاني
غمغم الضوء بالكلام،
وعند الباب الثالث،
وأنا خائفة يا بني،
عند الباب الثالث
همد الضوء ومات..

وفي عام ١٩٤١ قام (مترلينك) برحلة إلى أمريكا، وكان شيخاً متهدماً، وكان الأمريكيون قد دعوه - بسبب كتابه المشهور حياة النحل - ومنذ أن وطأت قدماه نيويورك قال كلمته المشهورة..

(لو كنت إلهاً لخجلت، لأنني خلقت الإنسان).

فقد بدت له حياة الصناعة الصاخبة، لعنة على الشعر والجمال، وعاد إلى أوروبا، حيث نال جائزة نوبل للآداب لعام ١٩١١.

ومات ماترلينك في عام ١٩٤٩ وهو في السابعة والثمانين من عمره، وغاب بموته، أكبر شاعر رمزي عرفه العصر الحديث...

* * *



الشاعر الإنكليزي روبرت براونينغ

Robert Browning

١٨١٢ - ١٨٨٩

لم يكن الشاعر الإنكليزي (روبرت براونينغ) شاعر الحب، بل كان يكتب الشعر التاريخي، وبعض الشعر التجريبي، في أسلوب درامي حواري، ولكنه عندما تزوج (اليزابيت باريت براونينغ) سراً أصبح أحد وجوه الشعر الرومانتيكي المشهورين...

كتب مجموعته الشعرية التي تضم أجمل قصائد الحب (رجال ونساء) وذلك عام ١٨٥٥، و اعتبر النقاد قصائد هذه المجموعة التي استلهمها من زوجته (اليزابيت) من أعظم أعماله..

شاعر وكاتب مسرحي بريطاني، من أهم شعراء العصر الفيكتوري، ولد في كامبرويل في إنكلترا كانت أمه عازفة بيانو شهيرة، ومسيحية متدينة، ووالده من هواة جمع القطع الفنية والكتب، ضمت مجموعته أكثر من ستة آلاف مجلد، باللغات اليونانية والعبرية واللاتينية والفرنسية والإيطالية والأسبانية. معظم ما تعلمه جاء من والده، ويقول مؤرخون إنه كان يكتب ويقرأ في سن الخامسة من العمر، وبين سن الـ ١٤ والـ ١٦ تلقى تعليماً في المنزل: الموسيقى والرسم والرقص والفروسية. وفي سن الثانية عشرة كتب أول مجموعة قصائد حاول والداه عبثاً نشرها.

في عام ١٨٢٥ أهداه قريب له كتاب قصائد (لشيلي) الذي أعجبه كثيراً، وكان يحصل على كتبه الأخرى في عيد ميلاده الثالث عشر. وقد أصبح نباتياً. لكن يبدو أنه لم يكتب أي قصائد بين سن الـــ ١٥ والعشرين.

في عام ١٨٢٨ التحق بجامعة لندن لكنه غادرها بعد فترة قصيرة، لأنه كان يفضل أن يقرأ ويكتب وحده. وقد انعكس ذلك على بعض أعماله التي لم تكن واضحة.

في عام ١٨٣٣ نشر أول قصائده بدون أن يضع اسمه، وكانت فشلاً ذريعاً ، حاول كتابة مسرحيات منها (ستافورد) التي عرضت خمس ليال في عام ١٨٣٧ فقط.

أهم أعماله المسرحية هي التي استخدم فيها المونولوج الدرامي - برموز وحكم.. - وكان له تأثير كبير على أدباء كثيرين مثل (عزرا باوند) و(تي إس اليوت).

في عام ١٨٤٦ تزوج اليزابيت باريت (شاعرة) بعد مراسلتها لسنتين.

في ١٨٥٥ نشر أشعاره «رجال ونساء» الذي أهداه لها، لكنه لم يلق نجاحاً كبيراً حينذاك. إلا أن هذا الكتاب يعد أفضل عمل له.

توفيت زوجته في عام ١٨٦١ فعاد مع ابنه (بين) الذي ولد في عام ١٨٤٩ إلى لندن.

وتوفي براونينغ في عام ١٨٨٩ يوم صدور كتابه «اسولاندو».

من بين الكتب التي أصدرها في لندن «الخاتم والكتاب» التي لقيت نجاحاً كبيراً، وفي عام ١٨٨١ تأسست جمعية باسمه في لندن، كما منحته جامعة أكسفورد دكتوراه فخرية في عام ١٨٨٢ وكذلك جامعة أدنبره في عام ١٨٨٤.

ويعتبر الشاعر الإنكليزي الكبير (روبرت براونينغ R. Browring) في طليعة ممثلي النزعة الرومانتيكية في الشعر الأوروبي.

ومن أشهر **أشعاره قصيدة عن الشيخوخة** يقول فيها:

- فلننحدر معاً، وأنت عجوز ينوء تحت عبء السنين
فالأعوام الباقية أفضل ما في العمر،
إنها النهاية، ومن أجل هذا فهي البداية،
وهل بعد النهاية إلا بداية...
لا ألوم الشباب الذي يقول وهو يتنهد:
حين يجمع طاقات الزهر أكداساً:
أين وردتي أيتها الأزهار؟
أية سوسنة تحمل لي الذكرى؟
لا ألوم الشباب الذي ينادي وهو يتحرق طموحاً،
إلى النجم المتألق في السماء:
لا أقنع بالمشتري ولا بالمريخ المتلألئ،
فلتكن نجمتي أعلى، تضم جميع الكواكب...
لا أشكو من الشباب الآمال والآلام،
تفسد أعوام العمر القصيرة،
إنها الحماقة التي لا أرتضيها..
بل إني لأحب في الإنسان هذا القلق،
الذي لم يخلق له الحيوان الحقير...
لقد خلق الحيوان من طينة محدودة منتهية،
لم تتح لها الشرارة التي تنفح الحياة بالألم.
ألا ما أكذبَها حياةً مثقلة بالضجر...

لو لم يخلق الإنسان إلا ليشتهي المتعة العابرة،

لو خلق ليسعى من أجل القوت،

حتى إذا ما فرغ من الطعام

كانت النهاية..

هل يشقى الطير بعد أن يملأ حوصلته؟

هل يضنى الوحش بالشك بعد أن يشبع؟

إني لأرحب بالكوارث ينزلها بي الزمان،

فبعد المشقة يأتي اليسر والهناء،

أرحب بكل لسعة تحفزني إلى الكفاح،

لا تقعد، لا تقف، بل إمض في الحياة...

ويقول روبرت براوننغ في قصيدة عنوانها (حياة الحب):

أتهربين مني؟

إياك -

يا حبيبتي!

ما دمت أنا، وما دمت أنت،

ما دام العالم يضمنا معاً،

سأظل أنا العاشق وتظلين أنت الكارهة،

ما دام أحدنا يراوغ، على الآخر أن يواصل ملاحقته.

أخشى ما أخشاه أن تكون حياتي، في نهاية المطاف، غلطة ــ

وهي تبدو أشبه بالقدر!

النجاح يبدو عزيز المنال، برغم كل ما أبذل من جهود
ولكن ماذا إذا أخفق مسعاي هنا؟

المهم أن تظل أحاسيسنا في أوج توترها،
وأن تجف الدموع في العيون، أن تغرق في الضحك عند كل سقطة،
وتنهض، مرتبكاً، لتبدأ من جديد،
وهكذا تستغرق المطاردة حياة الشخص بكاملها، هذا كل شيء.
وإلى أن يتحقق ذلك، انظري إليّ ولو مرة من أقصى حدودك،
غارقاً في الغبار والظلام،
ما إن يهوي الأمل القديم،
حتى يتبعه أمل جديد، لا يختلف عنه بشيء،
أصوغ نفسي
وأتغير إلى الأبد!

* * *



الشاعر الإيطالي سيزار بافيزي

Cesare Pavese

١٩٠٨ - ١٩٥٠

ظهرت في روما طبعة جديدة لمؤلفات الشاعر الإيطالي (سيزار بافيزي)، تضمنت مجموعة أشعاره وقصصه، وعلى الرغم من أن (بافيزي) قد مات منذ أكثر من نصف قرن، فإن مجده الأدبي يتألق باستمرار، وذلك لأنه كان من الشعراء القلة، الذين اقترنت تجربتهم الفنية، بالقضايا السياسية، وقد كتب (بافيزي) في إحدى قصائده، أن مصائر الشعوب هي أغنى ينابيع الإلهام الفني.. والمعروف أن هذا الشاعر قد انتحر عام ١٩٥٠ في فندق مغمور، وكان قد عرف في كل أنحاء أوروبا، كأقوى شاعر، أحسن تصوير المأساة الوجدانية التي يحياها الإنسان المعاصر.

ومن أبرز الصفحات التي كتبها خلال حياته، مجموعة قصصية تحمل عنوان (قبل أن يصيح الديك) وهي ثلاث قصص كبيرة، تسير كلها في خط واحد يعبر عن تجربة (بافيزي) في أعمق صورها: كيف نستطيع أن نقهر الموت؟

كتب الناقد الفرنسي (جان دوفينيو) يقول:

في هذا السؤال يطرح (بافيزي) مشكلة الإنسان في كل عصر، إننا ملزمون جميعاً بالنهاية المحتمة، ولكننا نملك الحياة، نملك فترة الانتظار، فكيف ينبغي أن نكون.... في قصة (البيت فوق الروابي)، وهي أجمل قصص الشاعر، يصور لنا أزمة أستاذ في (تورين Turin) عاش الحرب الأخيرة بكل أعصابه،

وحمل السلاح مع الجنود، وتألم من أجل الجرحى، وارتعد خوفاً على الأطفال، الذين ماتوا تحت الأنقاض، أثناء الغارات.. ومع هذا كله فقد كان يستمد شجاعة خارقة من حادثة حب صغيرة... امرأة شابة كان يحبها، وكانت تمنحه الثقة بنفسه، لمجرد أنها صممت على الانتظار من أجله.. كانت تجهل متى تنتهي الحرب، وربما خطر لها أنها لن تنتهي، وبرغم ذلك فقد كانت حريصة على الوفاء... ولكن لماذا؟ إن (بافيزي) يرفض الجواب.. وفي هذا الرفض تبدو الأصالة الفنية، التي يتميز بها.. إنه يمثل العزلة الموحشة التي يحياها الجميع... فحين تكون الحياة مغلقة، مظلمة الآفاق، يجب أن يتذرع الإنسان بالشجاعة، يجب أن ينتظر، ويروّض الآخرين على الانتظار، مثلما يفعل الجد الذي يحلم بالمستقبل البعيد، ويعزّي نفسه بأن كل أمانيه سوف يحققها الأحفاد...

يقول في قصيدة بعنوان: **(تعودين دوماً في الصباح)**:

تعودين إلي دوماً في كل صباح
بأنفاسك، التي تشبه الفجر،
الذي يتلاشى عند آخر الشوارع الفارغة،
أضواء عيونك الرمادية تشبه قطرات الفجر
على هضبات مظلمة،
خطواتك تشبه نسمات الفجر التي تتهادى على المنازل،
والتي تضيء أحجارها، معلنة عن وجودك،
إنك الحياة بالنسبة لي، إنك اليقظة،
نجمة غابت في نور المشرق
مع الأنفاس الحارة، وحين يخيم الظلام،
فأنت النور وأنت الصباح.

وفي قصيدة **بعنوان (أغنية) يقول:**

الغيوم تلامس الأرض كما تلامس الرياح،
إلى أن تصبح سحباً تغطي مدينة تورينو،
وهناك ستكون الحياة جميلة
حيث نتطلع إلى الأعالي تحت الشمس،
لنرى كتلاً كبيرة بيضاء تتقاذفها الرياح..
وتلون كل شيء باللون اللازوردي
الذي يشكل غلالات مضيئة حين تتبعثر،
بينما تغطي آلاف نتف السحب البيض،
الحجارة والأخاديد..
في مرأى لانعكاس هذه السحب، في المياه البراقة،
بينما يقوم تمايل أغصان الشجر، بوصل الأرض بالسماء
الأشجار تتألم وتموت تحت السحب،
والإنسان ينزف ويموت..
إلا أنه يغني الفرح بين الأرض والسماء
ويتغنى بعظمة المدينة والغابات...
الآن الحياة كلها هي الغيوم والنباتات والطرق،
التي تضيع في السماء

وفي قصيدة - (الليل) يقول:

تبدو الهضبة وكأنها الليل، يعاند السماء المضيئة
ورأسك متشبث بها، ولا يكاد يتحرك،
ولكنه يتحرك نحو السماء.

إنك تشبهين الغيمة التي تتماوج بين الأغصان،
وتغمر السماء عينيك بابتساماتها، وبغرابتها،
والتي هي سماء ليست أنت.
الهضبة وأوراق الشجر تتوهج في عينيك
مع ظلام الليل،...
ويبدو وكأنك تداعبين الهضبة العظيمة،
مع ضياء السماء..
وتمنحين الماضي صفاءً ونقاءً أكبر،
كي تمنحيني السعادة...
ولكنك تعيشين في مكان آخر،
والدم الذي يجري في جسدك، قد جاء من مكان آخر أيضاً،
كلماتك التي تحدثت بها، لم تكن تعبيراً عن حزن السماء الشديد،
لأنك كغيمة بيضاء رائعة،
تغلغلت في الليل من خلال الأغصان القديمة،

ويعد (بافيزي) من النماذج النادرة في تاريخ الأدب الإيطالي الحديث، ذلك أنه جمع صفاء الأسلوب وبلاغة التعبير، بتصوير أعمق التجارب القلقة التي يمكن أن يتعرض لها الوجدان البشري، وعلى الرغم من أنه استطاع أن يحتل مكانة ممتازة، بين معاصريه في وقت مبكر، فقد انتحر وهو في أوج شهرته. بعد أن ترك يوميات عاطفية، مثقلة بالتشاؤم واليأس.. وقد كان انتحاره من الحوادث المثيرة التي أعادت إلى الأذهان، صورة الجيل الثائر من الكتّاب الشباب، الذين كانت حياتهم وتجاربهم الفنية أقرب إلى المأساة، يصعب احتمالها دون مغامرة من هذا القبيل.

عبر بافيزي عن هذه الروح في رواياته الثلاث، على الرغم من تباين مواضيعها، فالأولى هي قصة فتاة ساذجة يتفتح قلبها للحب في مناسبة عادية، ولكنها تسيء فهم عاطفتها، فتشعر بأن الحياة كلها ليست إلا في فترة انتظار لمثل هذه الحادثة، وفوجئت بأن (الآخر) لم يكن إلا إنساناً عادياً، وأنها لم تكن تحبه كما هو على حقيقته، بل كما كانت تتصوره، رجلاً جديراً بأن تتبعه إلى نهاية العالم، وتساءلت:

- إذن هذا هو السبب العميق لجميع هموم الحب، إن آلام القلب المفتون لم تفارقني لحظة، ومع هذا كنت أسميه حباً، وكنت أوهم نفسي بأنه كل معنى الحياة..

ويقول الشاعر الإيطالي سيزار بافيزي في قصيدة بعنوان (**الهضبة**):

- وأنت أيضاً أنت الهضبة
أنت الطريق الحجري
أنت أصوات القصب،
وتعرفين الكرمة
الصامتة في الليل،
لا تقولين كلمة،
هناك أرض صامتة
ولكنها ليست من أجلك،
هناك سكون يدوم،
ويهيمن على الأشجار والتلال
هناك المياه والبراري،
ولكنك صمت مطبق لا يتزحزح،
أنت شفتان وعينان،

يغمرها الظلام،
أنت الكرمة،
إنها الأرض التي تنتظر،
ولا تقول كلمة.
لقد مرت أيام
تحت السماء الدافئة،
وأنت تلعبين بالغيوم
أية أرض خبيثة،
إن جبهتك تعرفها جيداً،
هذه أيضاً هي الكرمة،
سوف تجدين الغيوم والقصب والأصوات،
أشبه بظلال القمر،
سوف تجدين الكلام وراء الحياة القصيرة،
ووراء ظلام الألعاب،
ووراء الطفولة الحارة،
سيكون رائعاً أن تلزمي الصمت،
أنت الأرض والكرمة.
سكون دافئ، سوف يحرق البراري
مثلما تفعل نيران الفرح في المساء

ويقول بافيزي في قصيدة (**أنت النسمة**):

- أنت الحياة والموت
لقد هبطت من كوكب المريخ، على الأرض العارية،

وأنت ما زلت ترتجفين،
لقد اخترقت خطواتك الهفهافة هذه الأرض
وبدأت الآلام...
لقد أثارت خطواتك الخفيفة، الآلام على الأرض الباردة،
تحت سماء حزينة وساكنة، في حلم مضطرب،
تشبه من لم يعرف الألم، ولكنه يعرف الصقيع في أعماق قلبه،
فبين الحياة والموت تصمت الآمال.

الآن عادت الحياة في صوت ودم كل كائن حي،
الآن اتحدت الأرض والسماء في هزة قوية،
وغمرت الآمال كل شيء
أيقظت الصباحات الجميلة لتلتف حول خطواتك، حتى تصنع الفجر

لقد أعدت الآلام..
لأنك أنت الحياة وأنت الموت،
على الأرض العارية، حيث مررت وحفيف خطواتك يشبه الطيور والعصافير
ويشبه خفة تدفق دمي في قلبي.

* * *



الشاعرة النروجية سيغريد اوندست

Sigrid Undest

١٨٨٢ - ١٩٤٩

نوبل ١٩٢٨

نشر أخيراً في أوسلو كتاب مغمور للروائية النروجية الكبيرة (سيغريد اوندست)، لا يعرف عنه الجمهور إلا الشيء القليل، على الرغم من أنه يضم أجمل الصفحات التي كتبتها هذه الروائية في حياتها الأدبية..

وقد نشر الكتاب بعنوان (عودة إلى المستقبل)، وهو يوميات شخصية عن الأسفار التي قامت بها (سيغريد اوندست) بين عام ١٩٤٠ و١٩٤٢، أي في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية. وقد سجلت فيها انطباعاتها عن الحضارة الحديثة، والشعوب التي قدر لها أن تصنع هذه الحضارة، وتعمد إلى تدميرها في الوقت نفسه..

- ومع أن رحلتها إلى أمريكا تحتل القسم الأكبر من صفحات الكتاب، فإنها حاولت أن تجعل من هذه الرحلة، مناسبة لتحليل الصراع العميق، الذي يتمثل في موقف الإنسان المعاصر، من عالمين متباينين في المشاعر والأفكار، هما الشرق والغرب.. واختارت اليابان رمزاً للشرق، لئلا تقع في الخطأ الكبير الذي وقع فيه كثير من الباحثين حين اعتبروا روحانية الشرق، وجهاً مناقضاً لمادية الغرب. تقول:

- الخطأ هو أن التمييز بين ما هو روحي، وما هو مادي، يدور في الغالب حول فكرة التمايز بين الشعوب، مع أن الاختلاف في وجهات النظر، والعقلية، لا يؤلف حداً فاصلاً بين شعب وآخر.. إن التاريخ هو ثمرة التمازج، والمشاركة المتساوية في بناء الحضارات.. لقد عرفتُ هذا في وضوح وأنا في قلب الولايات المتحدة، بين المنشآت الصناعية الضخمة، رأيت أن هؤلاء الذين يعيشون مع الجدران العالية. والآلات المعدنية الكبيرة، هم أقرب الناس إلى أي إنسان شرقي يستسلم للراحة أمام المروج الهادئة...

- وبهذه الروح تبدأ (سيغريد اوندست) هذه اليوميات في رحلة وجدانية - كما تسميها - في النرويج نفسها، إنها تحاول أن تكتشف حقيقة الشعب، الذي انحدرت منه، وترعرعت في ظلاله.. تقول:

- على حدود الحقول المزروعة، في جميع أنحاء النرويج على وجه التقريب، توجد حجارة بيض، تفصل بين الحقل والآخر، لقد وُضعت هذه الحجارة من أجل التمييز بين ممتلكات الفلاحين، ولكنها مع الزمن أصبحت إشارة إلى التقارب، إنها رمز للجوار، مثلما يوجد الحقل بجانب الحقل الآخر، يعيش أصحابها في تلازم، لا سبيل إلى فصمه، قلوب تخفق معاً، وقد ساعدت الطبيعة نفسها على توضيح هذا الرمز، فنبتت الطحالب والأعشاب الخضراء حول جميع الأحجار، حتى أوشكت أن تخفيها عن العيون، وما يكاد الإنسان أن يتبينها، حتى يستعيد كل حياة الماضي، والماضي هو الشعب كله.. نعم.. إن كلمة واحدة يمكن أن يوصف بها الماضي هي الجوار..

وقد نالت (سيغريد اوندست) جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٢٨ وتوفيت عام ١٩٤٩.

إن عبقرية سيغريد اوندست الفذة تجعلنا على يقين من أن النساء الإسكندنافيات لم يدعن أية ميزة للرجل، إلا وتفوقن بها، فليس هناك أي كاتب أو كاتبة ألا أكدت سيادة مملكة المرأة بإخلاص تام، وبساطة وقوة، حيث

يسيطر المطلق على هذا العالم النسائي بأقوى صوره، هذا المطلق ليس كمطلق الفلاسفة والمتصوفين، بل إنه عالم عاطفي يعطي لكل شيء قيمة إنسانية، ويطرد بصفائه كل بطلان وشك..

لقد احتفلت جميع الأندية الأدبية في أوروبا (بسيغريد اوندست) وبمؤلفها الشهير الذي حازت به جائزة نوبل لعام ١٩٢٨، ذلك المؤلف الذي أثار كثيراً من الدهشة في مختلف أنحاء الغرب - وخصوصاً في البلدان الشمالية مثل السويد والنرويج والدانمارك وألمانيا - لما احتواه من إحساس عميق ووصف بليغ لحياة بلاد النرويج في القرن الرابع عشر. ويُعد هذا المؤلف بحق من أفضل المؤلفات الأدبية، وأعظمها أثراً في هذا العصر.

كان هذا المؤلف الثلاثية (Trilogy) المسمى كريستين لافرانداتر الذي يضم كتباً ثلاثة (الإكليل، المرأة، والصليب) هو ما أثبتت في تأليفه (سيغريد اوندست) الجرأة والاعتقاد الثابت والإيمان العميق..

وإذا كان هناك امرأة لها من آرائها الاجتماعية السديدة وأفكارها الصائبة ما يخولها أن تتبوأ العرش الأدبي لعام ١٩٢٨ فتلك هي سيغريد اوندست..

ولدت في الدانمارك عام ١٨٨٢ حيث كان والدها من أعظم وأشهر المؤرخين، الذين أنجبتهم بلاد النرويج، وعادت عليه مؤلفاته الأولى، بشهرة واسعة، بحيث أصبح مرجع ثقة يرجع إليه في آثار النرويج وأصلها.. وقضى في اوربا مدة طويلة باحثاً في مكتبة الفاتيكان، منقباً عن تاريخ النرويج. أما ابنته (سيغريد) فقد أتيح لها أن تكون سكرتيرة لأبيها.. ويرجع حذقها في التاريخ إلى بقائها معه في مكتبه، تنقب وتبحث..

ومات أبوها قبل أن يتم مؤلفاً عظيماً، كان يشتغل بتأليفه، فظلت آثاره ومخطوطاته القيمة، التي صرف عمره في جمعها وكتابتها، في عهدة ابنته سيغريد، فجعلت إظهار هذه الآثار مهمتها الأولى، وجاءت إلى النرويج لتقوم بأعباء ذلك العمل الأدبي..

وما لبثت أن تزوجت من الرسام (لارسفنثاد) وصرفت كل جهودها للأدب والكتابة والتأليف، وقد قالت (سيغريد) في إحدى رسائلها: (إنه لصعب جداً أن تكتب، والطفل يصرخ في المهد) ظهر أول مؤلفاتها عام ١٩٠٧ وهو قصة تدعى (من أجل مارتا) ولكنها لم تفز إلا بإعجابٍ قليل، وأتبعت مؤلفها بقصة عنوانها (العصر السعيد)، وضعت فيه تجاربها في الحياة، ومصاعبها، وأثر ذلك في نفسها. وظهر بعد ذلك مؤلفها (جيني) وقد نجح نجاحاً لا بأس به، وانقضت مدة طويلة قبل أن أظهرت للعالم مؤلفها المثلث العظيم. وقد وصفه أحد أصدقائها قائلاً: لقد حملتنا هذه الرواية الثلاثية على أن نطلق على مؤلفتها لقب (امرأة النرويج العجيبة). وعندما تقرأ ما تكتبه (سيغريد) عن النرويج، تشعر بعواطفها تسيل رقة وعذوبة، وترى حب بلادها متغلغلاً في أعماقها. وقد عاد عليها مؤلفها هذا بثروة، ساعدتها على التنقل بين عواصم أوروبا وبلدانها، فزارت الدانمارك وألمانيا وإيطاليا..

قال أحد الكتاب: إن سيغريد كملكة نرويجيّة قديمة، - ولست قادراً على أن أزيد شيئاً على ذلك.. وهي تتكلم ست لغات، وتلقي مع أعمالها كثيراً من المحاضرات في التاريخ والأدب، وفوق ذلك موسيقية بارعة، تضرب على الأرغن.. وأهم شيء لديها في الحياة هو أن تكتب وتؤلف، وقد يمضي عليها الليل بكامله لا يغمض لها جفن..

وترتكز شهرتها على دراستها نفسية المرأة، حيث جعلتها المحور الذي تدور عليه في مؤلفاتها، وبذلك تستند وترجع دائماً إلى نفسيتها، فتآليفها ترجمة نفسية لها. وجعلت من الفلاحين أبطالاً في تأليفها، تبتهج لمرآهم، وتُسر لأحاديثهم، وتسمع ما ينبض به وجدانهم وما تتأثر به مشاعرهم...

وقد قالت الكاتبة كاتي أوستمان - ماغنوسين عن سيغريد اوندست

محاربة من الفايكنغ

كانت هناك امرأة من الفايكنغ
تتحدَّر من صلب الاسكندنافيين
كان إرثها وتكوينها،
يبدوان بسهولة في ما تقول.
كلماتٌ عن المعارك،
وإن بأسلوب نسوي،
كأن سيغريد محاربة
مدفوعة بإيمانها الصادق.

كانت قناعاتها الراسخة
تحول دون هزيمتها
أو تراخي همتها.
النصر كان ملك يمينها.
كان ذلك موقف،
هذه الملاك العظيم
للاسكندنافيين المحاطين بالثلوج،
المُبحرين في سفنهم الطويلة.
لم تكن تزجي الوقت في حياكة الجوارب
أو السترات،
من جدائل شعرها،
فقد كانت معارك تلك المحاربة
تدور داخل قلبها.

نعم
كانت مباركة
امرأة من الفايكنغ،
يلازمها الشعور بجذورها
وتدرك هدف رحلتها،
بكل ما تحمله أهواؤها من صدق.
لم تكن لتبدل آراءها
والتزاماتها،
رغم كل تهديدات الملك.
كانت تتابع مسيرتها
فتلك هي رغبتها.
كانت تتمسك بقيم تراثها.
تمردت على الملك (أولاف)
ملك السويد.
قالت: «لا، أفكارك ليست أفكاري.
احذر...
فسوف أطيح بعرشك».
وهذا ما فعلته.

من أعماق جعبتها
تركت لي رسالة
داخل قلبي.
وصفت حياتي،

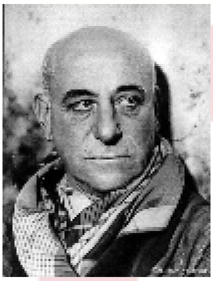
منحتني السهام لأطلقها على هدفي.
فكرت ملياً بتلك الرحلة
في البرد القارس
تحت أشعة شمس الغروب التي تحول الثلج إلى مطر
فتركت فيء الشجرة الظليلة
في سبيل رؤية اتضحت في ما بعد.

التقيت بسيغريد،
جلسنا قرب الموقد
وحدثتني.

«أنا من الفايكنغ
امرأة أو رجل، لا يهم
أنا النار المندلعة من لسان التنين
أذيب الثلج أمامي
لي الحق في اختيار معتقداتي،
لن يملي علي أحد شيئاً،
ولا ينبغي أن يملي عليك أحد شيئاً».
يا محاربة الفايكنغ
غزواتك السنوية تُلقي الضوء
على الفرص السابقة لسرقة معتقد.
أقف إلى جانبك، فأتحرر.
في أحلامي
أتحول إلى محاربة في ميدان الفن الطليق،

تمتد مناظر الطبيعة أمامي
لوحات الطبيعة الصامتة
تدفعني للوقوف برهبة
فأستجيب.. وأقف.
لكن مشاعر التوق في أعماقي
تجعلني أذعن للرؤى «رؤاي أنا».
هذي أنا
هبة على مثال (سيغريد)
امرأة الفايكنغ القوية
وهكذا تصبح المحاربة، أنا.

* * *



الشاعر الفرنسي ماكس جاكوب

Max Jacob

١٨٧٦ - ١٩٤٤

نشرت مؤخراً في باريس المجموعة الشعرية للأديب المعروف (ماكس جاكوب) الذي كان منذ نهاية القرن التاسع عشر، من أبرز وجوه النقد الفني في أوروبا، وتحمل هذه المجموعة اسم (المخبر المركزي). نشرت هذه المجموعة لأول مرة عام ١٩٢١ ولكنها لم تترك أثراً بعيداً في الأوساط الأدبية، لأن مؤلفها كان قد اشتهر كناقد فذ، وكداعية متحمس للاتجاهات الفنية الجديدة، ويحفظ تاريخ الفن المعاصر. لقد لعب (ماكس جاكوب) الدور الأول في إبراز (بيكاسو) كفنان مبدع، وفي التبشير بالأدب السريالي، والنزعات التكعيبية والاستقبالية، في فن التصوير. و قدَّم بهذه القصائد محاولة مماثلة لهذه الاتجاهات الجديدة، التي قامت على تحطيم الأساليب التقليدية للأداء الفني.

وتعتمد هذه المحاولة في الشعر على تصوير الأشياء الواقعية، من خلال الدوافع الباطنية الدفينة، التي تتبادر إلى الوعي في صور متناقضة مفككة، ولكنها تأخذ العبارات الغنائية الموحية، وذلك هو الأساس الذي بنيت عليه نزعات الشعر المعاصر في أوروبا، في بداية هذا القرن، وكان من روادها (ماياكوفسكي) و(آراغون) و(أبولينير). وكان (ماكس جاكوب) من دعاة التجديد البارزين، وقد تضمن هذا الديوان الشعري صفحات في فن الشعر كتبها (جاكوب) نفسه ومنها نصائح إلى شاعر شاب.

يقول فيها:

- لكي تكتب شعراً ينبغي أن تعيش بحواسك كل ما تراه من الأشياء، من حجارة الرصيف، إلى مصابيح الشارع، إلى صياح الديكة.. أن تندمج في الأشياء لكي تستطيع أن تحيلها إلى كلمات غنائية.

ويبدو (ماكس جاكوب) في هذه المجموعة الشعرية إنساناً يحب الجمال قبل كل شيء، ليس الجمال الأنيق المنسجم الذي يقدمه لحواسنا، انسجام الأشياء، وتوازن ألوانها وصورها، بل الجمال الذي تكشفه بصيرة الفنان في خوض العالم.

كما يقول في هذه القصيدة:

- العالم شبيه بوردة
تتفتح على ذيل طاووس أغبر..

- وعلى الرغم من استغراقه في الصور الحسية، وعنايته العجيبة بصنع الكلمات الموسيقية التي تستطيع إيحاء عالم النفس الدفين، فإنه يرسم وراء هذه الصور المبعثرة، مأساة إنسان يتحرق هماً وانفعالاً في حرارة مصير الإنسان.. يقول:

- الكاتب الذي يكتب لك
يريد أن يموت على الصليب..
أغمس ريشتي في دم قلبي،
عنواناً أكتب أم كارثة؟

أيتها الخلية الحيوانية، سوف يراك الله مبعثاً للسخرية، فاذهب إذن ودع نفسك تموت في مكان آخر..

وهكذا كنت أتقدم مرتدياً جلبات البراءة والحب، مُجدداً آثار عملي كل يوم،

ضارعاً إلى الله، ومؤمناً بجمال الأشياء

ولكن الضحكة القاسية والهموم الملقاة على عاتقي، والمال والآراء وحماقة الآخرين،

جعلت مني هذا البورجوازي القاسي

الذي يضع توقيعه هنا..

والمعروف أن ماكس جاكوب ولد في فرنسا عام ١٨٧٦ وتوفي في عام ١٩٤٤، وكانت حياته حافلة بالأشعار والاندماج بالحياة الثقافية.

أما قصيدته المشهورة (كوب النرد أو كأس الزار) كما تترجم أحياناً، فتعتبر بياناً جزئياً في محاولة تخليص قصيدة النثر، من كل المفاهيم المضطربة التي كان نقاد وشعراء القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين يدلون بآراء مختلفة حولها، كاشفاً عن وضع صيغة جديدة لقصيدة النثر بحيث تكون خالية من كل ما هو شخصي، ولإعطاء صورة واضحة عن النموذج الجاكوبي لقصيدة النثر.

ومن أشهر قصائد ماكس جاكوب قصيدة (كوب النرد) التي أثارت نقاشات كبيرة في أوروبا ومن: كوب النرد THE DICE CUP هذه بعض المقاطع:

أنباء كاذبة! خنادق جديدة!

في أثناء تقديم «في سبيل التاج»، في دار الأوبرا، وبينما كانت ديدمونة تغني «والدي في غوريتس وقلبي في باريس»، سمع صوت طلق ناري في إحدى المقاصير في البهو الخامس، تبعه صوت طلق آخر بين المقاعد العادية، وفجأة تدلت سلالم مصنوعة من الحبال. كان رجل يحاول الهبوط من السقف أوقفته رصاصة عند مستوى الشرفة. كان كل النظارة مسلحين وبدا أن

القاعة مليئة فقط بـــ... و... ثم جرى اغتيال بعض الجيران، أنابيب تنفث الغاز المشتعل. حوصرت الحجيرات، كما حوصرت خشبة المسرح، وحوصر أيضاً كرسي قابل للطي. استمرت المعركة ثمانية عشر يوماً. ربما تم تزويد الجيشين بالمؤن، لست أدري، ولكن ثمة شيء واحد أعرفه على نحو مؤكد، وهو أن الصحفيين كانوا قد أتوا لرؤية هذا المنظر الرهيب، ولما كان أحدهم مريضاً فقد أرسل والدته، وكانت بالغة الاهتمام برباطة جأش شاب فرنسي، صمد لمدة ثمانية عشر يوماً في الصف الأول دون أن يتناول سوى القليل من الحساء. هذه الحكاية، بالتحديد، من حرب الشرفة فعلت فعلها في ما يخص التطوع في الأقاليم. وعلى حافة نهري، وفي ظل أشجاري، أعرف ثلاثة إخوة يرتدون بزات جديدة، عانقوا بعضهم بعضاً دون أن تذرف دمعة، بينما كانت عائلاتهم تبحث عن قمصان صوفية داخل الخزائن الموجودة في العلية.

قصيدة:

«ماذا تريدين مني؟» سأل هرمس[١]

«ابتسامتك وأسنانك» أجابت فينوس.

«إنهما مزيفان. ماذا تريدين مني؟»

«صولجانك».

«إنه لا يفارقني مطلقاً».

«أحضره إلى هنا، يا ساعي البريد الإلهي».

ينبغي أن تقرأ باليونانية: اسمها إديل[٢]. أيام المدرسة، قال لي أحد أصدقائي، وكان غالباً ما يخفق في اجتياز الامتحانات: «إذا ترجمنا رواية لدودية[٣] إلى اليونانية، فسوف نستعد جيداً للامتحان! لكنني لا أستطيع العمل ليلاً. هذا يدفع

---

(١) إله المسافرين والطرق والتجارة.

(٢) Idyll قصيدة رعوية رومانيتكية.

(٣) Aiphonse Daudet

أمي للبكاء!» ينبغي قراءة ذلك باليونانية أيضاً، أيها السادة، إنها إديل، ايديلوس[١]، صورة صغيرة.

قصيدة القمر:

في سماء الليل، هناك ثلاث حبات من الفطر تشكل القمر. في كل شهر، تعيد ترتيب مواقعها عند منتصف الليل، بكل فجاجة العصفور الذي يبرز من ساعة الحائط. في الحديقة، هناك أزهار نادرة هي في الحقيقة رجال صغار نائمون، هناك مائة رجل. هم مجرد انعكاس عن مرآة. في غرفتي المظلمة، هناك مبخرة مضيئة تتأرجح، ومن ثم... منطادان متألقان. هما مجرد انعكاس مرآة. في رأسي، هناك نحلة طنانة تثرثر.

اكتب مذكراتك:

من يتذكر (باسي) قبل برج إيفل؟ مات جميع الشهود، ما عداي. عندما وصلت على متن سفينة ركاب بخارية، شاهدت عن بعد حول ساحة (تروكاديرو) مدينة الفيلات والقصور البيض. هناك كانت تعيش (روزا جوزيفا)، التي كانت تمثل ظاهرة في عالم السيرك (لم يكن تعبير قاعة الموسيقى شائعاً آنذاك). كانت تعيش في الطابق الأرضي. كانت دمية من جزأين ترتدي ثوباً من المخمل الأحمر الداكن تؤدي أدوارها على سادة. لكنها لم تلفت أنظار سيدة سمراء ترتدي ثوباً من الدانتيلا البيضاء. رأيت فناء الشقة المفروشة، وداخل مركبة صغيرة كان ضابط من مولدافيا في بزته العسكرية، يثير إسرافه الاشمئزاز، يتلقى المال من مدراء الفرق.

أهو أخ؟ زوج؟ لم تعلق تلك الزيارة في ذاكرتي. اضطررت للعودة بالترام إلى ساحة الجمهورية، وتركت نفسي على سجيتها إلى أن وصلت إلى

---

(١) Eidullos

فنسن؛ في القطار أضعت حقيبة صغيرة قديمة. كان رجل يرتدي ثياباً رمادية ينتظرني تحت شجرات الكستناء - كان أنا ذاتي. روزا جوزيفا لديها روحان في جسد واحد وأنا لدي روح واحدة في جسدين.

في الفردوس:

ها أنذا في الفردوس! أنا، اليقطينة الهزيلة السوداء؟ في الفردوس؟ كلا! ألا ترى شخصاً تعرفه، ألا تميز أحداً؟ الكل هنا شعرهم كثيف ومدهون بالزيت ومن كانوا أكثر صلعاً في حياتهم على الأرض حصلوا على الشعر الأكثف هنا. لا يحق لي السخرية من هذا المكان المقدس: ولكن لا حيلة لي، لسوء الحظ! هذا أنا، يقول بيير كول، من أنت؟ اعذرني فقد ارتكبت غلطة، فبسبب الهالة المحيطة بك ظننتك الآنسة هيليت (بطلة مسرحية موسيقية عام ١٨٩١)، أنت أصغر سناً من أن تعرفها. مساء الخير غرترود، المشهد يظهر صالة عرض للصور: غرترود تنظر إلي بود. يا لجمالك! هل لي بقبلة؟ وهكذا قبلتها. رجعت غرترود إلى الخلف. «ولكن، من أنت؟» «أنا ماكس جاكوب». كررت اسمي عدة مرات بصوت عال. هل أصبحت صماء؟ صماء لكنها ودودة.

* * *



الشاعرة العربية مي زيادة

١٨٨٦ - ١٩٤١

ولدت (مي زيادة) قبل مطلع القرن العشرين ببضع سنوات في الناصرة من أعمال فلسطين، وأتمت دراستها في لبنان، وابتدأ اسمها يظهر كخطيبة ناشئة في حفلات الكوخ الأخضر، التي كانت تقام لتكريم الفتاة اللبنانية ممثلة في (مي).

لقد أحبت مي الشرق والعربية، حباً كثيراً، على الرغم من ثقافتها الأوروبية الواسعة، وغيرت اسمها (ماري) إلى (مي) وهو اسم عربي صميم. وتوفيت في عام ١٩٤١.

كانت مؤمنة بقيم الشرق ومثله العليا، وكل كلمة تقولها في سبيل الشرق، نشيداً يصلح لأن تتغنى به النفوس الضعيفة، فيبعث فيها القوة والكرامة. والمتناجية بقولها:

يا شرقي الكبير الرهيب الرؤوف،

إنك جاهل فقير، مفكك الأوصال، ورغم ذلك فأملي بك عظيم، كالحياة والحرية.

أنت برج الفجر أيها الشرق

فقم واعمل، قم وراقب من أي أنحائك يلوح مشعل الضياء....

كانت موزعة القلب والحب بين مصر ولبنان، ولها في نهر الصفا المتدفق عند قدم الجبل هناك، نشيدٌ يدل على مبلغ تعلقها بالتربة اللبنانية

الخالدة. ولقد جمعت من أعماق النهر بعض الحصى الملونة الجميلة، ووجهت إليها الكلام قائلة:

أيتها الجواهر، سأحملك معي إلى وادي النيل لتذكريني بالعواطف الكثيرة، التي تلاطمت في فؤادي أمام نهر الصفا...

أنت ذكرى الأبدية التي حييت فيها لحظة...

وكانت هذه اللحظة التي وقفتها أمام النهر المتدفق، إلهاماً لنشيد خالد كأنه ترانيم مياه النهر على الرمال والصخور..

وقد قالت في كنارٍ صغير لها أحبّته، دنت من قفصه صباح ذات يوم فوجدته ميتاً فبكته قائلة:

ما أسرع ما تتمزق أثواب الورود، وما أتعس القلوب الشديدة التأثر!

يمر النسيم العليل على الأزهار النضرة، فتتمزق بنسيمه أثوابها، وتنتثر وريقاتها. هكذا يكفي لاستمطار العبرات، أن يلامس الألم بأطراف بنانه أثير الروح الموحدة، وما الدموع الهاطلة من الأجفان إلا حسرات قديمة كامنة في طيات الفؤاد، أوقدت شعلتها يد سوداء، يد الكذب والافتراء. وقد زاد الانفراد والتأمل في اشتعالها.

طائر صغير نسجت أشعة الشمس ذهب جناحيه، وانحنى الليل عليه، فترك من سواده قبلة في عينيه، ثم سطت عليه يد الإنسان، فضيقت دائرة فضائه، وسجنته في قفص كان بيته في حياته، ونعشه في مماته.

شعاع ذهبي أطل حياً واختفى في كبد الآفاق،

ابتسامة نور أشرقت وما لبثت أن تبددت،

وردة أثير تنفست، فعطرت واسكرت ثم ذبلت،

نغمة حب تموجت ساعة ثم تلاشت في هاوية السكينة،

هذه قيثارتي فقدت أحد أوتارها، فناحت بلابل أنغامها،

فما أتعس القلوب الشديدة التأثر، وما أكثر مرارة الجرح الصغير، الذي يفتح جراحات كبيرة.

ولها قصيدة في **الشعر الوجداني** كتبتها باللغة الفرنسيّة، ثم ترجمتها إلى العربية تقول:

صديقتي ذات العينين الكبيرتين الوديعتين، روحي تناديك،

الريح في المساء تهب هوجاء شديدة الوطأة.

الريح تجأر وصوتها العصي الناحب، يرجع في دوي الصدى، عصياً مكبوتاً.

في اكتئاب أحلم جالسة بين الأزهار،

جناح الإعصار يلطم نافذتي،

والسماء تبكي، واهاً لهذه الدموع!

هذه الدموع المنتحبة ماذا تحرك بسيرها في أعماق الكيان؟

أتذكرين يوماً هو الأول من العام؟

إذ السر المغري أنار عينيك،

وإذ روحي عبدت فيك روحها الأكبر سناً،

وإذ منك إلي جاءت الكلمة الصامتة؟

شهر ولّى، وها قد أتينا على نهايته،

رأيتك خلاله مرتين في مسائين اثنين،

والآن أحن إلى لقاء ذاك الفجر الفتان،

وهذا المساء الحالك الممطر، مساء وداع.

قاتمة هي أفكاري، والغم يطبق علي.

ارتياب خبيث يخالط قلبي المستسلم للحنان،

ماذا لو كان قلبك مغروراً محتالاً؟...

ومن قصيدة لها **اسمها وداع الربيع**، تقول:

هو ذا الصباح، آخر صباح من أصباحك،

والشمس التي ما زالت محجوبة بالضباب، تجاهد الظهور في تعجل، فترسل من لدنها بشيراً.

فإذا بخط مديد من النور الحي البهيج، ترتسم عل طول جبل المقطم، متعرجاً تعرجه هنا،

متكسراً تكسره هناك، مستقيماً حيث الصخر يستقيم،

منحدراً فصاعداً، حيث الهضبة تنحدر ومن بعد تعلو.

ومن خلال الضباب المتلبد، تستغل الشمس كل ممر، وكل ثلمة، لتبعث برسالتها إلى الجهة المقابلة.

فإذا الرسالة نور ينعكس على أرجاء الغروب، فيضرم في زجاج النوافذ ما يشبه النار،

ويذهّب زوايا المساكن، فتسطع سطوعاً سحرياً رقيقاً، ويلون الحجارة بألوان، كان الظلام يطمس معالمها،

وتصبغ السحب المتناثرة هنا وهناك، بأصباغ قرمزية وردية وليلكية وفضية،

أو هي تعمل على جعل بياضها أتم نصوعاً، وسط الزرقة السحيقة الفيحاء - كأنما تلك السحب أجنحة مرئية لسرب من الملائكة المجنحة.

وهذه الأحياء صامتة هادئة، لا يقطع سكونها سوى خطوات نفر البوليس، المولج بحراستها.

وعلى المنازل تخيم سكينة الرقاد، كأنما للجماد كذلك هجوع في الليل، وفي النهار يقظة.

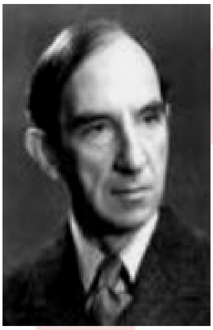
وإني لأستشف من وراء الجدران، عددا من النائمين، الغافلين عما تنشره الطبيعة في الخارج وتطويه، المستريحين ساعات قلائل، من المشاغل والتبعات، والمتع، والحرمانات.

إنهم سيستيقظون عما قليل، فتقول القيود للسجين:

ها أنا ذي، وتقول المسؤوليات، والواجبات، والمسرات، والآلام للطليق:

ها أنا ذي. ها أنا ذي.

* * *



الشاعر جول سوبرفيل من الأورغواي

Jules Supervielle

١٨٨٤ - ١٩٦٠

يعد (جول سوبرفيل) واحداً من أعظم الشعراء الفرنسيين المعاصرين، وقد انُتخب أميراً للشعراء عام ١٩٦٠ قبل وفاته بقليل، ولد (جول سوبرفيل) في مدينة مونتفيديو في الأورغواي، وتوفي والداه وهو طفل في الشهر الثامن من عمره، و قد قام عمه بتربيته حتى العاشرة من عمره، حيث أرسله إلى فرنسا لتحصيل دراسته، إلا أنه بقي مخلصاً لبلده الأورغواي، وبدأ سوبرفيل بكتابة الشعر والرواية، والمقطوعات المسرحية..

نشرت أول مجموعة من شعره عام ١٩٢٢ وتحمل عنوان (رصيف الميناء) كما نشرت أولى رواياته عام ١٩٢٣ وتحمل عنوان (رجل البامبا) ولاقت ترحيباً كبيراً في الأوساط الأدبية.. كان يعيد النظر في كتاباته بشكل مستمر حتى إنّ كل طبعة من مؤلفاته، تختلف بعض الشيء عن الطبعات الأخرى..

وفي عام ٩١٣١ نشر مجموعته الشعرية التي تحمل عنوان (الجاذبيات) والتي اعتبرها النقاد إحدى أهم المجموعات الشعرية الفرنسية في القرن العشرين..

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية هاجر (جول سوبرفيل) إلى الأورغواي بعد معاناة كبيرة من الفقر والمرض.. وخلال هذه الفترة التي دامت سبع سنوات، كتب العديد من الروايات والأشعار والمسرحيات.. وقد نال شهرة كبيرة في فرنسا وفي الأورغواي، لأعماله الأدبية المتعددة، والتي

اتسمت بطابع الرومانتيكية التي تتمثل في موقف الإنسان، من عالمين مختلفين هما فرنسا والأورغواي.

ومن أشهر قصائده، هذه القصيدة من مجموعته الشعرية التي تحمل عنوان (**رصيف الميناء**).

لكم دارت بي طرقاتك البعيدة، أيتها الأرض الجميلة التي لا تكف عن الدوران؟.

لكم غمرني الترحال بالذكريات المهاجرة، وتحرر قلبي من جميع الروابط الخائنة،

وتبعثر في كل مكان، وقد مزقته الراحة والرفاه، وأضنته الصيرورة كل حين..

لكم نسجت لنفسي من ربيع تغمره المدن والجبال، في ظلال الينابيع الساحرة والمغاور المهيبة!.

وعرفت عبر الفضاء نقلة الخطاف والنسر، مثلما يتنقل إيقاع الناي من نغم إلى نغم..

لكم بسطت غابات أيامي في أفقٍ نهري رحيب،

ومددت الغار الثلجي من قمم الجبال، إلى ذيول التلال المنحدرة إلى قدمي، بكل أخضر راعش من أعشاب السفوح!..

ومثلما تتكسر أضواء السماء، في منعطفات الفصول، كان قلبي يكتشف في أعماق ذاته،

آثار الخطى الثقيلة على الثلوج، في جزر الصقيع الضائعة، عند ناصية القطب الكثيف..

لقد وضعت قدمي على قلب الليل، وكنت الإنسان المأخوذ بشبكات النجوم المنصوبة، في ميادين السماء.

وجهلت الراحة التي يعرفها جميع الناس، وكانت الآفاق البعيدة تنتهبني، وتفترس حتى أمن الرقاد..

فيا أيامي العارية من كل طلاء، لقد نصبوا لك الصليب، ويا أيتها العصافير المرتعدة في هواء الغابة الندي... لقد قدروا لك السقوط عن أغصان الشجر!.

ماذا تستطيع شجرة الحور الوحيدة تحت النجوم؟..

والعصفور الحالم على الغصن العاري، منكس الرأس، مشبوح الجناحين،

ماذا يستطيع مع الشجرة الصماء؟. ماذا تستطيع الأجنحة والأغصان في هذه العزلة الهامدة..

تهوّم عليها ذّرات السكون، وتحميها حلقة النسيان، إلى أن تطلع الشمس..

إلى أن تتوَّجها الذكريات المستيقظة، وتنسج لها من الأحلام والظلال
حكمة النهار الوليد؛ أن تذوب الجوانح في تألق الأشياء..

سمعت خطوات قلبي، يبتعد في المجهول، خطوات مسرعة يغريها الرحيل..

ناديت قلبي وهو يسلك طريق الضياع، فلم يكترث بندائي، وتلاشت خطواته في البعيد..

أين يمضي، في هذه الغمرة من الهلع العجول، دون أن يرى المساء والفجر،

أين يمضي دون أن يعرف أن أشياء كثيرة يمكن أن تفهم، لو أنه تريث بعض الزمن؟.

سوف يذهب، ولكنه لن يمضيَ بعيداً..

لأنه لن يملك القوة، التي تحميه من لهاث التعب، لن يقوى على إطفاء النور، حين تدعوه همسات الرقاد،

لن يستطيع أن يتجاهل النهاية المرتقبة، وأنه من أجلها قد رحل؛

فإذا استطاع أن يبسط صقيع الهجران مع كل شيء،

فلن يهجره الموت الذي كان في الأول والأخير!.

ذات يوم، سوف نقول معاً:

كان لنا عصر الشمس المتألقة، وكان الضياء كما نذكر يغمر كل حجيرة في كيان البشر: المرأة الطاعنة في السن، والفتاة الجميلة التي تعقلها الدهشة..

كان يعرف كيف يمنح الأشياء لونها الحي، منذ أن تمسها أنامله الرشيقة...

وكيف يمسح ناصية الجواد المتسابق، ويقف معه في نهاية المطاف، فحيث تكون ظلال الحواجز تهدأ الحوافر الطليقة..

كان ذلك زمناً لا ينسى، وكنا على الأرض، نسقط تارة، ولكننا ننهض من عثراتنا معظم الأحيان.

وكثيراً ما كنا نحدث جلبة السقوط، حين نسأم الملذات، ونحنّ إلى الأحزان الداهمة..

وكنا نتلفت إلى جميع الجهات، لكي نتيقن بأن لنا عيوناً تبصر الأشياء..

ونصغي إلى جميع الأصوات، لكي نتأكد أن آذاننا تفهم دقائق الإيقاع، في اهتزاز الهواء..

وكنا نسمع خطى الصديق أمام المنزل، الصديق الذي عرفناه وأحببناه.

كنا نلتقط الزهرة بنبضة يدنا، كما نلتقط حصاة صقيلة.. وعبثاً كنا نجمع في أيدينا أمواج الدخان..

مثلما نفعل اليوم.. بل إنه كل ما نستطيع أن نفعل الآن..

أيها الإنسان التائه عبر الأجيال، ألن تجد يوماً من ينتسب إلى عصرك؟.

ألن ترى المعاصر ذات يوم؟..

إنه طيف يتتبع حقول الصبار، وما له من العمر ما يتجول في دمائك الهادرة..

إن له جبالاً غامضة ينحدر منها في إثر المجهول..

إنه ليجهل من أنت؟ ولا يعنيه العصر الذي تكون فيه، بل إن في نظراته المرتابة، جفاف الزمن في صحارى الرمال..

أتعرف من هو؟ أيها الإنسان التائه عبر الأجيال؟.

إنه الرقم الذي يمكن أن يلصق بجميع الجباه،

ولكنه يتنقل أبداً لأنه لا يرى إلا العيون المعصوبة،

فماذا نكون، نحن الآدميين، في جميع العصور، لولا أن الأرقام متشابهة،

لولا أن واحداً يولد حين يموت آخر؛

وأن الضياء الذي يخبو في قلب مظلم، يتبعثر في عديد من الظلمات التي تملأ قلوب الآخرين..

مثلما يتبعثر العدد إلى آحاد..

لقد كان في القديم كثير من الانفعال، وكانت العواطف دافئة مثقلة بالحنان.

ولكنها جميعاً أصبحت اليوم في صلابة الأخشاب.

كان كلام الناس مهذباً، أنيق النبرات..

وأصبح اليوم متشابكاً يعوزه التشذيب، أشبه بتشابك الأغصان في الغابة.

وكان الناس يرتدون الثياب الجميلة، حين يستيقظ الحب في قلوبهم السانجة،

فأصبحوا اليوم يتبرجون وقلوبهم يابسة أشبه بالهشيم الباهت،

لماذا انزلقت الأشياء الحارة إلى هذا الحضيض البارد؟

لماذا تتهيب الأشجار قدوم الفصول الجافة؟

لأن الأعصاب فقدت دماءها القرمزية،

لأن الشجرة لم تعد شجرة في الفصول الأربعة

* * *



الشاعر الفرنسي بيير لويس

Pierre Louys

١٨٧٠ - ١٩٢٥

نشرت مؤخراً دراسة عن الشاعر الفرنسي المعروف (بيير لويس) وكتبها الشاعر المعاصر (فرناند غريغ).. وعلى الرغم من الدراسات المسهبة التي كتبت عن (بيير لويس) كشاعر غنائي وقصصي حار الأسلوب، فإن (غريغ) قدم في هذه الدراسة معلومات تفصيلية هامة، عن حياة الشاعر وإنتاجه.. ذلك أنه كان من الأشخاص المقربين إليه، عدا الصلة الأدبية المتينة التي كانت تربط بينهما..

كشف (غريغ) عن جانب النبوغ المبكر في إنتاج (بيير لويس). فاعتبره من الظواهر الفاجعة في حياته الأدبية، ذلك أنه انتهى كشاعر في وقت مبكر أيضاً.. والمعروف أنه نشر أغاني (بيليتس Bilitis) في الرابعة والعشرين من عمره، و(أفردويت) في السادسة والعشرين، و(المرأة واللعبة) في الثامنة والعشرين، و(الملك بوزول) في الحادية والثلاثين، ثم كتب خلال ذلك قصائد متفرقة. ثم توقف عن الإنتاج الجيد طوال عمره.. فقد قضى ثمانية أعوام بعد ذلك في صمت عقيم.. يقول (غريغ):

- في أقصر حقبة من عمر الفنان استطاع (بيير لويس) أن يضيف إلى النثر الأدبي تراثاً رائعاً.. إن العذوبة التي تفيض بها كلماته ليست أمراً عادياً، بل هي ثمرة تجربة أدبية عميقة الجذور، وإن كانت قصيرة الأجل.. هذه

التجربة هي أن (بيير لويس) جعل النثر تعبيراً عن إيقاع الحياة بكل حرارتها... الحياة كما اندمج فيها هنيهة هنيهة.. كان يستغرق في جميع الأشياء المحيطة به، المقاعد والأزهار وانسياب النور على الشرفة... كان يستيقظ في ساعة مبكرة من الصباح كي يتأمل الفجر.. كان يقول: إذا كان لي أن أموت ذات يوم، فلابد من أن أكون سعيداً، إذا شعرت بأن نهايتي سوف تكون في حالة من الاستغراق، تستبيحني فيها أنفاس الفضاء الندية عند الصباح...

- ويشير (غريغ) إلى الحياة الفوضوية التي كان يحياها (بيير لويس)، فهو لم يكن قادراً على الخضوع لأي نظام، وكانت غرفته سديماً من الأوراق والكتب والأشياء القديمة، ومع هذا لم يكن يتذمر من هذا الجو، بل كانت فعاليته تزداد كلما أحس أن العالم من حوله، أصبح أكثر تشعثاً واضطراباً،كان يستعين على هذا بالموسيقى الصافية التي قال عنها مرة: إن هذه الألحان النقية قد صقلت كل ما كتبت في حياتي..

يقول بيير لويس في **قصيدة بعنوان (أغنية)**:

قالت:

لقد منحني الأول قلادة من اللؤلؤ،

ثمينة جداً، تقدر بثمن مدينة بمعابدها وقصورها،

وكنوزها وعبيدها،.

وكتب الثاني لي قصيدة،

قال لي فيها بأن جدائل شعري فاحمة السواد، كالليل..

وأن عيني تلمعان بزرقة كزرقة النهار،

وكان الثالث رجلاً وسيماً،

وسيماً إلى درجة أن أمه كانت تحمر خجلاً

حين تقبلّه..

وضع يده علي، وقبلني،

فأنت، أنت الذي لم تتفوه بكلمة،

ومنحتني الانطباع بأنك رجل مسكين وبسيط،

وبأنك لست وسيماً،

إلا أنك أنت، أنت من أحببت...

* * *

وفي قصيدته (مطر الصباح) يقول:

بدأ الليل بالتلاشي

وأصبحت النجوم بعيدة بعيدة

والآن ذهب العمال إلى مأواهم مع عشيقاتهم

وأنا ما زلت أكتب أشعاري على الرمل،

تحت مطر الصباح..

أوراق الشجر تساقطت فوق المياه البراقة،

التي جرفها تيار صغير، يحمل التربة والأوراق المتساقطة،

في ممرات صغيرة،

وقطرة قطرة من المطر،

حفرت في أغنيتي آثاراً عذبة،

آه، كما أنا حزين ووحيد، هنا،

الأصغر مني لا يلتفت إلي أبداً،

والأكبر مني لم يعد يتذكرني،

ولكن أطفالهم وأحفادهم سوف

يتعلمون أشعاري ويرددونها،

وهناك شيء آخر، فلن تقول (تاييس)
ولا (كليكيرا) ولا غيرهما، عندما تغزو الشيخوخة
خدودهم الجميلة، بأنهم سوف يقعون بالحب بعد رحيلي،
ولكنهم سوف يغنون أشعاري سوية في الظلام...

وفي **قصيدة حب** يقول بيير لويس:

وأسفاه...! إذا فكرت بها: فإن حلقي يجف
ويداي ترتعشان.. وأنفاسي تتلاحق وترتجف
وأصرخ وأنا أمشي..
وإذا رأيتها: يتوقف قلبي وترتعش يداي،
وتتداعى ركبتاي وتتجمد قدماي،
وتتصاعد إلى وجهي حمرة اللهيب
وأشعر بالعذاب...
وإذا لمستها: يصيبني الجنون
وتتجمد أطرافي وقدماي
أذهب إلى غرفتي مثل امرأة تصارع الموت
وأشعر بأنها جرحتني بكل كلمة قالتها.
فحبها عذاب، وألم عميق لي وللذين يمرون ويسمعون شكواي
وأسفاه...! كيف يمكن لي أن أدعوها حبيبتي؟...

* * *



الشاعر الألماني جاك بول ريختر

Paul Riehter

١٨٢٥ - ١٧٦٣

نشرت مؤخراً بعض القصائد للشاعر الألماني (جاك بول ريختر)، الذي تتميز قصائده الغنائية بالعذوبة والجرس الموسيقي، وتزخر بالعاطفة الصادقة.

ولد (جاك بول ريختر) في إحدى مقاطعات ألمانيا عام ١٧٦٣، كان أبوه عازفاً للأورغ ومدرساً وكاهناً في الكنيسة.. وعندما بلغ (جان بول) الخامسة عشرة من عمره توفي أبوه تاركاً له عائلة في وضع مالي صعب، وقد عاش مع أجداده حيث تعلم القواعد واللغة، مدّة خمس سنوات وأصبح بعدها أستاذاً لعلم اللاهوت والفلسفة في مدينة ليبزغ، إلا أن ميله للأدب جعله يترك تعليمه ويبدأ بكتابة الأدب، ونشر بعض كتبه.. وأخذ النقاد يهتمون بكتاباته، ورواياته، مما فسح له المجال ليدخل في الأوساط الأدبية باحترام بالغ..

في عام ١٧٩٨ انتقل إلى فايمار حيث تعرف بكبار الأدباء والمفكرين مثل (غوته) و(هردر) و(شيلر). وفي عام ١٨٠٠ تعرف بفتاة تدعى كارولين ماير، وتزوجها بعد عام. بعد ذلك انتقل إلى هايدلبرغ حيث نال شهادة الدكتوراه الفخرية لدراسته بحثاً معمقاً عن الفيلسوف (هيغل)..

توفي (جاك بول ريختر) عام ١٨٢٤ بعد أن فقد بصره.

ومن قصائده **قصيدة (الرماد)**:

أفكاري تهيمن عليّ،
تأمرني أن أتذكر عندما يتعين النسيان،
أنطق بكلمات تائهة،
فكلماتي تعترض سبيلي...
لم أعد أستطيع تحمل المزيد
أود أن أبتعد، أن أتلاشى
بعيداً عن ذاتي،
أصرخ، علّ أحدهم يلحظ وجودي
واستمر مع ذلك في الاختباء،
لست أدري ما ينبغي أن أشعر به،
سأحاول القيام بما هو لائق،
إذا لم يكن هناك مدعاة للخوف
سوف أفسر نفسي كي يمر اليوم
بما يثقل روحي من أسى وقلق وآلام،
كثيراً ما اضطررت لمعاناة أمور وأمور،
يشعر الناس أنني أسيء الحكم على حياتي
فهم يجهلون ما يعتلج في أعماقي...

لدى عودتي إلى المكان،
تراءى لي ثانية الحكمُ المتجسد في فكري،
بنيت زنزانتي

بجدرانها الأربعة التي تطبق على صدري،
أصبح كل ذلك ورائي
لا يمكنني القيام بذلك بعد الآن،
مع ذلك، ما زلت هنا،
أخشى الذهاب، بينما
روحي تغمرها كومة من رماد،
ولا شعور أفضل من الخدر

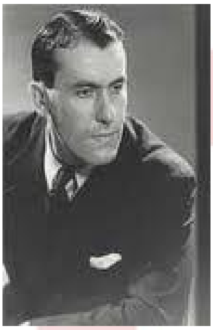
ومن أشهر قصائده قصيدة (**الزهرات الثلاث**) يقول فيها:

- أبصرت اليوم في حديقتي ثلاث زهرات،
تفتحت فجأة، وطفقت ترقص رقصاً عجيباً تحت أشعة الشمس.
تأملت تلك الزهرات الثلاث.. وخفق قلبي..
تذكرت أنها لن تعيش أكثر من ليلة واحدة،
فقلت في نفسي: إن من يعيش ليلة واحدة فقط،
لابد أن يعرف إلى أين يمضي..
وأردت أن أعرف من زهراتي الثلاث مصيرها،
فدنوت من الزهرة الأولى وقلت لها:
حدثيني عن مصيرك، وما سيحل بك غداً...
فقالت الزهرة وهي ترقص:
سيقطعني عاشق ولهان ثم يقدمني إلى حبيبته الغالية:
فتدسني في صدرها، وأموت هناك ناعمة البال..
وألقيت السؤال نفسه على الزهرة الثانية:
فقالت وهي تترنح وتوشك أن تسقط

ستحملني أم ثكلى، وتضمني في باقة كبيرة،
ثم تضعني على قبر ابنها الوحيد، فأموت في الصمت الغامر،
وأنا أتطلع إلى الله وأبكي...
ورددت السؤال أيضاً على الزهرة الثالثة
فقالت الزهرة الثالثة وهي تضرب الهواء بأوراقها،
كأنها توشك أن تطير..
أما أنا أيها الشاعر فلن أموت وأنت حي..
أنت الذي خلقتني، أنت الذي أبدعت جمالي،
أنت سمائي التي لن أشك لحظة، أني سأبعث فيها،
وأرى ضوءها الساطع في شِعرك البديع..
فقبلّت الزهرة الثالثة وقلت لها:
أسفاه يا بنيتي: إن جميع أزهار شعري الخيالية
لا تساوي لمحة واحدة من جمالك الحي..
الله يا بنيتي هو الذي خلقك، وهو الذي سيبعثك،
ولست أنا..
ومهما كانت عبقرية شعري،
فمن المحال أن تنافس في إبداع الجمال عبقرية الله..

ولما أقبل الصباح، وماتت الزهرة الثالثة،
دفنتها بين صفحات كتاب عزيز..
ولم أعد بعدها أقرض الشعر..

* * *



الشاعر الفرنسي رينيه شار

Rene Char

١٩٠٧ - ١٩٨٨

نشرت أخيراً في باريس المجموعة الكاملة لقصائد الشاعر الفرنسي (رينه شار R. CHAR) الذي يعتبر واحداً من الشعراء الخمسة الكبار في الشعر الفرنسي المعاصر، هم (غيوم أبولينير) و(بليز ساندرار) و(لويس آراغون) و(سان جون بيرس).. والمعروف أن (رينه شار) هو من رواد الشعر الحديث، في الأدب الأوروبي بصورة عامة.. وقد بدأ حياته الأدبية شاعراً سوريالياً، كما كانت بداية (آراغون) و(بول ايلوار)، غير أنه ما لبث أن توجه إلى الروح الغنائية، فوضع ما يشبه المذهب الجديد في الأداء الشعري، وأطلق عليه اسم (التعبير العفوي) وكان ذلك نداءاً للشاعر الروسي المعروف (ماياكوفسكي).

- ولد (شار) عام ١٩٠٧ وبدأ حياته في وقت مبكر، فنشر مجموعته الأولى قبل أن يبلغ العشرين، وقد اشترك مع (بريتون) و(ايلوار) في كتاب في الشعر الحر، نشر بعنوان (أعمال مبشرة) ثم تعاقبت دواوينه الخاصة: المطرقة دون معلم، الليل في الخارج، ذكرى، باقون وحدنا، ورعب وسر..

وقد أدلى (رنيه شار) بحديث عن نشأته الأدبية وتطور فنه كما تحدث عن موحيات الشعر:

- الشعر الحق لا يأتي من الرخاء والسكون، إنه ثمرة الآلام اليومية الدفينة، التي نخاف التصريح بها، حتى لأنفسنا، بل نرفض الاعتراف بأننا نعانيها، ذلك لأن الشاعر هو رقيب على حماقات الآخرين، وغثاثة وجودهم، من دون ذلك لا مجال للحديث عن الشعر..

س- وتجربة الحياة؟ أليست هي الينبوع الحقيقي للشعر؟

ج- لا، ماذا يستطيع الشاعر أمام التجربة؟ إنه يحياها في عمق وعنف، ولكنه لا يرويها، إلا كما يفرضها عليه الإيقاع الشعري، ومن ثم فإننا عبثاً نسأل الشاعر عن حياته، إن مؤلفاته هي كل الحياة التي تؤلف نسيج وجوده، بل التي يحلم بأن تكون له أيضاً.

س- إن في قصائدك جميعاً نبرة من المرارة أشبه باليأس القاتم، فهل هي من طبيعة الشعر، أم أنها صدى للأحزان التي عرفتها في الماضي أو الحاضر؟.

ج- كل شاعر يحمل في أعماقه ما يشبه اللعنة، وذلك لأنه يرفض بطبيعته وبصورة عفوية، ما يقبل الناس عليه في نهم، وهي ليست صفة الشعراء فحسب، بل جميع اللذين حملوا معنى الإلهام.. (رامبو) مثلاً، (فان غوخ) وغيرهم.. والألم لا يصدر عنهم، بل إنه شيء بعيد عميق، حتى لنستطيع أن نقول: إنه يشبه العواصف المفاجئة التي يرسلها الأفق في أيام الصيف، دون أن يتوقعها أحد..

ومن قصائد رينيه شار **قصيدة (جبين الوردة)**:

رغم النافذة المفتوحة في غرفة الغياب الطويل،

ما زال عبير الورد ممتزجاً بالأنفاس، التي كانت تتردد هنا.

ها نحن، مرة أخرى، قادمون جدد إلى مملكة الحب، دونما خبرة.

الوردة! تبدد بأساليبها صفاقة الموت ذاته. لا يعيقها حاجز.

الرغبة ما زالت تنبض بالحياة، وجع على جبهاتنا التي يكتنفها الضباب.

من يسير على الأرض تحت وابل المطر، لا يخشى الأشواك في الأماكن المهلكة أو الموحشة.

لكنه إذا توقف ليقلب أفكاره، وأسفاه!

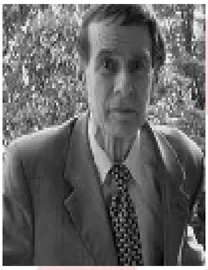
لسوف ينفذ فيه السهم، ويتحول إلى رماد بلمح البصر،

ويستعيد الجمال رامي السهام.

قصيدة إلى...

كنتِ حبيبتي لسنوات وسنوات،
دواري سبق الانتظار الطويل،
حب لا يمكن لشيء أن يبدده أو يطفئ ناره؛
ولا حتى من انتظر موتنا،
أو تعلم ببطء كيف يحاربنا،
ولا حتى ما هو غريب عنا،
حالات احتجابي وحالات عودتي هي سواء.
قيدنا، سلسلة جبالنا،
تألقنا وروعتنا التي تهيمن علينا،
تتلاحم كغطاء علبة خشبية،
وكفرصة كلها أحاسيس.
أقول فرصة، يا فرصتي التي أشبعت صدمات؛
يمكن لأي منا استيعاب
الجزء الغامض من الآخر،
دون كشف أسراره؛
والألم الآتي من مكان آخر
يجد انفصاله، في نهاية الأمر،
في جسد اتحادنا،
يجد مداره الشمسي، في نهاية الأمر
في مركز غيمتنا،
التي يمزقها ليعود ويبدأ من جديد
عندما أشعر بها، أسميها فرصة،
يتعين علي انتظارها،

* * *



ريكاردو بازيـرو شاعر من الأورغواي

Ricardo Paseyro

١٩٢٥ - ٢٠٠٩

يعتبر الشاعر (بازيرو) خليفة للشاعر الأسباني العظيم (لوركا). ولد (بازيرو) في مدينة ميرسيديس في الأوروغواي عام ١٩٢٥. فمنذ شبابه كان يكتب الشعر والرواية وذاع صيته في الأوساط الأدبية الإسبانية.. تزوج عام ١٩٥١ ابنة الشاعر المعروف (سوبرفيل) واستقر في مدينة باريس، وشارك في النشاطات الأدبية الفرنسية ، إلا أنه بقي متعلقاً بالأدب الإسباني وبأسبانيا التي كان يزورها على الدوام، ونشر في مجلاتها الأدبية قصائده وكتاباته المتعددة، كما قام بترجمة عدد من المسرحيات الفرنسية إلى اللغة الإسبانية، كما ترجمت أعماله باللغة الإسبانية إلى اللغة الفرنسية.

ثم عين (بازيرو) قنصلاً للأوروغواي في مدينة الهافر ومدينة روان لمدة خمسة عشر عاماً.. ثم عاد إلى باريس وعمل في القسم الأدبي لجريدة الفيغارو ومجلات فرنسية أخرى، وعندما نشر ديوانه الشعري في فرنسا، أحدث ضجة كبيرة في عالم الأدب الأوروبي..

يقول في قصيدة بعنوان (العودة):

عندما عدت، استقبلني ضياء حائر

وغمرتني روعة الأصوات المشرقة بالحب..

ولكن أين أمضي؟

لقد توقفت أفكاري عندما عدت،

وما يزال جسدي يحمل نور الألوان العابر،

الضياء الذي خلف جسدي بإيقاعه البعيد..

وعندما عدت، عادت ملامح وجودي اليائسة،

ملامح كخطوط الأرض المحروثة..

ومددت يدي للذكريات كمتسول شريد،

مددت يدي لصور الماضي..

ولكل ما أحبه قلبي ذات يوم...

ويقول في قصيدة أخرى:

الشمس لا تشرق ولكنها تحترق..

وضياؤها الأبيض يخضب الشجر بالأرجوان،

الذرى تلتهب، وحريق الأوراق المتموج،

يهدد الأعشاب الفتية..

ولكن أية رطوبة في الأعماق،

وأي اطمئنان..

الجذع أصبح رخاماً،

وفي الفضاء، حيث تشرق الشمس بروحها

ترفل الأغصان...

أما في قصيدته **(الجبهة) فيقول بازيرو:**

ما تجديني هذه النفس الرعناء،

وقد عرفت الجنون ذات يوم.

إنها الآن ثقيلة، وسجينة،

أهكذا نمضي كما لو أننا كنا نعيش،

وكان الزمان والمكان،

وكانت هذه الارتعاشات

غلافاً لنفسي، وثوباً للواقع الذي أحياه..

أن تعرف أنك ميت، ولكنك ما تزال تتنفس بهدوء

أن تصمت ولا تقاوم، وتتفتح شرايينك،

وتدع الألم يمزق عظامك..

ويفكك أعصابك ويحطم رعونتك،

أن تمضي كما لو أنك كنت تعيش...

تعرف عندها أنك ميت،

ولكنك ما تزال تتنفس في هدوء...

ويقول في قصيدة: **(في أعالي بحر الرياح)**

في كبد السماء الإلهية،

وحيث تتطاير الرياح على الأرض،

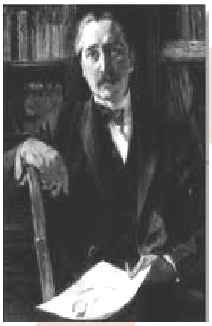
وحيث تكتب (فينوس) رسائلها،

بخيوط من الذهب والماس،

وحيث يتمايل (جوبيتر)،
وحيث يفتح صليب الجنوب ذراعيه،
لا يعانق بهما أحداً، إلا النجوم..

هناك تركزت عيناي المتعبتان
بين الأضواء، وبين الظلال الأبدية،
هناك تخليت عن الفكر الذي ينادي
بالتضليل والانهزام

* * *



الشاعر الفرنسي لويس فودوايه

Louis Vaudoyer

١٨٨٣ - ١٩٦٣

أعيد نشر المجموعة الشعرية التي تركها الكاتب الفرنسي (جان لويس فودوايه Vaudoyer) الذي يعدّ من الدعامات التقليدية للأدب الفرنسي المعاصر، على الرغم من أنه لم يحتفظ بالشهرة التي قدرت له في أوائل إنتاجه الأدبي.

وقد ولد فودوايه في عام ١٨٨٣ من أسرة كبيرة، ذات ماض ثقافي عريق، فقد كان أحد أجداده لأبيه من مؤسسي الأكاديمية الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر، وكان جده لأمه من منشئي مكتبة (هاشيت) المعروفة..

واهتم فودوايه أول الأمر في دراسة الفنون، ولكنه ما لبث أن ارتبط بصداقة عنيفة مع اثنين من الكتاب الشباب، هما (هنري دو رينيه De Regne) و(توليه Toulet) اللذين اكتشفا فيه موهبة الشعر. فبدأ في كتابته خلال الحرب العالمية الأولى، وعرفته الأوساط الأدبية شاعراً مبدعاً، قبل أن يتاح له نشر مؤلفاته النثرية، وكان أولها (مسرات إيطاليا) وقد كتب عنه أحد النقاد:

صفحات من النقد الجريء الذي يعبر عن حصافة صامتة باردة، تدين الناس والأشياء والأفكار، على نحو حاسم لا هوادة فيه...

ولكنها مع ذلك صفحات من الشعر والحلم.. تلك هي روح العصر كله. إن (فودوايه) ابن التربة التي أنشأت (مارسيل بروست)، التربة التي تجعل الوقائع الصغيرة، ذات ألوان متناسقة رائعة، تنضح بالموسيقى والعبير.

والواقع أن فودوايه كان صديقاً حميماً (لمارسيل بروست). وقد أثرت فيه هذه الصداقة، حتى إنه فكر بكتابة الرواية في أول يوم تعرّف فيه بالروائي العظيم، وحين نشر رواياته كان حادثة أدبية خارقة، لقد قال عنه أحد النقاد: إنه كتب الرواية لكي يقول شعراً..

وأشهر رواياته (رفاق الحلم) (الملكة المغمى عليها) (العشيقة والصديقة) و(الحب المقنع).

ومنذ عام ١٩٢٥ تحول فوداويه إلى الشعر من جديد. فنظم عدة مقطوعات من أجل الغناء، وكان إنتاجه في هذه الفترة خصباً، وفي عام ١٩٢٨ نال الجائزة الأدبية للأكاديمية الفرنسية، ولم يلبث أن انتخب عضواً في الأكاديمية، خلفاً للكاتب المعروف (ادمون جالو Jalaux)، وقد ترك إلى جانب مؤلفاته الأدبية عدداً من الدراسات في النقد الفني، كما عني خلال حياته الأدبية بالمسرح الشعري. فقدم إلى الفنان الروسي الأصل دياغيليف باليه شعرية هي (طيف الوردة).

وهي باليه عن قصيدة (طيف الوردة) التي وضع موسيقاها (كارل ماريا فيبر) على لحن أوركسترالي للموسيقي (هكتور برليوز). وقد قدمتها فرقة (دياغيليف) للبالية الروسية في مونت كارلو عام ١٩١١.

وهي قصة فتاة جميلة تعود إلى بيتها من حفلة راقصة وهي تحمل بيدها وردة، عندما تغفو على المقعد، تحلم بأنها ترقص مع روح الوردة، إلى أن تختفي الروح من خلال قفزة مسرحية من النافذة... ثم تصحو الفتاة والسعادة تغمرها.

وقد عمل الشاعر (فودوايه) على إعادة كتابة هذه القصيدة (طيف الوردة) التي كتبها الشاعر (تيوفيل غوتييه) لتصبح بالية شهيرة.. وتعتبر هذه البالية من أشهر مقطوعات الباليه الكلاسيكية في القرن العشرين.

وعلى الرغم من أن الطابع الكلاسيكي المحافظ يهيمن على إنتاج (فودوايه)، فإن رشاقته في الأسلوب والروح الغنائية، التي عبر بها عن أدق

تفاصيل الحياة، تجعلانه في طليعة المجددين في الأدب المعاصر، وقد توفي عام ١٩٦٣ بعد مرض عضال بدأ يشكو منه منذ عام ١٩٥٨. وقد منع عنه سعادة الحياة، ولكنه لم يمنعه من الإبداع.

يقول في **قصيدة (هذه العذوبة العظيمة)**:

هذه العذوبة العظيمة
وهذه الحرارة العظيمة،
هذه أو تلك، قد ماتت في قلوبنا الآن
إنني لم أعد أرى من أبدع زهوة شفتيك،
ومضت النظرات كما مضى المسافرون
غداً لن أكون شذى عطرك أبداً،
ولن أكون ظلك أيضاً،
وستمضي الأيام، ويتلاشى العطر،
مثل ملاك يتلاشى،
ولن نحتفظ أبداً بذكرى واحدة مشتركة،
إن شهود الماضي تحجروا من الغبار
أكثر من الرياح
إن رمادنا خفيف، كجناح للحب
وشبح للموت
شهود الماضي عملوا على تدميرنا،
وقضوا علينا دون أن يبذلوا أي جهد...

* * *



الشاعر السويسري بليز ساندرار

Blaise Sandrar

١٨٨٧ - ١٩٦١

تحتفل الأوساط الأدبية في سويسرا بذكرى شاعرها الكبير (بليز ساندرار) الذي أحرز الجائزة الأدبية الكبرى لمدينة باريس. وقد ولد ساندرار عام ١٨٨٧ من أب سويسري وأم سكوتلاندية، وقضى أعوام حياته الأولى مع أسرته في التنقل، فكانت طفولته في مصر ثم نابولي، ثم استقرت الأسرة أخيراً في (مونترو) في فرنسا..

بدأ دراسته عام ١٩٠٢ في مدرسة للتجارة، ولكنه لم يتحمل هذه الدراسة، فهرب في أحد القطارات إلى مدينة بال بسويسرا، وكان هذا الفرار بداية مغامرته، فقد تخلى عن أسرته، وانتقل إلى برلين وهامبورغ، ومدن عديدة من أوروبا، ثم تعرف في مدينة ميونيخ بتاجر للمجوهرات اصطحبه في رحلة إلى أنحاء أوروبا.. وحين بلغ التاسعة عشرة من عمره، قام برحلة إلى روسيا، ورحلتين إلى الصين وأصفهان، وجاب صحراء العجم بأسرها.. وكان في روسيا خلال اضطرابات عام ١٩٠٥.

- وفي العشرين من عمره تعرف بكاتب قصصي شعبي اسمه (غوستاف لوروج G. lerouge) فشجعه على الكتابة، ولكن نزعته إلى التشرد لم تتح له البدء بالتأليف، فسافر إلى لندن مع إحدى فرق السيرك، واشتغل بهلواناً في إحدى قاعات الرقص، وفي لندن تعرف بالممثل المعروف (شارلي شابلن) وسكن معه في غرفة واحدة، طوال شهور العام.. ولكنه سئم العاصمة

الإنكليزية، فانتقل إلى روسيا من جديد، واستقر في مدينة (نيجن نوف غورود)، حيث كتب أولى رواياته وهي (أسطورة نوف غورود)، ولكنه لم يستطع أن يطبع منها أكثر من أربع عشرة نسخة على ورق أسمر، وقام برحلة إلى كندا والولايات المتحدة.. ثم عاد عام ١٩١٠ فاشتغل عاملاً بشركة اورانيوم في انفرس..

ولكنه لم يقاوم رغبة الرحيل طويلاً، فسافر ثانية إلى أمريكا، عاد بعدها إلى باريس، حيث اتصل بالشاعر (ابولينير)، وكانت حياته في باريس شقيةً بسبب الفقر، ولم ينقض عامان، حتى عاد إلى نيويورك بحثاً عن عمل، وتشرد في شوارعها طوال أسابيع، قضاها جائعاً، ينام في الأماكن المخربة، ويتعرض لعواصف الثلج..

- وفي إحدى الأيام استمع إلى مقطوعة (ميس) (لهاندل) في إحدى الكنائس، فنظم أولى قصائده: عيد الفصح في نيويورك، التي بدأ بها حياته الشعرية، وقد نشرها في إحدى صحف باريس في نهاية العام. ثم بدأ يكتب القصائد.. وفي عام ١٩١٣ نشر كتاباً عن انطباعاته في سيبيريا، فلقي شهرة في الأوساط الأدبية والفنية، وأتيح له بعد ذلك أن يرتبط بصداقات مع مشاهير عصره، كان منهم (بيكاسو) و(مودلياني) و(ماكس جاكوب) و(سترافنسكي) و(ديلوني) وحين نشبت الحرب العالمية عام ١٩١٤ انضم إلى الفرقة الأجنبية، من أجل المغامرة لا أكثر. فجرح في إحدى المعارك بقنبلة، هشمت يده اليمنى، فنقل للمستشفى، وهناك زاره أبوه، ولم يكن قد رآه منذ ستة عشر عاماً، وعبثاً حاول إقناعه بالعودة إلى الأسرة، وخرج (ساندرار) بيد واحدة بعد أن رفض أن يضع يداً اصطناعية، والغريب أنه اندفع بعد ذلك في هواية الرياضة، وكان يشترك في سباق السيارات بيد واحدة،

- وفي عام ١٩١٦ نشر كتاب (حرب اللوكسمبورغ) ثم قصة رحلة في الجبال.. وكانت الأوساط السينمائية قد التفتت إلى موهبته، بسبب أسلوب المغامرات الذي كان يكتب به، فكلف بوضع سيناريو لأحد الأفلام، وتحسنت

أحواله المعيشية بعد ذلك، ولكنه لم ينسَ الشعر والمجازفة.. وبين عام ١٩١٧ إلى عام ١٩٢٤ قام بعدة رحلات إلى آسيا وأمريكا الجنوبية، ونشر أشهر دواوينه الشعرية (تسع عشرة قصيدة، ومن كل العالم) ثم وضع أشعاراً غنائية لباليه (خلق الكون) للموسيقي (ميلهو) ووضع الديكور في هذه الباليه الفنان (ليجير)..

ثم سافر إلى البرازيل حيث استوحى كتابين (أوراق الطريق) وروايته المشهورة (الذهب).. وانتقل بعد ذلك إلى تشيلي وذلك بين عام ١٩١٦-١٩٢٦ وانصرف بعدها إلى الشعر، ونشر ثلاثة دواوين أشهرها (الآن). وفي عام ١٩٣٥ ألف قصة عن العصابات في أمريكا، كانت عاملاً على اتصاله بهوليود، ونشر كتاباً عن فضائح عاصمة السينما. وترك أمريكا على أثره وتطوع في الجيش الإنكليزي.. وحين نشبت الحرب العالمية الثانية اشتغل مراسلاً حربياً في الجيش، وألف رواية (الرجل المصعوق)، ثم أصدر ديواناً شعرياً جديداً بعنوان (اليد المقطوعة).. وفي عام ١٩٥٠ تعرف بممثلة كوميدية مغمورة وتزوجها، وألف بعد ذلك كتابين توّج بهما إنتاجه الأدبي الضخم، هما (رجال قادمون، وخذني إلى نهاية العالم) وتوفي عام ١٩٦١.

ويتميز أدب ساندرار بالعبارة الشعرية الغنية بالصور، والتعبير العنيف عن الواقع، وعلى الرغم من أنه لم يكن ذا أثر كبير في الأدب العالمي، بسبب الحياة المضطربة التي عاشها، وعزوفه عن الاتصال بالأوساط الأدبية، ونزعته الفردية القاسية، على الرغم من هذا كله، فإنه يعتبر من الكتاب المبدعين، الذين يزدادون تأثيراً وقوة مع مر السنين..

وقصيدته عيد الفصح في نيويورك هي أشهر من أن تذكر، لما نالته من شهرة عالمية، وهي تعبر عن شاعريته أصدق تعبير، يقول فيها:

إلهي، لقد انساب الفجر بارداً مثل قطرات العرق.

وبسط أجواز السماء،

وهي عريانة في الفضاء...

وما تزال الضوضاء البعيدة،
تتصاعد من المدينة...
ما تزال القطارات تقفز، وتزمجر وتنطلق
والمترو يتدحرج تحت الأرض، ويهدر
والسكك الحديدية تدفع الجدران..
والمدينة ترتعد... صيحات من النار والدخان
ونفير البخار في لهاث مبحوح
شعب محموم بعرق الذهب..

الشمس وجه السماء، تلوثها التفاهات
وها أنذا يا إلهي أعود وحيداً، متعباً،
حزين الروح،
غرفتي عارية كالقبر
وفراشي بارد كالثلج..
وحيد منعزل، تنهشني الحمى،..
أرفع عيني إليك يا إلهي.. وأصر بأسناني
والصقيع يتجول في عروقي...
ومئة ألف خزروف تدور أمام عيني
لا.. بل مئة ألف امرأة
بل مئة ألف كمان..
أفكر بساعاتي التعيسة، بساعاتي الذاهبة،
أفكر برحمة السماء...
لم أعد أفكر بشيء.. لم أعد أفكر.

ويقول بليز ساندرار:

في قصيدة غروب الشمس:

الناس جميعاً يشيدون بجمال غروب الشمس

المسافرون جميعاً يصفون روعة غروب الشمس على البحر،

وأكوام من الكتب تتحدث عن غروب الشمس،

عن غروب الشمس في المدن الإستوائية

وكم هي رائعة حقاً .. أما أنا فانني أعشق شروق الشمس أكثر

أعشق الفجر ولا أدع رؤيته تفوتني مرة واحدة ،

فأنا استمتع بجماله واقفاً على الجسر

وحيداً دائماً...

إلا أنني لن أصفه ولن أكتب عنه أبداً

لأنني سوف أدع هذه المتعة الجميلة لي وحدي فقط

* * *



الشاعر الإيطالي أوجينيو مونتالي

Eugenio Montale

١٨٩٦ - ١٩٨١

نوبل ١٩٧٥

منحت جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٧٥ للشاعر الإيطالي أوجينيو مونتالي Euginio Montale نظراً لأعماله الأدبية الأصيلة والعميقة، على حد تعبير الأكاديمية، والتي أعطت قيماً إنسانية كبيرة، وتعبيراً واضحاً عن مفهوم الحياة الطليقة، التي لا يشوبها الغموض، وذلك بما يتمتع به من حساسية فنية مرهفة...

وقد كان اختيار أوجينيو مونتالي لنيل جائزة نوبل للآداب مفاجأة كبيرة للأوساط الأدبية نظراً لعدم شهرته الكافية في البلاد الأوروبية.

- ولد مونتالي في جنوة عام ١٨٩٦ وبدأ حياته الدراسية بدراسة الموسيقى، ثم عمل في النقد الأدبي قبل أن يستقر في فلورنسا عام ١٩٢٠، ليصبح مديراً للمكتبة الوطنية، وفي عام ١٩٣٩ طرده الفاشيون واضطهدوه، فانتقل إلى (ميلانو) ليعمل صحفياً وناقداً موسيقياً.. وخلال هذه الفترة أصدر ديواناً شعرياً بعنوان (عظام الحبّار)، وبدأ يتزعم مذهباً شعرياً عرف باسم (الشعر المبهم) ويتميز هذا المذهب بأنه تعبير عن التشاؤم المطلق، بلغة مكثفة وموجزة.. ثم أصبحت مؤلفاته أكثر غنائية في التعبير، على الرغم من أن القلق ما زال يسيطر عليه لمواجهة العالم الحديث.. وقد

كتب أجمل أشعاره في مجموعته الشعرية (سانورا) عام ١٩٦٢-١٩٧٠ وقد استوحاه من موت زوجته، وتضم هذه المجموعة عدة دواوين منها، المرأة، الفرص، وكزنينيا.

- **في ديوانه كزنينيا قصيدة إلى زوجته** يقول فيها:

- لا أستطيع أن أفهم أبداً
إذا كنتُ مخلصاً لك، مثل كلبك الأمين،
أو إذا كنتِ أنت مخلصة كذلك، بالنسبة لي..
ولكن ما أستطيع أن أفهمه، أنك لم تكوني هكذا أبداً للآخرين..
لا.. لقد كنت كالفراشة غير المرئية.
التي تختفي في الضباب...
كم كانوا بلهاء في مجتمعاتهم الراقية،
وكانوا خبثاء..
ولكنهم لم يعلموا أنهم كانوا أشبه بوبرة، في جنح الفراشة،
لم يعلموا أنهم كانوا مرئيين حتى في الظلام، وهم يختفون وراء أقنعتهم
كانوا مرئيين بحاستك التي لا تخيب،
وبإرهاف مشاعرك التي تشبه حاسة الخفاش المتميزة..

ويقول في قصيدة أخرى:

أذكر بكاءك وأنا أبكي أضعافه،
وهذا لا قيمة له،
وأذكر تدفق قهقهاتك وضحكاتك،

التي كانت أشبه بالعربون تحكمين به،
على قضاياك الخاصة بالشمول المطلق
ولكن واأسفاه لم يحدث هذا الحكم إطلاقاً.

- كتب (مونتالي) عن الحب، وعن الوحدة، وعن الأطفال، بلغة متينة تشبه لغة (دانتي) التي تطور أسلوبها لتصبح شعراً إيطالياً حديثاً.

لقد كانت سنواته الـــ ٧٩ التي قضاها في ميلانو، مغمورة أقل ما توصف به هو الشقاء.. ومما ساعد (مونتالي) على نيل جائزة نوبل هو صديقه الشاعر السويدي (اندرو اوسترلينغ) في الأكاديمية السويدية، إذ نقل معظم المؤلفات الإيطالية إلى اللغة السويدية، كما ترجم أشعار (مونتالي) أيضاً.. وترجمت قصائده إلى اللغة الإنكليزية، وطبعت أربع مجلدات له هي فراشة الدينارد، النتائج المؤقتة، أشعار مختارة وكزينيا، وتميزت أشعاره بحس مرهف، أظهر القيم الإنسانية في نظرة شاملة على الحياة، التي لا تشوبها الأوهام. وقد قالت الأكاديمية السويدية عن أعماله، بأنها تحمل شيئاً من السلبية المبنية، لا على كره الناس، بل على شعور ثابت لا يزول، لقيمة الحياة وكرامة الإنسان، وهذا ما أعطى مؤلفات (مونتالي) قوة أدبية في الحصول على الجائزة، إنه وجه شامخ من وجوه الأدب الإيطالي، وأحد أشهر شعراء الغرب، ولم يبدِ (مونتالي) أي ميل نحو السياسة، سوى أنه ضد الفاشية منذ حكم موسوليني، وبعد الحرب قام الرئيس الإيطالي (ساراغات) بتسمية (مونتالي) (سناتور مدى الحياة) وذلك عام ١٩٦٧ إلا أنه بقي بعيداً عن التدخل في السياسة، ويعتبر (مونتالي) أن الشعر هو الفن الوحيد الذي يستطيع الإنسان أن يبدعه، بقطعة صغيرة من قلم، ولا يتطلب شيئاً آخر أكثر من ذلك.

- ويعتبر (مونتالي) خامس أديب إيطالي يمنح جائزة نوبل للآداب منذ عام ١٩٠١، إذ نال الجائزة (جيوزوب كاردوتشي) عام ١٩٠٦ و(غراتسيا ديليدا) عام ١٩٣٧ ثم (لويجي بيرانديللو) عام ١٩٣٤ والشاعر الصقلي (سلفادور كازيمودو) عام ١٩٥٩.

يقول في **إحدى قصائده عن ديوان عظام الحبار**:

- كثيراً ما أواجه سقم الحياة:

سواء كان ذلك في التيار المتصادم وهو يتدفق، أو في الورقة الجافة المنكمشة.

أو في حصان سقط ليموت.

لم أجد الطيبة وراء النذير الذي يكشف عن اللامبالاة الرائعة،

بل كان ذلك في تمثال، في خمول الظهيرة،

في الغيمة، وفي الصقر الذي يحلّق عالياً...

ويقول مونتالي في قصيدة بعنوان عبر الدخان:

لكم انتظرتك في المحطة، مرة في البرد،

ومرة في الضباب، وأنا أقطع الرصيف جيئة وذهاباً،

وأنا أقاوم السعال، وابتاع الصحف المتشابهة،

وأنا أدخن حاني الرأس،

أواه، قد يكون القطار قد أخطأ الاتجاه،

واتجه إلى طرف آخر..

وأنظر بالوقت نفسه إلى العربات والحمّالين،

فقد تكونين بينهم، وراء حقائبك وقد تأخرت..

وفجأة أصحو لنفسي...

يا إلهي، إنها ذكرى... إحدى ذكرياتي العديدة،

التي كنت أتابعها في أحلامي...

ويقول في **قصيدة من هنا وهناك**:

منذ وقت بعيد ونحن نستعد كي نقدم أنفسنا للحياة،

لكن المشكلة، هي أننا لسنا دائماً كما نحن الآن..

كثيرون قد ماتوا، وكثيرون تغير جنسهم،

البعض طالت لحيته، والبعض تغيرت نبرة صوته،

أو تغير عمره....

إننا ننجرف نحو الهاوية، وكرامتنا تضيع، ولا شيء آخر،

منذ آلاف السنين ونحن ننتظر أحداً،

يحيينا، أو يصافحنا، أو يصفر لنا لا فرق،

ولكن بشرط واحد هو أن تعود إلينا طمأنينتنا،

أو لنتثبت بأننا ها هنا..

ولكننا مع الأسف لا نفكر بالفرنسية،

لذا فإننا سنبقى دائماً هنا أو هناك

ويقول في **قصيدة شهر بين الأطفال**:

يلعب الأطفال أحدث لعبة. بصياح وضوضاء،

الأطفال يقبضون بأيديهم على مستقبلنا نحن،

أنهم لا يلاحقوننا هم بأنفسهم،

بل بأجيالهم البعيدة..

الطفل غض ومتوحش، لا يعلم ما هو الفرق بين الجسد والرماد،

إنه لا يعشق الطبيعة بل يحتضنها...،

بين أشجار الصنوبر، ينصب الأطفال خيامهم،

ويتجولون كالعصافير...

إنهم لا يضربون بقوة، بل يكسرون كل شيء..

وبانسياب أوراق الشجر، يدخلون في أضيق الشقوق،

والأطفال وحدهم يتحملون مسايرة المسنين،

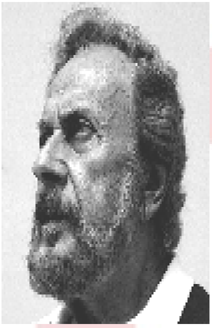
يحذفون الحواجز بينهم، يقفزون على أكتافهم،

إنهم لا يتساءلون على الإطلاق إن كان هناك وجود

أو عدم..

فهذه الثمرة القاسية كالبندق لا تعرف أنصاف الحلول...

* * *



الشاعر اليوناني يانيس ريتسوس

Yannis Ritsos

١٩٠٩ - ١٩٩٠

يعتبر الشاعر اليوناني المعروف يانيس رتيسوس Yannis Ritsos، من ألمع شعراء الجزر اليونانية.

وقد ولد ريتسوس عام ١٩٠٩ ونشر أول دواوينه عام ١٩٣٦ إلى جانب كتب متعددة، وقد عرف بأشعاره الغنائية، ولحن الكثير منها الموسيقي اليوناني ميكيس تيودوراكيس Theodorakis وقد ترجم العديد من آثاره إلى الكثير من اللغات العالمية، ومنها كتابه «البعد الرابع» ١٩٥٨ وشواهد ١٩٦٦ ومنزل للإيجار ١٩٦٧. وقد سجن ريتسوس بين ١٩٤٨ و١٩٥٢ بسبب نزعته اليسارية وأفكاره التقدمية، وحملته العنيفة على الاستعمار الغربي، واعتقل من جديد عام ١٩٦٧ ثم أخلي سبيله في خريف ١٩٦٨ بسبب المرض..

أما قصيدته الجديدة التي تحمل عنوان «اوريست Oreste» وهي أقرب إلى الملحمة الفلسفية يتناول فيها مشكلة العمل والعلاقة بين الحرية والضرورة... وأوريست هو الشخصية المعروفة في مأساة أوديب (لسوفوكل) يقف أمام قصر ميسين Mycenes حيث تعيش أخته (إلكترا) في شبه سجن، وهي نهبة للتأوه والانتحاب، ويتوجه اوريست بالكلام إلى صديق له يشرح له كيف أنه يعتبر الانتقام لأبيه، موقفاً دخيلاً على طبيعته، وأنه يرفض الجريمة مهما تكن لها من مبررات.. غير أنه يجد نفسه ملزماً بالقتل ولذا فإنه يعتبر

القاتل شخصاً آخر يتغلغل في كيانه.. إن كثيراً من الأعمال التي يقوم بها الإنسان وهو يستنكرها لا يجد لها تبريراً إلا إذا اعتبر نفسه كائناً آخر ــ غريباً عنه.. **يقول اوريست في القصيدة:**

- وحين ينتصر الآخرون بفضل ما نقوم به من أعمال، سوف نبكي معاً...

سوف نبكي على السيف الرائع
السيف المخضب بالنجيع،
سوف نذرف الدمع بمقدار ما بلغنا من المجد،
سوف نبكي هذا الرماد...
هذا الميت الذي احتل مكانه ميت آخر
وقد غطى وجهه بقناع متواضع من الذهب
قناع يبعث الاحترام.. وقد يكون منسياً
بشكله الكثيف...
في أن يقدم النصيحة ويعطي النموذج،
قد يكون مفيداً من أجل نشوة الجماهير
وخوف الطاغية،
والاستمرار الذي يمارسه التاريخ في بطء وهدوء،
في تعاقب الموتى والانتصارات،
ليس بالمعرفة المخيفة التي يعجز عنها الجميع
بل بالعمل الصعب والإيمان السهل،
الإيمان الذي لا ينحني..
الإيمان الضروري،

الإيمان الشقي الذي يستنكر كل حين

وكل حين تطبق عليه النواجذ والأظافر في النفس البشرية!

الإيمان الكامن في الضمير

الذي ينجز الأعمال الرائعة في هدأة السر

مثلما يعمل النحل في الظلام..

والمعروف أن أهم ما تضم مؤلفات الشاعر اليوناني يانيس ريتسوس **قصيدة طويلة نظمها في السجن يقول فيها:**

شتاء أغبر، ولون الرماد يهيمن على زوايا الأمكنة، ويغلّف كل ما يرى من الأشياء؛..

والبيوت رمادية، والشوارع والجبال الكدراء، والأشجار المنفردة هنا وهناك؛

وهذا الزورق الصغير وقد أُلقي على الشاطئ، مثلما جرده السابحون من شراعه، بين الضياء والمجون؛

أخيراً وجد مكانه المتاح، مع الصواري التي كسرتها الرياح، مع العزلة الغبراء، مع غمغمة البحر الأصم..

وجد مكانه في هدأة النسيان، مثل عجوز يتأرجح في دورة الزمان كرقاص الساعة في متاهة الأبد؛.

لقد أَلِف الأكواخ المهترئة تحت مخالب السنين، والرياح والسكون والخضم الرحيب..

ألف الحوانيت الهاجعة تحت لافتات من أحرف ما تكاد تقرأ، ولكنها توقظ الذكريات.

منذ سنوات، كانت الحياة مزهرة في هذا المكان؛

كان العابرون يرتدون الثياب الزاهية، وكانت الكؤوس تتلألأ بالنشوة،

وكانت العصور السحيقة تطل بالشرائط الملونة والأعلام المزخرفة..

حتى الأنقاض التي رعاها التاريخ كانت قبلة الأنظار، لأنها ضريح الحضارة.

ولم يكن لنا إلا أن نزيح ركام الهشيم، فنعثر على القمح الجيد والثمر الشهي؛

لم يكن لنا ألا نتلفت في الطريق فنرى هيلين الحسناء، وابولون الرشيق وجميع الآلهة الآخرين

لم يكن ثمة قبر للإنسان الذي يلمس شاطئ الغناء، إلا الرياح النقية تحمل الروح في أجواز الفضاء.

كان ذلك في الزمن القديم قبل أن يأتي مساء الصيادين الحفاة،

قبل أن يتجمد ضوء القمر على وجوه المكدودين، وتهمد اللهفة في عيون النساء،

قبل أن تتبسط رمال الساحل في شحوب الأطفال.. قبل أن يحلم المحبون بالموقد الوديع..

قبل أن تشرع الطرقات العتيقة ما تبقى من الثياب الممزقة..

قبل أن تتسرب العقاقير إلى خلايا الجسد..

لم يبق أحد للحصاد وقد جاء موسم الحصاد، فأين المناجل تلتمع في الأيدي الثابتة؟.

وقد طلع الصباح، ولكن العذارى يرتدين ثياب القديسات، والصغار ينتظرون على الرصيف خطوات السائح المترفة..

وفي كل ربيع تنبت الأعشاب المجنونة على الجدران، وترأب الصدوع لتمحو كل ذكرى..

ولكن من يستطيع النسيان؟.. كيف تتوارى الفراديس التي عاشت حقبة في خيال الآباء والأجداد؟.

أيمكن أن تكون قد ذهبت من دون رجعة؟.. أيمكن أن يكذب الماضي، أن تكون الذاكرة خدّاعة ماكرة؟..

لا.. إن أجيالاً شابة سوف تبعث بين الأنقاض المبعثرة،

وقد تضعف ذاكرتها كما حدث لنا، نحن، أبناء العصور، الخائبة،

ولكنها لن تفرّط مثلنا بالأعياد البهيجة والربيع النضير..

سوف توقظها أسراب الخطاف البيضاء وهي تنتشر فوق البساتين، في كتائب بديدة مثل سحاب الصيف..

لن تكون هناك هجرة، ولا مهاجرون؛ ولن تقفر الأسواق الصاخبة، ولا الموانئ ذات الصواري والأعلام..

والسماء الطليقة لن تفقد البهجة الضاحكة.

وفي كل منزل قديم، سوف تعلن النبالة العريقة عن ذاتها

كما لو أن السيوف قد سُلت من الأغماد..

كما لو أن القلوب الجريئة في امتحان صعب، أمام نداء البطولة..

ولكنها مجرد أحلام عابرة في الشتاء المثقل بالغيم والضباب..

وهل لنا ثمة شيء آخر، نحن أبناء العصر الأخير؟..

هل لنا غير أن نرتقب النجوم في الأعالي، أن نبرهن على أننا قادرون على الانتظار؟..

أن نتأمل الحكمة القديمة، ذات الأجنحة الذهبية، وهي تضرب في آفاق الأبدية؟.

أن نقول للرياح الأربع ما هبت على التلال الجرداء، وما اقتلعت في الحدائق من جذور الورد والياسمين،

أن نقول لها: نعم إننا ضائعون في متاهات الضوضاء، وهدير الآلات السوداء..

ولكننا أكثر حرية من جميع الذين نعموا بالحياة في سكينة الشجر والأزهار..

إننا نصنع الفجر يوماً بعد يوم.. نذرف دموع الكسل والسآمة.

نغني أناشيد الرغبة والحب المفقود..

لأننا لا نريد الحياة هبة من الأقدار.

ونكره أن نسند روسنا على وسائد موشاة ببريق الأفكار الحالمة..

مثلما فعل الفلاسفة الأقدمون، حين أرادوا أن يطفئوا شعلة القلب الملتهب بنشوة الحياة،

لكي يمنحوا الجسد المتعب شيئاً من راحة العشب، وانسياب الضياء في هدأة الظهيرة..

وإلاّ، ما الذي يعنيه كل هذا العذاب في شوارع المدن الكبيرة!..

لماذا نخيف الأطفال بدويّ القنابل؟ لماذا نمنع الحملان من ورود الينابيع الصغيرة في مراعي الجبال؟..

لماذا نصرخ في وجوه المحاربين: خذوا كل شيء ولكن دعوا لنا الربيع القادم.؟

لماذا نملأ المكتبات بالأسفار الجديدة عن مسرات الجسد، وكرامة الوجدان الطيب!..

لماذا تتشابك أفكارنا وتتصارع معتقداتنا، ونقتحم القاعات الفسيحة بالخطب الطوال؟

لماذا الجرائم والأخطاء؟ لماذا الحديث الصارخ عن الخبز والسعادة؟.

ما كان لنا كل هذا العناء، لولا أننا أشد مراساً من جميع الأوائل..

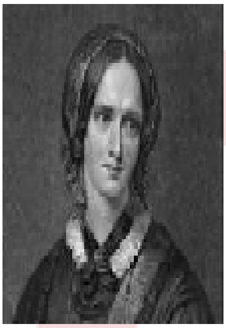
وإذا اغبرّ الشتاء، وهيمن الرماد على سطوح المنازل وزوايا الطرقات..

وإذا ارتعدت القوارب على الأمواج الضحلة في الشاطئ الرملي..

وإذا أصبح غصن الزيتون متوحشاً لا يحمل الثمر، ولا ينبئ بانحسار الغيوم..

فذلك لأن الحياة تملك المزيد من الأيدي الصديقة.

* * *



الشاعرة الإنكليزية أميلي برونتي

Emily Bronte

١٨١٨ - ١٨٤٨

كانت أسرة (برونتي) أسرة موهوبة ملهمة، عاش أفرادها منذ الطفولة في وحشة وعزلة، وتمتعوا بعبقرية فذة قدمت للأدب الإنكليزي درراً خالدة.

ولدت (اميلي) عام ١٨١٨ وقضت سنيها الثلاثين تئن تحت وطأة مرض السل، الذي حفر في صدرها كهوفاً، وألهمها أروع القصائد. كانت إميلي في طفولتها تحس بفراغ نفسي، ازداد على مر الزمن، فأصبح وحشة خطيرة تهدد آراءها ومعتقداتها وإيمانها، كانت صامتة تعيش في تحفظ دائم يحيطها بدرع قوي من العزلة، وأحبت الطبيعة وأغرمت بالبراري التي تشبهها في الوحدة والغموض، وبين أحضان الطبيعة يزايلها جمودها، فتبتسم وتمرح أو تستسلم لتأمل طويل، وكادت تلفظ آخر أنفاسها عندما أبعدت عن بيتها وحقولها، التي تجد في سكونها وغموضها، متعة لقلبها المحروم. وقد كتبت (شارلوت برونتي) عن أختها (اميلي) تقول: إن أختي (اميلي) تحب البراري، وفي أسوأ أركانها تبدو لعينيها زهور أزهى وأروع من الورد، وباستطاعة خيالها أن يخلق جنة من أي حجر حزين، في تلٍ أجدب لا لون له، وفي السهوب تجد متعاً عدة أهمها الحرية. فالحرية هي النسيم الذي تستنشقه (إميلي) وبدونه تفنى وتذبل. كتبت اميلي قصتها الشهيرة (مرتفعات ويذرنج)، هذه القصة التي عندما نشرتها باسم مستعار هو اسم (إليس بل) كتبت مجلة (النورث أميركان) تنقد هذا الكتاب قائلة: إن مؤلفها (إليس بل)

رجل نادر المواهب، ولكنه عنيد متوحش. وبعد هذا المقال بسنين تنبه العالم الأدبي فجأة إلى عظمة هذه القصة، وقوتها، وجمالها، ولكن اميلي كانت قد ماتت إذ ذاك فلم تتمتع بشيء من هذا المجد.

وقصة مرتفعات ويذرنج خشنة تسودها من البداية إلى النهاية روح رهيب شرير، وكتبت (تشارلوت) عنه معتذرة تقول: وأسوأ ما فيه أن روحه الخبيثة تبدو وكأنها نفثت سمومها خلال الكتاب، فتحتل كل مرعى وكل واد، وتطل من بين أغصان كل شجرة في المرتفعات. كانت (أميلي) تشعر بأنها طريدة يتيمة، لا تملك حق السيطرة على حياتها، وكذلك كان بطل مرتفعات ويذرنج صبيّاً يتيماً طريداً لا أسرة له ولا وطن. ويسيطر التشاؤم على شعورها ويتجلى هذا اليأس أيضاً في بطلة القصة، إلا أن يأس (أميلي) كان يختلف في مبعثه عما صورته في كتابها، وإن تشابه في الثورة والشدة، فهي تحب دون أمل سعيد، وتطوي حبها ولا تصارح به أحداً. وشعورها الثائر الغاضب منحها فلسفة حزينة، سمت بشعرها إلى أوج الجمال، وهو ما لم تستطع تشارلوت أن تصل إليه في أشعارها أبداً، فتشارلوت وضعت في كتبها جميع تجارب حياتها، ورسمت بدقة صور الأشخاص الذين عرفتهم، فموهبتها تصويرية فقط، ونبوغها ينحصر في قدرتها التامة على طبع الحياة ناطقة على ورق. أما (أميلي) فمبتكرة لا تخط ما تراه، بل تصف ما يعتمل في ذهنها، وما تصوره ملكة خيالها الجبارة.

وهذه القصة الشعرية تصور شعور (أميلي) نحو أختها واستحالة قيام الصداقة بينهما تقول فيها:

بين الأفراح والأحزان لا يمكن أن تقوم صداقة،

فالقلوب الحزينة، عبثاً تحاول أن تنعم بالصداقة، إذا تخلى عنها الآخرون،

أنا أعرف أن عينيك لا يمكن أن تجف وفي عيني دموع.

وأعرف أنها لا تستطيع البكاء عطفاً علي.

لنفترق إذن، فقد ولّى زمان تشابهنا فيه بالفكر والشعور،
وسأطوف وحدي عبر المحيط، وأهيم في الصحاري والبحار
ففي أمواجها الصاخبة، جزر ينطلق فيها الحزن.
وسيطيب لك الرقاد عندما تزول عنك رقابتي،
ولن تُرغمي على التظاهر والحزن والأسى كل صباح
مجاراة لليأس الذي أقاسيه،
وقلبك يفيض حماسة وسروراً... ويوماً بعد يوم، ستذهب عنك ذاكرتي الحزينة وتتلاشى، ويصبح لديك حلماً.

كانت (أميلي برونتي) تعتكف كل مساء في حجرتها الصغيرة، وتقرض الشعر سراً، لتخفف من أحزانها، وفاضت قصائدها بعاطفة عجيبة جياشة، فهي تنتظر روحاً يهبط عليها في هدوء الليل وظلامه، ليملأ فراغ حياتها، ولذلك توقد مصباحاً صغيراً وتضعه كل ليلة في نافذتها و تقول:

احترق إذاً أيها المصباح الصغير، ودع الضوء يلمع في وضوح
إني أسمع رفرفة أجنحة أظنها محرك الهواء،
إن من طال انتظاره قد أتاني،
أيتها القوة الغامضة، أنني أثق بقدرتك فثقي بإخلاصي.

كانت تحب أخاها وتعطف عليه، وتحزن من أجله، وقد أحبت (وليم وتيمان) وهو قسٌ صغير وطوت في قلبها عاطفة عميقة له، ولكنها لم تكشف عن حبها وتقول:

بدموعي الغزيرة التي سكبتها، وساعات حزني الطويلة،
سأكسبك يا حبيبي، وأنال قلبك من جديد.

وعندما مات نظمت **قصيدة وداع رائعة تقول**:

يا صديق شبابي، اغفر لي إن نسيتك... فغمرة هذه الحياة،

تحملني بعيداً، لأن رغبات جديدة،

وآمالاً أخرى تشغلني،

آمالاً قد تغشاك، ولكنها لا تستطيع أن تخفيك.

لن تسطع في سمائي شمس بعدك.

ولن تلتمع فيها نجمة،

فإن حياتي قد استمدت جمالها من حياتك،

ودفنت هذا الجمال معك في القبر..

وحزنت (أميلي) أيضاً على وفاة أخيها، وبكته طويلاً، وانكبت على أوراقها سراً تنعاه بقصيدة تعتبر من أجمل أشعارها تقول:

ما أقل الآن من يبكيك من القلوب الكثيرة التي أحبتك،

لماذا يثور الليلة قلبي بمثل هذا الشعور الحزين،

طالما جلست وحيدة اتأمل، وأهيم بأفكار لا تراها العيون،

تعاودني كلمة أو نغمة عابرة، من تاريخك الماضي العجيب..

فأراك أحياناً واقفاً أمامي من جديد، موهوباً عظيماً، ومن عينيك تشع الفضائل، التي تتوج هام الرجال..

إن شمساً ساطعة الضوء، تنير الشجاعة والصدق والقلب الكبير، وقدس وجودك، ومثل يوم رائع في صيف جميل،

لقد انتشر شراعك في الهواء جميلاً وابتدأت رحلة المجد.

فكان فجراً تكمن فيه العاصفة التي ألقت حياتك بعيدا،

رباه، كيف وثق الربان فوق زبد المحيط، وكيف بنوا الآمال وأسلموا السفينة لقيادة الشهوات، ظناً منهم أنها في طريقها إلى المرسى الأمين،

لقد كانوا يعرفون نذير الخطر.. وتجمع ضباب وظلام،

ولكن أي الصخور وأي الرمال تعيق الطريق إلى أرض الوطن، إن ضياء الشمس، وصحو السماء وجمال المحيط، وصخب المياه، وقسوة الريح التي دفعت بالشراع، إن هي إلا نذير للعاصفة غير عابثة.

ووقفت على الشاطئ وحيدة، أرقب في قلق زبد الموج يتكاثر بياضه، وبكيتك لعجزي عن الإنقاذ..

ما جدوى الكلام وقد انتهى كل شيء، سينساك الصديق والحبيب، ولن يبكياك... أما قلبي فسيظل حزيناً عليك يبكيك الى الأبد...

وبعد وفاة أخيها بثلاثة أشهر انهارت قوتها، وسقطت ميتة في ١٩ كانون أول عام ١٨٤٨. وعندما بحثت (تشارلوت) في أوراق أختها الراحلة وجدت قطعة تودع فيها الحياة وتقول:

ليس الخوف من عيوب قلبي، فما ارتجفت مرة لزوابع الحياة.

إني أرى مجد السماء يضيء دوماً أمامي، والإيمان يملأ قلبي اطمئناناً..

الأرض تفنى والناس تموت، والشمس تخبو ويتلاشى الكون..

وتبقى وحدك يا إلهي، يتمثل فيك الوجود...

لن يجد الموت شيئاً لأنه لا يستطيع أن يُفني ذرة، فأنت إله الوجود وأنت الحياة، وما تكون أنت لن يناله الفناء...

* * *



الشاعر الفرنسي جورج دوهاميل

Georges Duhamel

١٨٨٤ - ١٩٦٦

نشرت مؤخراً المؤلفات الكاملة للكاتب الفرنسي المعروف (جورج دوهاميل)، لقد بدأ (دوهاميل) حياته الأدبية بالشعر. فنشر في الثالثة والعشرين من عمره، أول ديوان له بعنوان (أساطير ومعارك)، وبعد ذلك بعامين نشر كتاباً من الشعر والنثر يحمل عنوان (الإنسان ذو الرأس)، وفي العام التالي أي عام ١٩١٠ نشر ديوانه (حسب شريعتي)، ثم كتب مجموعة من الشعر عام ١٩١٢ تحمل عنوان (الرفاق)، وكان آخر عهده بالشعر مجموعة من القصائد نشرها عام ١٩٢٠ بعنوان (مراثي).

وقد عمد (دوهاميل) في كتاباته الشعرية إلى الأسلوب التقليدي الذي يجمع بين رصانة الأداء وعمق التفكير. يقول مثلاً في **قصيدته (عزلتي) من ديوان (الرفاق)**:

ما كان أشبهنا بشجرتين متماثلتين،

تتوجهان معاً إلى أفق واحد،

هكذا كنا نتقاسم الطعام،

وننوء معاً تحت نفس الشدائد،

كان علي أن أكون وحيداً على الأرض

بعد أن دعوتك رفيقة لي،

أكان علي أن أتخلى عن عزلتي،

لكي أضمك بين ذراعي؟

مثل شجرتين متجاورتين.

تشابكت منهما الأوراق والجذور...

والنسيم الذي كان يهب علينا.

كان يحمل روحاً واحدة، وأريجاً واحداً..

لقد حملتك إلى عزلتي،

عزلة عميقة هادئة،

حتى أن غمغمات أنفاسنا،

كانت أضعف من أن تبعث فيها الحياة..

ومع هذا فإن الرياح التي هبت علينا طويلاً..

وحملت كل ما في قلبينا،

من خفقات غامضة،

كانت تبدد هذه الموسيقى الصامتة،

التي كانت تعبر عن حياتنا معاً،

أمام رغبة واحدة..

ويقول في الديوان نفسه (الرفاق) في قصيدة تحمل عنوان (مراهق):

- لا أستطيع أن أنصحك بأن تكون هادئاً

ولا أقدر أيضاً أن أقول لك:

كن سعيداً...

ولكنني أقترح عليك أن تنتظر،

فاليوم الموعود لابد آت...

ما دام هذا قد قدر عليك،

فلابد من أن ترتجف حتى هذا اليوم..

وحتى هذا اليوم، قدر عليك أيضاً

أن تصبر...

إجهد بنفسك، كما تفعل البذرة تحت الأرض..

حتى هذا اليوم.. إقبل أن تكون ضعيفاً،

وإن استطعت أن لا تخاف،

من أن تبقى طفلاً، أعواماً أخر،

فاحسب على الأقل، أن هناك أملاً،

في أن تصبح جديراً بأي مستقبل،

اذكر دائماً أنك لن تبقى صغيراً،

انتظر ذلك اليوم، واستمتع بضعفك...

ذات يوم سوف تشتهي بملء جوارحك

أن تعود أدراجك إلى الماضي،

وتبقى طفلاً إلى الأبد،

سوف يأتي ذلك اليوم...

ويقول في قصيدة من مجموعته (المراثي):

كانت الرياح تأتي من أعالي البحر المتوهج..

رياح من دون روح،

ودون ذكرى..

ولكنها نقية صافية،

ممتلئة بكل الفضائل،

حتى إنّها كانت تحمل إلينا في هبوبها،

نفحات رائعة من عالم الأبدية،

لماذا نحب البحر؟

لماذا نحب الرياح التي تهب على الأمواج؟

كل شيء هنا صاخب عنيف،

ومع هذا فإننا نلجأ إلى الشاطئ،

لكي نستمتع بالسكون...

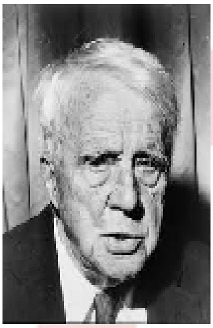
البحر هو الصمت الأبدي،

إنه يحمل إلينا دائماً صورة المستقبل،

حين يصبح الإنسان عازفاً عن الفعل والكلام،

حين يصبح جزءاً أهم من كائنات الطبيعة...

* * *



الشاعر الأمريكي روبرت فروست

Robert Frost

١٨٧٤ - ١٩٦٣

يعد الشاعر الأمريكي (روبرت فروست Frost)، أعظم شاعر عرفه العالم الجديد، بعد (إدغار آلان بو). ذلك أنه على الرغم من اتجاهه التقليدي في الإنتاج الشعري، كان من رواد التعبير عن التجربة المعاصرة في الشعر، بجميع متناقضاتها وحرارتها وأبعادها الفكرية والحسية.

ولد فروست عام ١٨٧٤ في سان فرنسيسكو، ولكنه عندما بلغ العاشرة هجرها إلى نيوانكلاند، حيث تحدر أجداده منذ ثمانية أجيال على حد تعبيره. وقد أتم دراسته في لورانس. ولم تبد عليه في البداية مظاهر الميل إلى الشعر، فامتهن عدة أعمال في وقت مبكر، منها العمل في أحد مصانع القطن، والتعليم والصحافة، وفي عام ١٨٩٥ تزوج. وقضى عامين في حياة عائلية مستقرة. ولكنه ما لبث أن شعر بالرغبة في الدراسة. فالتحق بجامعة هارفرد، وأظهر تفوقاً في الآداب الكلاسيكية لفتت إليه الأنظار.

والواقع أنه كان منذ التاسعة عشرة من عمره، قد أحس ميلاً جامحاً إلى الشعر، وأبدى رغبته هذه إلى جده لأبيه، الذي كان على جانب من الثقافة وقوة الشخصية. ولكن حدث أن حنق عليه هذا الجد لأسباب عائلية غامضة، وطرده من المنزل في نيوهامبشير. ولكن (فروست) لم يكترث لاضطراب وضعه المالي، والنزاع العائلي الذي كان يهيمن على أسرته. فبدأ يكتب

الشعر، وقضى إحدى عشرة سنة في نظم مجموعة من القصائد، لم يتح له أن ينشرها إلا عام ١٩١٣. إذ صدر ديوانه الأول بعنوان (إرادة صبي)، وأحدثت قصائده ضجة أدبية غير متوقعة بين شعراء ولاية جورجيا. وكان قد استقر من جديد في نيوانكلاند، واندمج في الأوساط الأدبية، التي كانت ذات حيوية في هذه المنطقة. وكان اتصاله الشخصي بالشعراء والنقاد، ذا أثر كبير في ازدياد شهرته، ذلك أن شخصيته المتميزة كانت تلفت النظر.

كتب عنه أحد النقاد إذ ذاك يقول:

- إن في هذه الملامح الشابة شيئاً كثيراً من حساسية الشيوخ أمام الزمن. وكلمات (فروست) سواء كانت مكتوبة أو ملقاة بلهجته الوادعة، هي أشبه بنواقيس خفية تنبّه الوجدان الغافي، إنها تشعرنا دائماً بأن عيون الأمريكيين يجب أن تتفتح على أفق جديد.

- وفي عام ١٩١٤ نشر ديوانه الثاني بعنوان (شمال بوسطن)، وكانت قصائد هذا الديوان على جانب من الروح الغنائية والصور العاطفية، أتاح (لفروست) أن يُعرف في أوروبا على نحو مثير، ذلك أن النقاد الإنكليز قدموه إلى الجمهور ليس كشاعر جديد، يفد إلى المواسم الأدبية، بل باعتباره صاحب مدرسة جديدة في شعر اللغة الإنكليزية على العموم.

- وبعد عام منح جائزة (بوليتزر) للشعر، ثم تعاقبت كتبه الشعرية تحمل في كل مرة نفساً جديداً، وعبقرية لفظية، قلما توصل إليها شاعر معاصر. فنشر عام ١٩١٦ (فاصلة الجبل) وفي عام ١٩٢٣ نشر (نيوهامبشير) وفي عام ١٩٢٨ (الجدول المنساب في الغرب) ثم جمع مختارات من قصائد نظمها بين عام ١٩٣٠ - وعام ١٩٣٩ ونشرها في كتاب ظهر باسم (قصائد مختارة).

- ومنذ عام ١٩٣٦ كانت أشعار (فروست) قد أخذت منحى جديداً هو التجربة الفلسفية، وعلى الرغم من أنه حافظ على الأداء الغنائي، الذي

أطلق عليه النقاد اسم (الروح الريفية) للتعريف بالطابع الخاص لشعر فروست. وعلى الرغم من حرصه الشديد على التناسق اللفظي والإيقاع التقليدي أيضاً، فإنه استطاع أن يقحم أعمق الأفكار الفلسفية في قصائده الجديدة. وتجلى هذا التطور في مجموعته التي نشرها عام ١٩٤٢، بعنوان (شجرة شاهدة) ومجموعته الشعرية الثانية التي نشرها عام ١٩٤٥ بعنوان (قناع العقل).

- وكانت آخر مرحلة من تطور الإنتاج الشعري لدى (فروست) العودة إلى النزعة الحسية التي تتوسل بالصور الفنية، للتعبير عن الفكرة. والواقع أن (فروست) لم يحاول في أي وقت أن ينقل الأفكار، بل التجربة الفنية وحدها، وفي ذلك يقول أحد النقاد:

- إننا نجد في أشعار فروست كل ما يريده الإنسان الذواقة، بل ما يحلم به القلب البشري في ساعات السأم والهم، وأوقات الانفعال والمرح أيضاً. لقد قال فروست مرة عن نفسه: إنه يرسم الأصوات في الشعر، ولكن لغته في الحقيقة ليست رسماً، بل هي التاريخ الحي للإحساس في جميع أطواره. وكلمة التاريخ هنا تعني الروح الدرامية. نعم إن (فروست) هو شاعر الدراما المعاصرة. إن قصيدته هي مسرح زاخر بالحركات والألوان، قد لا نستوعب ما يحدث عليه لأول وهلة. ولكننا نعرف في يقين راسخ أن هناك مأساة تعنينا، بل تمثل فصلاً نادراً من تجربتنا في الحياة..

- وقد انصرف (فروست) منذ عام ١٩٤٩ على إعادة النظر في أشعاره، ونشرها من جديد بعد شرحها والتعليق عليها، وعلى الرغم من أن مئات الكتب والدراسات قد ظهرت عنه، خلال هذه الأعوام الأخيرة، فقد كان حريصاً على العزلة والبعد عن الضوضاء.

يقول في إحدى قصائده:

- مزيداً من الحراس، ومزيداً من الاعترافات،
لست الإنسان الوحيد لكي يكترث بي العالم،
سواء كنت محافظاً أو داعية انطلاق،
سواء كنت شاب الروح أو عجوز الأفكار،
فما يعنيني أن أعرف كما ينبغي،
أن أكون تابعاً أو نموذجاً كثير الأتياع...
هل هناك فرق بين أوراق اللعب،
فلكل ورقة منها دور وقيمة،
حين يتحرك الذكاء على المائدة الخضراء..!!

ويقول عن نفسه في إحدى **قصائد (قناع العقل)**

- بين الصحارى التي نسجها عبر الزمان،
وأصبحت من ممتلكاته الرحيبة..
لم يكن يحلم بالواحات ولا بالنخيل،
كان يريد أن يبسط مكاناً بعيداً،
يتسع للأيام والشهور والسنوات،
وهل لنا أن نفعل غير ذلك،
نحن الذين نسمي أنفسنا النوع البشري،
هل نستطيع أن نطأ شواطئ المستحيل؟
أن نجبر العظم المكسور، ونمحو الغضون والأخاديد

عن وجه الحياة...؟

لا، ليس لنا أبداً إلا ما يبقى،

أجل، إن الأشياء الباقية هي كل ما نستطيع،

ومن ثم نريد دائماً أن نكون،

ما سوف نكون.

تماماً كما يفعل المحبون،

حين يطوون من صفحة الذكريات الصاخبة،

كل ما كان ينبوعاً للهم والألم والارتياب...

يقولون: ما دام الحب قد أشرع ستائره البيضاء

فلنرشف الكأس حتى الثمالة...

يقول روبرت فروست في قصيدة بعنوان **صلاة الربيع**:

امنحنا بهجة الحياة وسط الزهور المتفتحة؛

ارحمنا من التفكير بالآتي البعيد،

بحصاد اللايقين؛ دعنا هنا

نعيش بساطة تفتح الربيع.

امنحنا بهجة الحياة وسط بياض زهور البستان،

في النهار، وبين أشباح الليل؛

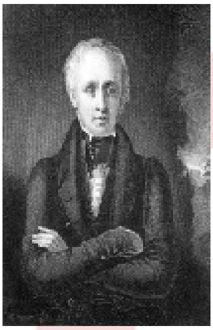
امنحنا بهجة الحياة مع النحل السعيد،

سرب النحل الدائر حول الأشجار البديعة.

امنحنا بهجة الحياة في الطائر المندفع في السماء دونما انتظار،
يصدح مغرداً فوق سرب النحل،
كشهاب يخترق السماء بمنقاره الرفيع
ليقف ساكناً قرب برعم يتفتح.

هذا هو الحب ولا شيء غيره،
حب لا تنبض به القلوب إلا لله في عليائه،
لنقدس إرادته وغاياته
ولنحققها دون تلكؤ.

* * *



الشاعر الإنكليزي وليم وردزورث

William Wordsworth

١٧٧٠ - ١٨٥٠

ما زال الشعراء الرومانتيكيون، الذين قادوا الحركة الرومانسية في الأدب والشعر في أوروبا، في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ينالون اهتمام النقاد والباحثين، فقد نشرت مؤخراً دراسة مطولة عن الشاعر الإنكليزي (وليم وردزورث Wordsworth) الذي يعتبر رائد المذهب الرومانتيكي في الشعر.

ولد (وليم وردزورث) عام ١٧٧٠ وكان والده (جون) رجلاً كثير المطالعة ويمتلك مكتبة ضخمة، وقد أيقظ في ابنه حب الشعر، ودفعه إلى حفظ القصائد الطويلة (لملتن) و(سبنسر) و(شكسبير). وقد ماتت أمه وهي في الثلاثين من عمرها، مما ترك أثراً كبيراً في نفسه.. ثم توفي أبوه، وفي عام ١٧٨٧ دخل (وليم) كلية (سانت جون) بجامعة كمبردج، على نفقة أعمامه، وعندما تخرج أعاد إليهم ما كانوا قد أنفقوه.

- كان (وليم) يقرأ الشعر في جميع الأوقات، مما دفعه إلى نظم الشعر بغزارة. فكان يذهب أيام العطل إلى منطقة البحيرات، التي تشتهر بجمال طبيعتها وروعة مناظرها، ويقطع مسافة طويلة لقرية (هوكسهيد)، مع كلبه الذي لازمه طوال حياته، ينظم الشعر، وهو يسير بصوت عال. وبقيت هذه العادة تلازمه حتى آخر لحظة من حياته..

- وفي عام ١٧٩٠ سافر إلى فرنسا قاصداً جبال الألب، فأدهشته بروعة جمالها، فعاد في السنة التالية، حيث تعرف بفتاة فرنسية، هي (آنيت فالون) وكان بينهما حب جارف، ألهب مخيلته بأروع القصائد الشعرية... وفي عام ١٧٩٧ التقى مع أخته (دوروتي) التي كانت تكتب الأدب بأسلوب صاف، تملأه البساطة، ثم التقيا بالشاعر (صمويل تايلور كولردج)، فألف الثلاثة مجموعة غريبة في غزارة الإنتاج، وكانت النتيجة ظهور الحركة الرومانتيكية الجديدة في الأدب الإنكليزي. وذلك عندما نشر الشاعران (القصائد الغنائية) التي نظماها. غير أن طابع أشعار (وردزورث) كان أكثر وضوحاً..

يقول في إحدى قصائده:

- مشيت وحيداً..
وحيداً مثل سحابة تدور في الأعالي،
فوق الوديان والوهاد..
حين لمحت فجأة حشداً هائلاً
رأيت جمعاً كبيراً من الزنابق الذهبية.
تتماوج على شاطئ البحيرة،
وتتراقص مع النسيم تحت الأشجار.

- يقول الناقد روبرتسون: من الحوادث الفريدة في تاريخ الأدب، أن يظهر شاعر مثل (وردزورث) يكتشف منطقة نادرة الجمال مثل منطقة البحيرات، ويعرّف العالم بها، في شعر صاف عذب يهز الأعماق.. لقد أَلِف أهل المنطقة رؤيته، وهو يسير يتمتم الشعر بألفاظ موسيقية، وقد نظم الشعر خلال ستة وستين عاماً، وهي أطول فترة نظم فيها شاعر في تاريخ الأدب العالمي، فقد بدأ بكتابة الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره،

وبقي يكتبه حتى آخر لحظة من حياته، وكان أقرب إلى المتصوف منه إلى الفيلسوف، يتناول الأشياء البسيطة، والعواطف المتصارعة، ويعشق الطبيعة بتأمل عميق.

- وآمن (وردزورث) بالحرية، وأيد الثورة الفرنسية، غير أن الفظائع التي ارتكبت باسمها، جعلته يغير موقفه، وقد أبعدته الأفكار الثورية لفترة من الزمن، عن حبه للطبيعة. ولكنه سرعان ما عاد إليها ليستغرق فيها إلى الأبد.

- ومارس (وردزورث) الشعر المرسل، ونظم قصيدته المعروفة (المقدمة) ولكنه لم ينشرها إلا بعد خمسة وأربعين عاماً على بداية نظمها، فقد كان ينقحها، ويعيد تنقيحها عدة مرات، ويقال بأنها مسيرة حياته نفسها.. وقد بلغ ذروة مجده عام ١٨٤٣ عندما انتخب أميراً للشعر.

ومن أشهر قصائده قصيدة (نحن السبعة) التي يقول فيها:

- هذه الطفلة البريئة الساذجة،
تسحب أنفاسها بهدوء،
وتشعر بالحياة تدب في كل خلجاتها،
ترى ماذا تعرف عن الحياة؟
التقيت بها صبية صغيرة من فتيات الأكواخ،
تقول إنها في الثامنة من عمرها،
كان شعرها مشعثاً بتجاعيده التي تحيط رأسها،
فيضفي عليها مظهراً ريفياً جميلاً..
وعيناها الجميلتان تلتمعان بسحر يبعث البهجة..
يا صغيرتي كم أخوة وأخوات أنتم؟

قالت: كم نحن؟ إننا سبعة،
ثم نظرت إليه باستغراب..
هل تخبريني أين هم يا صغيرتي؟
أجابت: سبعة نحن. اثنان منا في كونواي،
واثنان بحاران في البحار.
واثنان آخران يرقدان في باحة الكنيسة، هما أختي وأخي.
وفي الكوخ القريب من الكنيسة، أسكن أنا وأمي قربهما..
تقولين إن اثنين منكم في كونواي،
واثنين آخرين بحارة في السفن،
مع ذلك فأنتم سبعة..؟

ناشدتك الله يا حبيبتي الجميلة، أين يكون ذلك؟
ردت الصبية قائلة: سبعة أولاد وبنات نحن،
اثنان منا يرقدان في باحة الكنيسة تحت شجرة كبيرة..
أنتم تتحركون يا صغيرتي،
والحياة تملأ جوانحكم،
فإذا كان هناك اثنان يرقدان تحت تراب الكنيسة،
فأنتم إذن خمسة..
قالت الصغيرة: إن قبرهما ما زال أخضر ندياً،
وبوسعك أن ترى ذلك،
على بعد اثني عشرة خطوة من باب كوخ أمي،
وهما يرقدان إلى جانب بعضهما..
وهناك كثيراً ما أنسج، وأخيط أطراف غطاء رأسي،

وهناك أفترش الأرض..

أجلس وأغني لهما..

وفي أكثر الأحيان آخذ صحني الصغير بعد الغروب يا سيدي،

عندما يكون ثمة نور ضئيل، لأتناول عشائي هناك..

أول من مات منهما (جني) الصغيرة...

لقد رقدت في فراشها تئن، إلى أن أنقذها الله من آلامها،

فرحلت.. ورقدت في باحة الكنيسة..

وعندما يبس العشب واصفر،

لعبنا حول قبرها، أنا وأخي (جون)..

وعندما غمر الثلج، الأرض ببياضه،

أرغم أخي (جون) على الرحيل ليرقد إلى جانبها..

فقلت متسائلاً: كم أنتم إذن؟ إذا كان اثنان منكما في السماء؟

فردت الطفلة الصغيرة قائلة: آه يا سيدي إننا سبعة..

ولكن عبثاً ما كنت أقول.. وكأنني كنت أرمي كلماتي

عبثاً في الهواء..

لأن الصبية الصغيرة كانت مصممة على عنادها،

وهي تقول: كلا إننا سبعة!!...

* * *



الشاعرة الفرنسية كونتس دونواي

Contesse De Noailles

١٧٩٤ - ١٧٢٩

ولدت (أنا دونواي) في باريس عام ١٨٧٦، وهي رومية بالنسبة لأبيها الأمير Gregoire de Bramcovan ويونانية بالنسبة لأمها، التي اشتهرت باسم الآنسة Musurus التي انحدرت من عائلة قديمة أصيلة في جزيرة كريت، والتي افتتحت صالوناً شهيراً، في فيلا امغيون على شواطئ بحيرة ليمان. وكانت (أنا دونواي) وهي طفلة، تحب الموسيقى، وقد عانت أزمة صوفية وهي في الخامسة عشرة من عمرها، ونشرت أشعارها الأولى قبل زواجها بقليل، ونالت جائزة الأكاديمية. ثم نالت الجائزة الكبرى للآداب، لعام ١٩٢١. ومن مؤلفاتها (ظلال الأيام) (الأموات والأحياء)، (شرف الألم) (القوى الأبدية)... ومن رواياتها الوجه الذاهل، الاستيلاء.

- ومن قصائدها الغزلية تقول:

أنا صامتة لا أتكلم، وقد وعدت نفسي، ونذرت بألا أعاتبك أبداً، بألا ألومك على هجرك.

وإن ازددت جفاء وصدأ،

لا أعترف لك بشيء...

وعدت نفسي ولكن... هذا المساء،

مساء خريف جميل.. والشمس تنتزع شعاعاً من قلب السماء...

فدعني أبوح لك بأسرار دمي، وهي تتماوت صفراء شاحبة،

حبيبي.. أمنصت أنت إلي؟

أتسمع ما يبوح به فمي، أنت ذو القلب القاسي.

أتراك تسمع ما أقول لك هذا المساء...

هذا المساء الذي اعترف فيه لك بكبريائي الحزينة، التي معها ولدت، أعرفت الآن كم من مرة أردت أن أبوح لك.

ثم آثرت الصمت وما تكلمت....

- **وفي قصيدة أخرى، تقول:**

دون ندم ودون خوف سوف أموت،

سوف أموت من البرد الذي يجري في دمي،

دون أن أشعر بحرارتك، ولا أقوى على مقاومتك،

إنَّ روحي تتمزق عندما تصطدم بإرادتك.

وأنت الظافر المنتصر..

إني أشعر بأن صورتك تتباعد عن قلبي، صورتك الحبيبة الكبيرة التائهة،

الجالسة على عرش نفسي الكسيرة،

تلك التي كانت تملأني سحراً، ولا أملك عندها من الدهشة أمراً.

أغفر لروحي، فإن صوتي يتزايل ولا أزال أخاطبك.

ولكني سأموت...

ومن أشعارها العاطفية تقول:

إن تملكتك الحيرة. فلا تقل شيئاً.
لا تتكلم، واحلم، واسبح مع الأحلام،
لا تدع البرد يتمشى في كيانك،
ودعني أنثر عليك غمغمتي بصوت خافت.
أنا التي سأضمك، أنا التي سأكلمك.
كالنسيم الهادئ الذي يسري في الغابات....

وهذه قصيدة تقول فيها:

أتراك تعرف بأنني لم أكن قانعة يوماً،
وبأنني لا أجهل القمم التي كنت أعيش فيها، وأنا أتأمل دائماً،
كنت ذات سيطرة وسلطان،
وذات يوم، وبينما أنا أحلم.
رأيت فجأة مشهداً رائعاً،
رأيته أمامي مصوراً في نسمات وجهك،
ولكنك منعتني من أن أقربه.
منعتني وأنت ملول متعب حزين،
إنّي بحاجة إليك، إليك وحدك، دون روحك،
دون قلبك، دون صوتك، دون حبك،
ودون اللذة والسعادة التي بها تغمرني،
عندما أراك حزيناً، تشتد مخاوفي
ولا أتمنى من قلبك الصامت إلا لحظة واحدة،

لحظة أترقبها وأتمناها، دون سلام ودون عزاء ،
أتأمل وعقلي حائر مسلوب، وروحي ثائرة.
لحظة المعجزة، معجزة وجودك الحزين إلى جانبي....

ومن أشعارها أيضاً **هذه القصيدة**:

افعل ما شئت، اذهب وعد،
أو لا تعد أبداً...
إن قلبي الذي يتضاءل رويداً رويداً،
يتظاهر بأن يقدم لك هذا الاختيار،
ولكني أعلم، وأنت أيضاً تعلم، أنه ليس لك إلا طاعتي، وليس لك خيار.
لقد كان علي في هذه الأيام الحالكة،
أن أفكر في رغباتي ومشاعري،
ولكن عبثاً...
كان في قلبي الذي يحلم بك، جنود أقوياء
يخضعوني بكل قوة، لأن أحبك دون ملل وبلا رحمة.

* * *



الشاعر البريطاني وليم بليك

William Blake

١٨٢٧ - ١٧٥٧

كان الشاعر البريطاني (وليم بليك) يملك رؤية صوفية في الشعر وفي الرسم أيضاً، فقد كان يصور كتبه ويطبعها بنفسه، وكان يؤمن بتفوق الخيال على النظريات المادية والعقلانية التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر، ولد (وليم بليك) في لندن حيث قضى معظم سنين حياته فيها، تلقى معظم ثقافته على يد والدته كما شجعه والده على جمع نسخ من لوحات الفنانين الإيطاليين الكبار؛ وأرسله إلى الأكاديمية الملكية لكي يتعلم الرسم، وأخذ ينتج اللوحات المائية والرسوم الخاصة بالمطبوعات والمجلات.

كتب أولى قصائده وهو في سن الثانية عشرة، وظهر أول كتبه الشعرية الذي يحمل عنوان (مقاطع شعرية) عام ١٧٨٣ وأتبعه بكتاب (أغاني البراءة) عام ١٧٨٩ ثم (أغاني التجربة) عام ١٧٩٤ وتزوج من ابنة تاجر كبير، ساعدته كثيراً في عمله بالرسم والطباعة.. ولم يرسم لها صورة إلا قبل وفاته بقليل قائلاً لها: لم تكوني لي ملاكاً على الإطلاق..

لقد تميزت أشعار (وليم بليك) بطول القصائد، التي تمتلئ بالحيوية والعفوية وتتسم بالرقة والمشاعر الغنائية..

وهذه قصائد من أغاني التجربة كما يسميها الشاعر (وليم بليك).

- ألا فلتسمعوا صوت الشاعر.

يرى الحاضر والماضي والمستقبل،

وقد ملأ الأسماع بالكلام المقدس

وكان ينطلق بين الأشجار القديمة،

ينادي الروح وقد هوى بها السقوط،

ويذرف الدموع في أنداء المساء...

هو الذي استطاع أن يمتلك القطب المشع،

ويبعث الحياة في الضياء المتهافت..

ألا فلتعودي أيتها الأرض.. عودي.

حوّمي فوق العشب المبلل،

فقد توارى الظلام،

ومن كل ما يثقل الرقاد.. تلوح طلائع الصباح،

فلا تحتجبي بعد الآن.

لماذا تريدين الذهاب؟

وقد حييت السماء المتألقة،

ونطاق الحياة البعيدة،

حتى مطلع الفجر...

جواب إلى الأرض

رفعت الأرض رأسها،
على الظلمة المريبة الشاكية،
وقد هرب منها الضياء،
في ضراوته الحالكة،
وشعرها المهيب يغمره رماد اليأس والقنوط..

أنا الأرض سجينة المياه،
عداء النجوم يعقل ناصيتي،
بالجليد الأبيض،
أسمع أب الناس القدامى
في أنانيته المرعبة وقسوته الحسود،
هل يستطيع الفرح الرازح في أغلال الظلام،
أن يخلق العذارى من ميعة الشباب وضوء الصباح،
هل يخفي الربيع مباهجه حين تتفتح البراعم والأزهار،
هل يلقي الزارع البذور في حلك الظلام؟
هل يحرث الفلاح في العتمة؟

فليتحطم هذا القيد الثقيل،
الذي بعث في عظامي الصقيع..
لعنة أبدية عابثة
جعلت العبودية من الحب الطليق...

الهوان

ما كان للشفقة أن توجد،
لو لم نوجد الفقراء..
وما كان للرثاء أن يملأ القلوب،
لو كان الجميع مثلَنا سعداء..

إن المخاوف المتبادلة تحمل السلام
إلى أن تكبر الأهواء الأنانية،
عندئذٍ تمد الشراسة شباكها،
وتبرع في نصب الكمائن،
تجلس في خوف وتقوى،
وتغمر الأرض بالدموع،
وتحت قدميها تتمكن جذور الهوان

الزنبق

الورد المتواضع يحمل الشوكة في ناصيته،
والحمل الوديع يهدد بقرنيه،
أما الزنبق فإنه يجد كل سعادته في الحب،
لا الشوك ولا التهديد، يلوّثان جماله المشرق..

الشجرة المسمومة

أردت أن أنال من صديقي،
فبحت بأحقادي، وزالت جميع الأحقاد..
أردت أن أنال من عدوي،
فلم أقل شيئاً، وترعرعت في جوانحي الأحقاد..
سقيتها بدموعي صباح مساء..
ورجفة الغيظ ملء كياني،

وأشرقت عليها شمس من ابتساماتي،
ملؤها المكر العذب والخداع،
ونمت في الليل والنهار،
إلى أن أثمرت تفاحة زاهية.
ورآها عدوي مشرقة بين الأغصان،
وعرف أنها لي.
فتسلل إلى البستان.
حين أخمد الليل كل ضياء..

وفي الصباح رأيت عدوي
جثة هامدة تحت الشجرة،
فانطلقت فرحاً عبر الدروب

الخميس المقدس

أهو شيء مقدس أن نرى الأطفال الصغار
في حضيض الفاقة والشقاء،
تطعمهم يد باردة جافية،
وهم في بلاد غنية وفيرة العطاء..
أهو غناء هذا الصياح المرتعد؟
أيمكن أن تتصاعد أغنية الفرح،
وهناك الكثير من الصغار البائسين
إنها بلد الشقاء،
إن شمسهم لم تشرق أبداً،
ومراعيهم عارية يجللها الصقيع،
ودروبهم مزروعة بالأشواك،
وليس لهم إلا شتاء الأبد..

ذرة التراب والحصاة

لا يريد الحب إلا الاكتفاء،
ولا سبيل له إلى الشفاء
ولكنه يمنح الآخرين مسراته،
ويشيّد سماءً في أعماق الجحيم.

هذا ما أنشدَته ذرة صغيرة من التراب،

تسحقها أرجل الماشية،

ولكن حصاة على ضفة الساقية،

غمغمت بهذه الأبيات الحكيمة:

لا ينشد المحب إلا الاكتفاء،

أن يُخضِع الآخرين لمسراته

إنه ينتزع المتعة على حساب الآخرين،

ويشيّد جحيماً في أعماق السماء..

لأنه حيث تتلألأ الشمس المشرقة،

وحيث تهطل الأمطار،

لا يعرف الوليد ما هو الجوع

ولا تعرف النفس اضطراب الشقاء..

* * *



الشاعر الفرنسي جول رومان

Jules Romains

١٨٨٥ - ١٩٧٢

يعتبر (جول رومان) من الكتّاب التقليديين في الثقافة الأوروبية وفي طليعة الكتّاب المسرحيين وكذلك الشعراء.

والذين تابعوا المسرح التقليدي الذكي في أوروبا يضعون (جول رومان) في طليعة الكتّاب المسرحيين إثر نجاح مسرحيته المعروفة (كنوك) التي ظهرت على جميع مسارح العالم بجميع اللغات منذ عام ١٩٢٤ وحملت اسم (كنوك أو انتصار الطب). غير أن مؤرخي الأدب والقرّاء العاديين يعرفون (جول رومان) من خلال موهبته الروائية التي أتاحت له أن يقدم أضخم رواية في القرن العشرين وهي تضم (٢٧) مجلداً وتحمل العنوان المشهور (ذوو الإرادة الصالحة).

وقد ولد جول رومان عام ١٨٨٥ في مدينة صغيرة في اللوار الأعلى، وهو ينتمي إلى أسرة متوسطة، وقد كانت دراسته على شيء من النبوغ.

وقد نال الإجازة الجامعية في الآداب ثم في العلوم، وكان في عداد تلاميذ مدرسة دار المعلمين العليا، والمعروف أن هذا المعهد الجامعي، كان يضم أشهر فلاسفة فرنسا، وكتّابها الكبار، وقد امتهن تدريس الفلسفة في باريس ونيس، وبدأ حياته الأدبية عام ١٩٠٤. غير أنه لم يقدم نتاجاً جيداً في

البداية ولم يلفت الأنظار إلا منذ عام ١٩١١ وذلك بروايته (موت أحدهم) وكان قد نشر عام ١٩٠٤ رواية عادية بعنوان (روح الرجال) غير أنه لم ينل شهرة عالمية إلا بعد أن ظهرت روايته الساخرة المعروفة (الصحاب) وذلك عام ١٩١٣.

وكانت نزعته إلى الكتابة الأدبية كما هو واضح، قد تغلبت على اختصاصه الفلسفي، فلم يلبث أن انصرف إلى الأدب، وعُرف منذ عام ١٩٠٨ من الشعراء المتميزين في تلك المرحلة. لقد نشر في عام ١٩١٣ ديوانه الثاني (قصائد وصلوات) وأتبعه بمجموعة أخرى من الشعر تحمل عنوان (أوروبا)، وذلك عام ١٩٢٣. غير أنه كان في الأصل من الكتاب الروائيين على ما يبدو، فقد أصدر عدداً كبيراً من الروايات المتعاقبة خلال هذه الأعوام المبكرة، أهمها (بسيشه) عام ١٩٢٢ وامرأة فريدة، ورجل طيب الخ، غير أن كل هذه الروايات كانت على الهامش بالنسبة لمؤلفه الكبير (ذوو الإرادة الصالحة)، التي بدأها منذ عام ١٩٢٢ وأنجز منها حتى ١٩٤٧ (٢٧) مجلداً.

لم يكن في حياة (جول رومان) ما يلفت النظر، إلا غزارة إنتاجه، وإيمانه الشديد برسالته الأدبية، وقدرته الفذة على الكتابة.

كتب في جميع الميادين، وكانت العبارة التي قدمت بها مؤلفاته في جميع الصحف الأخيرة بعد وفاته، أن تعداد آثاره يقتضي وقتاً طويلاً. والمعروف أنه اشتهر على الصعيد العالمي بعدد من الدراسات نشرها في كتب متتالية، تناولت تاريخ النقد والفلسفة.

وفي عام ١٩٣٦ انتخب رئيساً لنادي القلم، واستقر في المكسيك طوال فترة الحرب. ومع انصرافه الكلي إلى الدراسة والأدب بدأ يلتفت إلى

المسرح، وكان قد كتب مخطوطة (كنور أو انتصار الطب) عام ١٩٢٤ وشجعه نجاحها على كتابة عدد آخر من المسرحيات، منها الطاغية ١٩٢٦. وبلغت مسرحياته (١٧) مسرحية). ولم يتوقف عن الإنتاج في الجوانب الأخرى حتى وفاته.

قال عنه الكاتب المعروف (بيير ايمانويل) كان (جول رومان) صفحة مشرقة في تاريخ الأدب العالمي كما كان شاعراً عظيماً.

وقال جاك دوهاميل: لقد استطاع (جول رومان) أن يصوّر لنا في كثير من العفوية الحية، والأداء البليغ، تاريخ خمسة وعشرين عاماً، من حياة البشر، في بيئة معينة، وعصر واضح الملامح، ليس هناك بطل، الكل هم الأبطال الذين تتميز عظمتهم بأنهم مغمورون، لا يطالبون أحداً بأن يحذو حذوهم، ولكنهم يفخرون بأنهم يمثلون الوجدان الجماعي للقاعدة الشعبية. إنه درس ينبغي أن نتذكره دائماً.

وعلى الرغم من غزارة الآثار الأدبية التي تركها (جول رومان) فإنه يحتل مكانته الرئيسية في الأدب الفرنسي، على نحو خاص، باعتباره شاعراً كبيراً.

وتلك هي الناحية التي نجهلها عنه، ولذا نقتصر على نموذج من شعره، مع العلم أن كتبه الشعرية قد تجاوزت العشرة بين ١٩٠٤ عند صدور ديوانه الأول (روح البشر) و١٩٣٧ تاريخ صدور أشهر دواوينه: (الرجل الأبيض)، واشتهر من مجموعاته الشعرية خلال هذه الفترة ديوان (أناشيد السنوات العشر) و(الحياة المغفلة) التي تضم هذه القصيدة:

أنشودة المدينة ومنها هذا المقطع:

- حين تبدو المدينة حزينة،
وتحس أنها توشك أن تبكي،
وأن في أعماقها أناساً، أكثر من الأيام المعتادة،
وحين تنزلق حوافر الجياد، على بلاط الشارع،
وحين تتحرك في أناة رفوش المقابر..
يبدو على المدينة كل ابتهاج،
ونحس أن المدينة تغني، تصرخ في وجه الشمس

انظري، ها أنا ذي سعيدة مطمئنة،
إنني متعبة، غير أنني مسحت كل هذا الضباب،
أزحت عن صدري كل الزمن وكل القوى
لكي أضحك...

وبدأت المدينة تقول بصوتها الجماعي الصاخب،
بدأت تردد أغنية استمع إليها كل الناس،
ولكن إنساناً واحداً وجد كل معانيها،
وهو يتأمل القمر يبزغ رويداً رويداً عند المساء

* * *



الشاعرة الإسبانية جوانا دو أسباج

Juana De Asbaje

١٦٩٥ - ١٦٤٨

نشر مؤخراً تحقيق جديد عن مؤلفات الكاتبة الإسبانية الكبيرة (جوانا دو أسباج Juana De Asbaje)، وتعتبر من أكبر الشخصيات في الأدب الإسباني، ومن أكبر الشعراء الإسبانيين في القرن السابع عشر، ولدت جوانا عام ١٦٤٨، وكانت منذ طفولتها تتعطش للمعرفة وتسعى وراء الإيمان، كانت وصيفة في البلاط الملكي. وعندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها قررت أن تتخذ الحجاب، وقد بعثت إليها إحدى القديسات رسالة تطلب منها أن تكرس حياتها للدين، فبعثت إليها جوانا رداً يعتبر من أقوى الصفحات الأدبية في تاريخ الثقافة الإسباني. دافعت فيه عن حقها في المعرفة والثقافة. ولكنها بعد أن أرسلته عادت إلى التوبة، وسخرت من الشهرة، فباعت كتبها ودواوينها وأدواتها الموسيقية والمخبر، وكل ما تملكه في غرفتها، ونذرت دمها للإيمان، وماتت بعد سنتين من توبتها عام ١٦٩٥.

كتبت (جوانا دو أسباج) عدة مؤلفات ضاع معظمها، لها كتاب عن نقد اللاهوت، والأخلاق العادلة، وبحث في الإبهام الأخلاقي، وفي الحرية والصدفة، وهي قبل كل ذلك شاعرة عقلية وعاطفية.

تقول في قصيدة من قصائدها:

- إن ما تراه هنا إنما هو وهمٌ ملون، يخدع الحواس.. ويظهر كمال الفن بمقياس خاطئ الألوان..

إن من يدعي بتملق جهل مساوئ مخيفة، حدثت في سنين غابرة، لا يعرف للواجب معنى..

ومن يدعي الانتصار على الشيخوخة والنسيان، إن من يدعي كل ذلك، إنما يحتال على الخوف حيلاً عابثة، تتلاشى كما يتلاشى عبير الوردة اللطيف..

وغروره ملجأ أمام القدر، لا جدوى منه..

وسرعة حمقاء، ومثابرة في طريق الزوال، نتابعها بغرور..

وعندما نمعن النظر بحكمة، لا نرى من كل ذلك إلا جثثاً ميتة، وغباراً، وظلاً، وعدماً...

- ولها **قصيدة غنائية تحت عنوان الوردة المقدسة:**

- أيتها الوردة المقدسة، ذات النعومة المحببة.

من رائحتك اللطيفة، يفوح شذى أرجواني الجمال..

وعبير بهي يعلّمنا جمال الرقة..

وأمام فتنتك تتضاءل النماذج البشرية، التي لا تملك من الوداعة والرقة ما تملكين..

في الكائن الذي جمعت فيه الطبيعة، مهداً باسماً ولحداً حزيناً..

كم من معجب بعظمتك وروعتك، وأنت تزدرين الموت،

ثم لا تلبثين أن تذوي بعجز وخوف..
فمن حياتك الضعيفة الحمقاء، ومن تعاليمك الميتة،
نستمد إيحاءات كئيبة،
فتخدعيننا في حياتك، وتهديننا في مماتك..

- وتصف الشاعرة (**جوانا دو أسباج) نتائج الحب اللامعقولة وتقول**:

- أنا أعرف أن هذا الألم العاطفي،
الذي في قلبي.. إنما أعانيه ولا أعرف لماذا..
و أعاني هماً ثقيلاً كي أدرك حُلماً،
يبدأ رغبة وينتهي كآبة...
وعندما أُشفق على شقائي المتزايد، أبكي،
وأعرف بأني حزينة...
ولكنني أجهلُ سبب حزني..
إنني أشعر برغبة طاغية للقاء أتمناه،
وعندما أشعر باقترابه، امتنع عنه، وأزهد فيه...
وإن حدث صدفة، بعد انتظار طويل،
فإن الشك يجعله مريراً.. والخوف يبدده..

إني اضطرب وأنا خاضعة، غاضبة..
فمن أجله هو، سأحتمل كل شيء..
وبدونه لن أصبر على شيء..
فإن همومي الحزينة، وأفكاري الخادعة
إنما تؤلف جبالاً من الندم المرير..
وعندما تنهار تلك الكتلة القاسية

أرى البناء المتجبر، لم يكن مرتكزاً
إلا على نقطة واحدة....

أحياناً يخدعني ألمي، وبدون سبب ادّعي بأنه ليس من المكن وجود مسرات، تستطيع أن تهدأ من جنوني..

وبالرغم من أني أحتدُّ غاضبة،
لأرى مدى حدة ألمي، عندما يؤلمني شيء صغير...
وأحمل نفسي على الانتقام، خاطئة حيناً، ونادمة أحياناً..
تعود نفسي لتنتقم مني..
وفي حلمي المظلم الذي يجاري وهمي وخطأي،
أنادي أن تتبدد أوهامي وتتلاشى..
ولكنني أتمنى أن لا يحدث هذا مطلقاً

- وفي قصيدة تحت عنوان ذهول،

قالت (جوانا دو أسباج):

- إن ذهول الحياة الإنسانية الغضة، والأمل المجنون والثورة الذهبية، تحلم بيقظة، حلماً يشبه أحلام كنوز مبددة..
أيتها الروح، أيتها الشيخوخة الحازمة،
ورجاء خيال السعداء الفاني، الذين يفرحون اليوم، ويشقون غداً،
الذين يتبعون ظلَّك، ويبحثون عن ضيائك،
وينظرون بمنظار أخضر اللون،
فلا يرون الأشياء إلا بألوان رغباتهم..
أما أنا فقانعة بحظي،

أُمسك عينيّ بكلتا يدي..

ولا أرى إلا ما ألمسه..

- وتخاطب الأمل قائلة:

- على محور الخير والشر،

ضع الميزان بعدل، أيها المرض اللانهائي للأمل..

الذي يملأ أيامي الضجرة..

إنه عندما يميل بتمهلٍ، فإن خداعك يرفعه،

إما بعظمة الثقة، أو بعظمة الشك.....

من يأبى الاعتراف بأنك قاتل أيها الأمل؟

ألست أكثر وحشية من المجرمين؟

إذ أنك تترك الروح التي تتلهى بها، حائرة مترددة،..

بين الحظ العاثر، والحظ السعيد....

أنت لا تتلهى بعدلك لكي تحفظ حياتي.

وإنما كي تقدم لي الموت البطيء

- **وتقول في قصيدة عاطفية**:

قف يا طيف من يحتقرني،

ويا صورة الأذى أحبها منذ زمن،

وخيال من أموت من أجله فرحة،

وظل من أحيا من أجله شقية،

لماذا أحمل نفسي على حب غاياتك الخادعة؟

إذا كنت تسخر مني في شرودي؟

ولكن، لا يمكنك أن ترى انتصار طغيانك علي،
إرضاء لكبريائك
فإنك رائع جميل، حتى في ازدرائك لصداقتنا الصافية.

قل لي، ما الفرق عندك
إنْ كان ما يحيط صورتك يد، أو قلب تزدريه؛
إنْ أخذتك أسيراً في نزوة من نزواتي؟...

- **وفي قصيدة غنائية تقول**:

- في هذا الليل، عندما أتحدث إليك، يا حبيبي،
وأرى في سمات وجهك،
وفي إيماءات ملامحك،
بأن الكلمات لا تقنعك، ولا ترضيك،
أتمنى أن تكشف عن قلبي، وتراه،...
إن الحبّ الذي أتمناه، لينتصر على المستحيل،
لأن دموعي التي تنسكب من ألمي، إنما هي من قلبي الذي يقطرمُثخناً..
إن قليلاً من الشجاعة يكفي يا صديقي..
ودع ألم الغيرة للطغاة
لأن الشك الحقير، لا يتوازى مع فضائلك،
إن ظلالاً مجنونة، وأمارات زائلة، تراءت،
عندما لمحت قلبي، ولمسته مُثخناً،
وهو يرتعش بين يديك..

* * *



الشاعرة الأمريكية اميلي دكنسون

Emily Dickinson

١٨٣٠ - ١٨٨٦

كانت اميلي دِكنسون من أعظم الشاعرات الأميركيات في القرن التاسع عشر. فقد كانت ملاحظاتها حادة، وقحة أحياناً، وفيها إمعان وعمق.. وكانت تعتمد في أشعارها على التجربة. سريعة الإيقاع، جريئة العبارات. كانت تكرس نفسها في كل أشعارها لمعبودها فقط.

وكانت حياتها بسيطة خالية من الأحداث الكثيرة. فقد ولدت عام ١٨٣٠ في امرست Amerhest وعاشت بها طيلة حياتها. وسافرت إلى واشنطن وفيلادلفيا في الثالثة والعشرين من عمرها، وأصبحت بعدها في عزلة شديدة. فقد أحبت تشارلز wedworth الذي كان متزوجاً، ولم تلتق معه إلا مرات. ولكن الشاعرة أهدت نفسها لروح الرجل. ومن الممكن أن تكون هذه الشاعرة قد مثلت نكرانها لذاتها وآلامها وأحزانها، ولكن قصائدها العاطفية أعظم من أية تجربة، فهي جادة حزينة... ومن أرق الأشعار التي كتبتها امرأة.

لم تنشر في حياتها إلا أربعة قصائد، وبعد موتها وجدت أشعارها مطوية في خزائنها، فطبع منها ستة مجلدات. وماتت اميلي عام ١٨٨٦.
تقول:

كنت جائعة طوال السنين،

أما الآن فقد حان وقت طعامي

فقربت المائدة وأنا أرتجف، ولمست الخمر الغريب،

الذي كنت أراه دوماً على الموائد

عندما كنت أجوبها وأنا جائعة وحيدة.

ومن خلال النوافذ نظرت إلى الفن الذي لا أمل في ملكه.

لم أكن أعرف الخبز اللذيذ الهنيء.

إنه لم يكن يشبه الفتات التي كنت أنا والعصافير، نشترك في لملمتها من مائدة الطبيعة..

لقد آلمني الفن وكان شيئاً جديداً،

شعرت بنفسي أمامه مريضة غريبة،

مثل نبتة عليق برية في الجبال، نقلت وزرعت على حافة الطريق.

والآن، كنت جائعة فوجدت أن الجوع للذين يقفون وراء النوافذ فقط،

أما الذين هم في الداخل فلا يعرفونه.

الأمل المجنح:

إن الأمل المجنح يكمن في الروح،

يغني اللحن دون كلمات، ولا يتوقف أبداً،

وحين تهب العاصفة يصبح اللحن شجياً،

ولابدَّ لهذه العاصفة من أن تكون قوية جداً ومؤلمة،

كي تستطيع أن تخيف الطائر الصغير،

الذي أبقى عدداً كبيراً من الناس يشعرون بدفء الأمل.

سمعت هذا اللحن في أبرد البقاع،
وعلى أغرب البحار
ولكن - ما من مرة - طلب مني على ذلك أجراً...
إنني لم أوقف عربتي للموت!
لكنه وقف لي بلطف..
ولم يكن في العربة إلا هو وأنا والخلود،
مشينا بهدوء، لأنه لا يعرف السرعة
وقد تركت أتعابي وراحتي جانباً كي نتسامر.
مررنا بالمدرسة حيث يلعب الأطفال، الذين لم ينهوا دروسهم بعد،
مررنا بحقول القمح، الذي كان يرمقنا بنظراته،
مررنا بالشمس وهي تغيب،
ومررنا أمام دار وضيعة، كنتوء بارز على الأرض؛
يكاد سقفها لا يظهر، وذات افريز بارز،
ومضت قرون عديدة منذ ذلك الحين
وكل قرن أشعر به وكأنه أقصر من يوم،
ولأول مرة عرفت أن رؤوس الخيل كانت تتجه نحو الأبدية.

إنَّ الروح تختار عالمها وتغلق الأبواب
ولا يدخل إلى مملكتها المقدسة شيء سواه،
وفي هدأتها نلاحظ بأن العربات تقف أمام بابها المتواضع
كما إن الأباطرة تركع على بساطها،
لقد عرفت هذه الروح من أمة عظيمة، انتخبت عالمها الخاص

ثم أغلقت مصراع أبوابها وصمتت كحجر أصم،

أنت وأنا يا قلب في الليل سننساه

أنت سوف تنسى الدفء الذي وهبك،

وأنا سأنسى نوره المتألق،

وعندما ستصلي، قل لي بأن أفكاري ستظلم

واخفق بقوة ولا تبطئ، لئلا أتذكره.

هل لك في قلبك الصغير جدول

تتفتح فيه الورود خجلى، وترتاده العصافير، وترقص فيه الظلال؟

لا أحد يعلم بأن هناك جدولاً ما يزال يجري، وما زال ينساب في مجرى حياتك الصغير كل يوم،

ترقب جداول آذار الصغيرة. عندما تفيض عليها الأنهار، وتتسارع عليها الثلوج من التلال، وتنهار الجسور،

ثم ترقب أخيراً كيف تلفح شمس آب المروج الراقدة

وإياك من ظهيرة محرقة تلفح جدول حياتك فيجف.

* * *



الشاعر الغنائي اليوناني بندار

Pindare

٥١٨ - ٤٣٨ قبل الميلاد

نشرت أخيراً دراسة جديدة للكاتبة جاكلين دوشمان Duchemin عن الشاعر اليوناني القديم (بِندار Pindare) الذي يعتبر أول شاعر غنائي عرفه العالم.

وقد حاولت المؤلفة أن تكشف عن جانب جديد في حياة هذا الشاعر، هو نظرته إلى الشعر، معتمدة في ذلك على التحقيقات التاريخية التي تذكر شيئاً عن مواقفه وآرائه حول هذا الموضوع.

والمعروف أن حياة (بندار) ما تزال غامضة يكتنفها الالتباس والريب، ومع هذا فإن شخصيته الشعرية هي على جانب من القوة تلفت النظر. تقول الكاتبة:

- كان (بندار) يؤمن بأن الشعر والألوهة هما شيء واحد، لم يكن يغني فحسب بل كان يحيا القصائد بكل كيانه، كان ينافس الموسيقى بكلماته الشفافة، ومع هذا فقد كان فيلسوفاً عميق التجربة.

- وتناولت الكاتبة دراسة قديمة عن (بندار) ظهرت باللغة الإنكليزية عام ١٩٤٥ كتبها (نوروود Nowrood) وأخذت على المؤلف أنه أهمل المحور الأساسي لتجربة (بندار) وهو تمجيد الكلمة واعتبارها الرسول الحقيقي للإنسان، وكان (نوروود) قد أكد على ناحية عابرة في تجربة

(بندار)... هي كونه شاعراً مدّاحة يميل إلى الفخر، أكثر منه شاعراً مخلصاً لفنه، والحقيقة أن (بندار) الذي عاش بين عام ٥١٨-٤٣٨ قبل الميلاد. كان منذ بداية حياته الشعرية، مبدعاً جديد الإلهام، فهو أعظم شعراء الأناشيد الجماعية، التي كانت تهزج بها الجماهير الشعبية في أعقاب الانتصارات الحربية، وهي ترقص في إيقاع متقطع، يشبه إلى حد بعيد، إيقاع الدبكات الشعبية، في البدء حركة الراقصين من اليمين إلى اليسار، ثم الحركة المقابلة من اليسار إلى اليمين، ثم تتوقف الألحان في هنيهة من السكون تفسح مجالاً رحيباً للعاطفة الرقيقة الصامتة، والحنين إلى الماضي.

ولم تصلنا من أشعار بندار إلا أربع مجموعات من الشعر، تضم أربعاً وأربعين نشيداً، نظمت جميعاً في تمجيد الأبطال المرموقين من الإغريق القدماء، وهي في الواقع تمجيد للبطولة الإنسانية للشعر.

يقول في أحد الأناشيد:

- لقد صعد القدامى إلى عربات الآلهة، ربات الوحي الذهبية،

ليأخذوا القيثارة الذهبية السامية بأيديهم الفانية،

ولم يتوانوا عن إطلاق أناشيدهم العذبة، تمجيداً لروعة الشباب..

أولئك الذين يوجهون إلينا نداء الشباب،

أن نحلم بافروديت، الآلهة الجميلة، وهي تتربع على عرش من الضياء...

إن ربة الوحي لم تكن جشعة ولا أجيرة.

ولم تضع على وجهها قناع الأساطير،

ولم يخطر لها يوماً أن تبيع أغانيها العذبة الحلوة بالمال الرخيص...

إنها الآن تدعونا أن نسمع كلام الحقيقة،

إلى أن نصغي لما يقول أحد أبناء (ارغوس):

المال هو الرجل، قالها عندما فقد أصدقاءه، عندما فقد ماله..
أما أنت فرجل حكيم، إني أشيد بنصر لا يجهله أحد..
نصر وهب إلى أمير صقلية، مكافأة لعربته ذات الخيول الأربعة
ليتوج بإكليل الغار.

ويقول في نشيد آخر:

- إنَّ رسل العذارى لا تصدمهم الصخور،
ولا تعرقل الملمات طريقهم، عندما يخفون إلى النبلاء
ويحملون هدايا هؤلاء العذارى..
ليتني أستطيع أن أصل بسهامي، حيث وصل الأمير بكرمه وعذوبته،
مخلفاً وراءه جميع الناس،
لقد قدم له مواطنوه احترامهم وإجلالهم،
لقد أقام الولائم تمجيداً للآلهة،
ولم ينثن يوماً عن عادته على الرغم من هبوب الرياح العاتية..
في الصيف يبحر حتى أقصى البلاد
وفي الشتاء يصل حتى ضفاف النيل..
ولما كانت نزعة الحسد تهيمن على الناس،
كان من واجب الابن أن يشيد ببطولة أبيه!!
عليه أن لا يدع هذه الأناشيد تهوي إلى أعماق النسيان.

أما الشاعر الألماني (**هولدرلن**) فقد صور الصراع بين روح البراءة التي يجسدها المناضلون في سبيل حريتهم، وبين الذين يحاولون أن يعيدوا الشقاء والظلام إلى حياة مصائر الآخرين يقول:

إلى الموت أيها العبيد الذين نخرهم الفساد
فسوف يُشرق نهار الحرية فوق قبوركم المظلمة،
ومن أرض الكروم الملتهبة سوف تعلو جلبة القطاف،...
ويرتفع حداء الرجال، يغمره الفرح والابتهاج،
لن تغشاهم بعد اليوم أجنحة الهموم السوداء،
وكل ما وجد للفرح سوف يشرق متفتحاً، ويبتسم،
والحب يهبط من السماء النائية.

وعنفوان الرجولة وسمو العاطفة يزدهران من جديد..
وكل وفاء سوف ينتصر، وسوف تنتصر البراءة،
لأن حماة الوطن الأشداء
سوف ينقذون أرض الوطن.

* * *



الشاعرة الفرنسية مدام جيرار دوفيل

Mme Gerard D'Houville

١٨٧٥ - ١٩٦٣

شاعرة كبيرة، اسمها (ماري لويس دوهيرديا)، ابنة الشاعر الكبير (جوزيه ماريا دوهيرديا). ولدت في باريس عام ١٨٧٥ وتزوجت من هنري دورينييه.. تعد من أعظم وجوه الأدب والشعر في ذلك الوقت. وقد اعترف لها (شارل موراس) على الرغم من شدته تجاه الأدب النسائي، اعترف لها بكثير من أشعارها التي كتبتها في العشرين من عمرها. بالنبرة الكلاسيكيةالتي تليق بكبار الشعراء. لم تجمع أشعارها إلا في مجلد واحد تحت عنوان أشعار (جيرار دوفيل)، وكانت تنشرها في مجلات مختلفة كمجلة العالمين التي استمرت في نشر أشعارها فيها من عام ١٨٩٤ حتى ١٩٠٧. وكتبت عدة قصص منها قصة العبد، ووقت الحب، والمغري، وفتاة. ويتميز أسلوبها بكثير من المرونة فهو سهل ممتنع، يخفي معرفة كاملة باللغة،

ونرى صفحاتها كئيبة مَّرة أحياناً، وضاحكة فرحة أحياناً أخرى.. إنها تعبر عن أعنف الانفعالات بأسلوب متين وبوقار وتؤدة، وأحياناً تكتب بأسلوب متهكم ناعم وبخبث يشبه إلى حد ما، أسلوب (ألفريد دو موسيه). إلا أنها ليست متأثرة به، بل أخذت من النبع الذي استقى منه (موسيه).

إن بطلة قصتها inconstante تعلم أن أحد الرجال الذين وقعوا في حبها قد انتحر. ولم تفهم بأنها هي التي كانت السبب في تسليح يده، وشعرت بتأنيب خفيف، كما اعترفت بذلك لصديقة لها. وبالرغم من أنها ليست شريرة، فإنها تنهي اعترافها لصديقتها بهذه الكلمات الناعمة، التي لم يعترف بمثلها رجل: (كم الطقس جميل).

لقد عبرت (مدام جيرار دوفيل) بقوة أسلوبها وسهولة ألفاظها وروحها الشاعرية، عن شخصيات إنسانية، وعن طبيعتها المؤلمة. والمصير الإنساني المظلم.. وهي تحب الأزهار والأسفار والشباب والنزوات، وهي وإن تحدثت بروح تفيض غبطة وفرحاً، إلا أنها قد فهمت جيداً مأساة الكائنات المعقدة، وبررتها. وعلى الرغم من أن اعترافاتها ليست مباشرة، فإنها تفوق اعترافات الكاتبة (مدام دونواي)، وتتحدث عن النساء وأحزانهن، وتعبّر عنهن في قصة لها، وعن معرفة مصيرهن، فتعبر عنه بعمق وعاطفة، قال عنها أحد الكتاب: إنها رمزية، مرهفة في انتقاء جمال كلماتها، ومرهفة في سحر صورها..

نالت جائزة الآداب الكبرى لعام ١٩١٨. ألف وتسعمائة وثمانية عشر

- تقول في **قصيدة اسمها (بسيشه) (أحد آلهة اليونان).**

لقد مرت بهدوء في البيت المهجور، تمسك بيدها مصباحاً يذوي، وشالها يتطاير في الليل الأخضر،

مخلفاً وراءه شذى وردة عند المساء.

لقد مرت بهدوء في بيت الأغاني، تتلامح على وجهها سمات السذاجة والصفاء.

وقامتها المقدسة الواهنة الهيفاء، تنم عن قدم رطبة على الأرض العارية.

أحياناً يفوق بريق وجهها بريق القمر،

وتتراءى قامتها تحت الشال الشفاف، أو تتوهج ذراعها الفضية الرخصة، وتلتف لتمسك خصلات شعرها الأسمر.

وعلى سفحة منكبيها الناعمة وقامتها الساحرة، يلتف شال هوائي، يظلل جيدها الأغيد، ويطوي قوقعة صدفة ملونة.

وتتلون يدها وهي تسترد ذاك البريق الوردي الباهت،

تتلون لحظة بلون نار ساحرة صافية.

وكفراشة تهتز على زهرة بائسة، أخفت صدرها المظلم، بأنامل ملتهبة. لقد لملمت مشيتها المتكبرة فجأة،

ولم تعد ترى تألق النور المرتجف الذي يحفها،

وتلك الرقة التائهة العميقة، التي تبددت في ليل قصر مسحور..

رجعت بسكون عند بزوغ الفجر الوردي،

ووجهها الصغير شاحب يندّ عن الخوف،

وشالها يرتجف ويتألق في الفجر الملون بألوان قوس قزح،

وبشرتها الجرداء الباردة تلتمع على أقدامها العارية..

وهنا رأت بين أديم الحيوانات المتوحشة الغريبة، إله (الحب) ينام. يحمل بيده المنكمشة سهامه القوية،

وكأنه يرتجف بأشعة النهار.

ولمحت ابتسامة ثغره الإلهية، وجنونه المقدس، ورغباته الجامحة. وشعرت فجأة وهي تقف قرب مضجعه، بخوف يشمل روحها،

هربت، وهي تبكي رعونتها الغريبة، وتطاير شالها في هواء الصباح الأزرق وعيونها تطفح بالخوف الشديد لرؤية (الحب) الذي ظنته إلهاً...

وفي قصيدة لها بعنوان (**القمر فوق البحر**) تقول:

في غمرة الشفق الأخضر، يطبع هلال القمر الصدفي، المتألق، أصداف البحر بصورته.

بأي أذن يلهج صوتك الغريب في الليل، أيها القمر الحزين.

بين ضجيج الأمواج المتلاطم، وهديرها الذي يملأ الأصداف الجوفاء؟

أيها القمر المقدس. أيمكن لصوتك أن يصل إلى أعماق قلبي الذي ينتحب؟

اسكب شعاعك في أحلامي، وفي زهرات المساء وعلى الأشجار.

إنَّ الصنوبرة المرهفة المتماوجة السوداء،

تخفي تحت قشرتها أنشودتك الغريبة.

إنك ترسل وشوشاتك المتناثرة المتناسقة السوداء للرياح

أيها القمر الساحر.

سوف أحرص على أشعتك المخضرة في خصلات شعري،

إذا أردت أنت أن تكون سماء الشواطئ الوردية المتلبدة،

كم من مرة كان الشاطئ سماء للأصداف،

وكم تقلد الصنوبرة أنفاس القوقعة البحرية.

وكم تردد أشعاري صداك الصافي، بلا نهاية، أيها القمر الشاحب،

- **وهذه القصيدة بعنوان (الظل)** تعبر عن رمزيتها وتقول:

هناك في زاوية النسيان المظلمة،

في غمرة العزلة الموحشة،

أجلس وحدي قرب مرآتي العزيزة،

لأتأمل ذلك الماضي السحيق من حياتي العابرة.

فلا يرجع صوتي أي صدى من أصداء الرياح..

إن دليلي الذي أخذ مني ثمن تلك النزهة، التي لم يحدثني قط عن ظلماتها، تركني أمام هذه المرآة الحبيبة، مرآة وجهي،

ولكني لم أتابع السير في الظلمات...

إنَّ جبهتي توردت وأنا أموت في ربيع العمر،

وتنحني على الموج الهادئ، كئيبة حلوة،

حيث لا تستطيع أية صورة شاحبة، أن تعكر الماء الهادئ الصافي.

إن البجع البعيد عن الأمواج، التي تظلم عندها الذاكرة،

تلك البجع الإلهية، لتهرب تعبة منهكة،

لطول ما فتشت في الموج الأسود، عن صورة أعناقها المنحنية...

أيتها الأخوات الشاحبات، أيتها النفوس العزيزة،

لا تمددن بأيديكن إلى الأمواج المنسية،

اتركن ذلك النهر، وعدن إلى الشواطئ المظلمة،

لأن أعينكن لتفتش عبثاً عن ذواتكن،

أيتها الأخوات، لا تحطمن على صخور الشاطئ، مرايا أقداركن الأمينة الطيبة،

واحتفظن بما تبقى من أحلامكن الحلوة، وما تبقى من ذكرياتكن.

وابقين قربي، أنا.

أنا التي عشت في الماضي سعيدة بحبي العظيم،

ولكن واحسرتاه، إني لأخاف التشرد في شواطئ الظلام..

لقد عرفت رجفة الأجنحة المنكسرة،

وعرفت الليل المظلم الذي أطبق على جبيني،

وإني لأعرف الطريق الموحش والتيه،

وأعرف الآثار الخفية، حيث تأتين أنتِ وغيرك..

إن الرمال السود لم تترك لأقدامكن انطباعاً ولا ظلالاً،

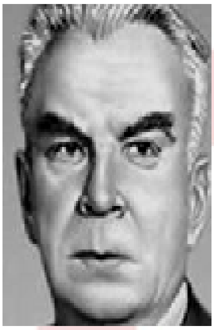
لأنه ليس ثمة من يستطيع أن يترك انطباعاً، في رمال الآلهة،

فلنأتِ جميعاً إلى آلهة الحلم،

ونروِ النسيان المظلم للأمواج اللامبالية،

حيث لا رجع لأي صدى...

* * *



الشاعر السوفياتي فلاديمير لوغوفسكي

Vladimir Lugovskay

١٩٥٧ - ١٩٠١

يعد الشاعر الروسي (فلاديمير لوغوفسكي Lugovskay) أبرز نموذج للشعر الروسي المعاصر.. لقد كانت طفولته وأعوام شبابه من أقسى مراحل الحياة، ذلك أنه اشترك في جميع الأحداث التي عرفتها بلاده منذ عام ١٩١٦، فإلى جانب الحرب الأهلية والتنقلات الكثيرة التي عرفها كمواطن وجندي، كانت لديه نزعة غريبة إلى التشرد والتجوال.. ولكن هذه السنوات العاصفة من حياته، أتاحت له أن يعرف الناس، ويتبين في وقت مبكر جوانب كثيرة من قضايا الحياة الإنسانية في هذا العصر.

وقد نظم الشعر صغيراً ولكنه لم ينشر أولى دواوينه إلا عام ١٩٢٦ وذلك حين أصدر كتاباً صغيراً بعنوان (نشوة) فلفت الأنظار بعبارته المتينة، وقوة إيحائه.. وعلى الرغم من أن الحياة الشعرية في بلاده كانت إذ ذاك في مرحلة من الخصب، تتردد فيها أصداء (مایاكوفسكي) و(إلكسندر بلوك Block) و(اسينين Essenine)، و(تيخونوف)، فان (لوغوفسكي) قد شق طريقه في سهولة بين هؤلاء الشعراء الكبار، ونال شهرة واسعة كواحد من رواد الشعر الحر في الأدب الروسي، وشجعه ذلك على متابعة نظم الشعر. فنشر عام ١٩٢٩ ديواناً جديداً بعنوان (العضلة) ثم أعقبه بديوان آخر بعنوان (آلام أصدقائي) الذي نشره عام ١٩٣٠ وفيه تبرز ملامح هذا الشاعر الموهوب،

وتبدو شاعريته في تمجيده الحار للحياة الإنسانية من ناحية، ولتطلع الإنسان إلى الحياة الجديدة.

وعلى الرغم من الطابع الرومانتيكي الغامض الذي كان يتجلى في إنتاجه خلال هذه المرحلة، فقد كان صوته متجاوباً مع الشبيبة الجديدة في روسيا، غير أنه لم يكن راضياً عن إنتاجه، فقد شعر بتكرار نفسه في التجربة الشعرية، وذلك ما يحدث للشعراء الذين يشتهرون في الشباب ويتوقفون. فنزح إلى آسيا الوسطى مستمداً ينابيع جديدة للتجربة الفنية، ثم قام برحلات متعددة في مناطق أخرى، وأسفرت هذه السنوات عن كتاب شعري هو أروع آثاره، وحمل عنوان (منتصف القرن) ولم يتمم هذا الكتاب إلا قبيل وفاته بأعوام، ولكنه مع ذلك نشر كثيراً من القصائد البارزة أهمها (حكاية الكرات الخضر) ومع أنه لم يتقيد بعمود الشعر في جميع قصائده، فقد اعتُبر في هذه الآثار أقوى عبارة بيانية في الأدب الروسي المعاصر، وقد قال عنه الناقد الروسي (ميكاييل لوكونين Loukonine):

- إن تجربة (لوغوفسكي) في الشعر الحر هي إشارة قوية إلى العالم الأدبي الجديد، الذي يمكن أن تتمخض عنه تجارب الأجيال الشابة، إذا أخلصت لتراثها اللغوي وعاطفتها الصادقة.

- ومات هذا الشاعر عام ١٩٥٧.

يقول في **قصيدته منتصف القرن**:

- أمامي قرن في منتصفه،

هناك أشياء رأيتها، وأشياء لم أرها

لم أفهم شيئاً في العالم، ولم أملك من العالم شيئاً،

ولم أتبين حقيقة نفسي، ولا حقيقة شيء على الأرض..

ومع هذا يجب عليك أن تفهمني..

لقد عشت تاريخ البشر..

عشته حتى الزوابع العاصفة..

وماذا أستطيع أن أفعل الآن؟

أنا، ابن العصر البسيط،

أتكلم عن هذا الزمن، عن الأشياء المريبة،

عن هذه الأيام العجيبة،

عن هذا المارد المنتصب فوق العالم،

يحمل حياة كوكبنا ومصيره الأبدي..

هل الحياة غريبة؟

وفي أدمغة الناس تجري العصور وتعصف القوى،

والشعوب تتبع الطرق التي خطت أمامها،

ثمرة التفكير البشري الطويل،

وأنت لست في خضم تاريخ الشعوب..

إلا قطرة ماء..

ولكن الحياة في أعماق نفسك، وأنت في أعماقها،

إنك تجيب عنها، تجيب عن كل شيء..

عن الانتصارات والمجد، عن ألوان العذاب والأخطاء..

أواه، كثيراً ما كنت أرفع عيني

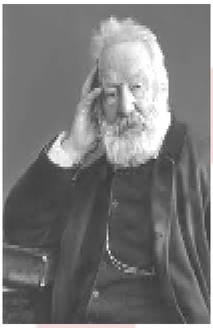
ولا أجرؤ على النظر في الأشياء..

وكانت قواي تخذلني، وإراداتي تضمحل،
وأحياناً كان يمتلكني الغرور.
وتارة تغمرني حرارة الأرض بالنشوة،
أكنت أستطيع أن أرى الأشياء التي يجب أن أراها؟

كنت أتعثر وأسقط ثم أنهض وأتابع طريقي،
ولم أكن وا أسفاه نبياً،
بل مجرد شاعر، شاعر يغني عصره،
يغنيه الحياة الرائعة الحارة.
يغنيه عظمة الأرض كلها..
أجل: إنني لك أيها العصر،
إنك تمتلكني، لك من أعماق قلبي، لك حتى الموت..
وأنا فخور بأنني مشيت إلى جانبك..
وكنت قوي الكيان بقوتك..

وقع خطى تحت نافذتي،
وإنسان يمر..
أيها العابر.. إنك شبابي، إنك مستقبلي،
لأنني أحيا من أجلك.

* * *



الشاعر الفرنسي فرناند غريغ

Fernand Gregh

١٨٧٣ - ١٩٦٠

ظهرت المجموعة الشعرية الكاملة لآثار الشاعر الفرنسي المعاصر (فرناند غريغ Gregh). الذي يعتبر من أكبر الشعراء العاطفيين في أوروبا، وعلى الرغم من كونه عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وله العديد من المؤلفات الأدبية والفنية، فإن إنتاجه الشعري كان يطغى كل حين، على شخصيته الأدبية. وقد قام أحد النقاد بزيارته في منزله المنعزل في باريس وجرى بينهما الحوار التالي:

- إنه منزل جميل، ولكن الهدوء يهيمن عليه بوحشة غريبة، أهي عزلة الشيخوخة؟

جواب: قد يكون ذلك، ولكن من الصعب علينا أن نعترف ــ نحن الشيوخ ــ أن العزلة هي غذاء الكلمات، فلكي تنضج العبارة الشعرية يجب أن تنزوي في مكان ما، لا ترقى إليه ضوضاء الحياة.. أتعرفون من كان يعيش في هذا المنزل؟

- أجل لقد قضى فيه الأديب (بيير لويس) معظم سنوات العمر، ولكنه كان شاباً دائماً.

جواب: لقد كان (بيير لويس) صورة بليغة لجيل كامل، جيل: (اندريه جيد)، و(بروست) و(مالارميه)، وحتى (فاليري).. الجيل الذي أراد شيئاً يقينياً في وجود الإنسان. فالتمس الحقيقة في الرغبة..

- ولكن (مالارميه) و(فاليري) لم يكونا من هذا القبيل، إنهما ضد الرغبة على ما أعتقد، إن العقل يطبع كل ما تركا من آثار..

جواب: لا أعتقد، ليس المهم الطابع الذي يبدو به الأثر الأدبي، بل التجربة الداخلية.. صحيح أن (مالارميه) و(فاليري) أرادا الصيغة الشعرية الراسخة، وتوسلا بالصيغة العقلية في سبيل ذلك، ولكن الينبوع الذي صدرت عنه آثارهما جميعاً، هو الرغبة الحارة. إن كلمة مالارميه المعروفة: (إن الجسد حزين).. أصبحت شعاراً في الإلهام الشعري، وهي تشير بوضوح إلى أهمية الانفعال الجسدي في التجربة الشعرية، وقد كان (فاليري) يعرّف الشعر نفسه، بأنه تجميد الانفعال الذاتي العابر، في صيغة أدبية أشبه بصيغة الرياضيات، ذلك الجيل من الشعراء الصامتين، لقد عاصرتهم جميعاً في أيام شبابي..

- ولكنك لم تتأثر بهم على الإطلاق، فالمعروف أنك حرصت على الروح الغنائية والبساطة، فهل كنت من جيل آخر؟

جواب: الواقع أنني اخترت سبيلاً آخر، لقد رأيت نفسي منذ البداية متوجهاً إلى الشعر العاطفي. وقد كانت قصائدي الأولى متأثرة بالشاعر (فيرلين) وقد عرفني الشعراء في قصيدة اعتبرها أحد النقاد، تقليداً لقصيدة (فيرلين) المعروفة (الخريف) ولكنني ما زلت اعتبرها أجمل ما كتبت:

– تقول القصيدة:

–

الإيقاعات الحزينة

تبعث الغناء في أحلامي الخرساء،

وأبكي.. حين أسمع هذا الصوت

وهو يرتعش قادماً من البعيد

من الأيام الغابرة.. مخضلاً بالدموع..

- لقد خيل للكثيرين أنها من شعر (فيرلين) نفسه..

- ولماذا تحرص على هذا النوع من الروح العاطفية الحزينة؟

جواب: إنني من المؤمنين بالشعر الصافي، أعني العبارة الشفافة التي تُغنى، وتصبح جزءاً من الأنفاس المصعّدة في ساعات الصمت والحنين..

- ولكن السعادة ترف على حياتك - كما يبدو - إنك من الشعراء القلائل الذين لم يعرفوا أعوام الشقاء والقلق، التي عرفها شعراؤنا المخضرمون..

جواب: حقاً لقد عشت حياة سعيدة، ولكن الحنين شيء آخـــر، ليست السعادة أن تمحى عن الوجوه، ملامح الهم والكآبة، بل أن يستطيع الإنسان إغناء نفسه، بالمزيد من صور الجمال.. أن لا يرى الشيء مرتين على نحو واحد..

- وماذا يشغلك في هذه الأيام؟ أتكتب شيئاً جديداً؟

جواب: أجل قصائد متفرقة. بدأتها جميعاً في أوقات شتى، ولا أعرف كيف أنتهي منها، غير أن هناك حادثاً طريفاً جديراً بأن أقصه:

لقد قرأت قصة للكاتب المعروف (جون شتاينبك) (شارع كانري) يتحدث فيها عن عمال السردين المعلب، وغير ذلك... وقد أجرى على لسان أحد أشخاص القصة، قصيدة غنائية نسبها إلى شاعر هندي، ونقلها عن كتاب (مختارات من الشعر الهندي في القرن الحادي عشر) **والغريب أن هذه القصيدة هي** لي أنا، لقد نشرتها منذ سنوات بعنوان:(**إنني أعيش**) ولم ألتزم فيها القافية. لقد دهشت كثيراً أمام هذه الحادثة:

أقول في القصيدة:

حتى هذه اللحظة،

إذا ما تمثلت الفتاة الفاتنة التي يضيء وجهها كالنجوم،

ويشتعل جسدها كاللهب..

يجرحها نصل الحب المتألق..

فعندها يدفن قلبي حياً وسط الثلوج..

وحتى هذه اللحظة

إذا ما أتت حبيبتي بعينيها الشبيهتين بزهرة اللوتس

وقد ناء جسدها بوطأة الحب.

فإني أطوقها بذراعيّ الجائعتين

وأرشف من فمها الخمر الثقيلة.

كما تسرق النحلة المترنحة رحيق زهر النيلوفر..

حتى هذه اللحظة..

أحب العيون السوداء.

ذات الأهداب الطويلة التي تداعب كالحرير،

العيون الحزينة أبداً، الضاحكة أبداً..

تلقي ظلالها الحلوة عندما تغلق أجفانها،

ففيها نظرة عذبة جديدة..

أحب فماً ندياً، فماً عبقاً، وشعراً متموجاً. رقيقاً كالدخان،

وأنامل رشيقة يضحك فيها المرجان

ما أشبه العالم بطيران العصافير

بالظلال واللهيب يتصاعد من أعالي الجبال..

*   *   *



الشاعرة الإيطالية كريستينيا روزيتي

Christina Rosetti

١٨٣٠ - ١٨٩٤

ولدت كريستينيا روزيتي في لندن عام ١٨٣٠، وكانت أمها إنكليزية، وأبوها إيطالياً، وقد ألهمها جرس اللغة الإيطالية وإيقاعها، أشعاراً موسيقية. وقد كتبت وهي في الثانية عشر من عمرها بعض الأناشيد الإنكليزية، وهي تكتب كامرأة إنكليكانية، تقية، تضع نفسها في خدمة الله.

نغمتها في الشعر نغمة حزينة كئيبة، تؤثر في الروح ولا تقرب العقل. وقصائدها تقليدية في نماذجها وعباراتها. وقد رفضت اللذة والفرح قائلة(إنني لا أستطيع أن أستعمل كلمة (سعادة) دون أن تعني لي شيئا يكمنً وراء هذه الحياة). لقد رفضت الزواج مرتين من أجل شكوكها الدينية، وكانت تخاف الزواج من رجل لم يكن كامل الإيمان، ونذرت روحها للسماء، ولم تذعن لأي حبيب أرضي. واعتزلت الناس، وانصرفت لخدمة الفقراء، وقد توفيت وهي تصلي عام ١٨٩٤.

ومن قصائدها **قصيدة بعنوان أذكرني**:

اذكرني عندما أذهب بعيداً،
بعيداً جداً في أرض هادئة ساكنة،
عندما لا يمكنك أن تحملني بيديك،

وعندما لا أود الرحيل، ولا أود البقاء،

اذكرني، عندما لا تستطيع أن تحدثني عن مستقبلنا، الذي رسمته يوماً بعد يوم.

اذكرني فقط، وأنت تعلم بأنه سيكون قد فات أوان النصح والصلاة،

حتى لو استطعت نسياني لفترة من الزمن، ثم تذكرتني، فلا تحزن ..

إذا كان الظلام، والأوراق العفنة،

هي آثار لأفكار كانت تراودني،

فخير لي أن تتمكن من نسياني وتبتسم، من أن تتذكرني وتحزن.

وتقول في **قصيدة عنوانها الحياة والموت**:

ليست الحياة جميلة، وستكون جميلة يوماً ما،

يوم نغمض أعيننا ونموت،

ولا نشعر بالأزهار البرية وهي تنمو.

ولا بالطيور وهي تندفع كالسهم مع الفراشات المرفرفة،

ولا بالعشب الأخضر ينمو فوق رؤوسنا، وتحت أقدامنا.

يوم لا نسمع القبرة السعيدة تحلق عالياً في السماء،

ولا نتأوه ولا نتحسر على فوات الربيع أو الصيف،

ولا نلاحظ القمح وهو ينمو، ولا نعرف من سيتخذ مكاننا المعتاد.

ليست الحياة جيدة، وستكون جيدة يوم نموت ونحيا ثانية،

يوم نغفو، ولا نشعر بتضاؤل الأوراق وذبولها، وهي تتساقط في الغابة،

ولا نسمع السوط وهو يهوي مزمجراً،

لا نرى بذور الحقول المهترئة،

ولا عندما تمتلئ سنابلها صفوفاً من الحب الذهبي،

الميت فقط يخلع ثوب الحياة، وينام،

إما مغامراً وإما متألماً.

إن روح (كريستينيا روزيتي) تتجلى في أشعارها، وفي قصائدها الشيقة في أسلوبها، الموسيقية في جرسها. وهي روح صامتة، ولكنها تتوقد كالجذوة الملتهبة، وهي من النساء القلة اللواتي تخلدت أشعارهن وأناشيدهن.

تقول في قصيدة:

أتراني أنسى يا روح على حافة القبر؟

لم أعد أرجو شيئاً، يجب أن تنتظري، وتري الصبر والشجاعة،

أيتها الروح،

لتسهري معه، وهو معي.

أتراني أنسى، وأنا بسلام في الجنة؟

لم أرج شيئاً، اتبعيه يا صديقتي، وانظري الإيمان والحكمة،

أيتها الروح

واقتفي الطريق التي سارها معي.

وفي **قصيدة تحت عنوان مرتين تقول:**

حملت قلبي على يدي، يا صديقي

فدعني أرتمِ أو أنهض، دعني أحيا أو أموت،

ولكن في هذه المرة استمع إلي لأتكلم،

وإن كان كلام النساء ضعيفاً، فباستطاعك أن تتحدث أنت،

لا أنا....

لقد حملت قلبي بين يديك، ابتسامة حبيبة،

ونظرة متفرسة من عينيك،

ثم رميته إلى الأرض، وقلت، لم ينضج بعد،

فخير أن تنتظري قليلاً.

تنتظري إلى أن تغني طيور السماء،

وتنمو سنبلة القمح وتنضج،

وبينما أنت ترمينه، جُرِحَ وتصدّع.

تصدع ولكنني ما فزعت، بل ابتسمت للكلمات التي تحدثت بها،

ولأحكامك التي سمعتها،

ولم أعد أبتسم، ولم أعد أسأل منذ ذلك الحين.

ولم تعد الزهور البرية تثير اهتمامي،

ولم أعد أغني مع الطيور المغردة،

حملت قلبي بيدي، يا إلهي،

فقلبي الجريح بيدي، وقد رأيته وحكمت عليه،

وسطر أملي على الرمال.

إلهي، استدعِ الآن أحكامك، وأطلق حكمك علي من جديد.

إن هذا ازدراء من الرجل،

وضياع لأيامنا المهملة،

خذ هذا القلب يا إلهي ، لتنغرس في داخله وفي خارجه

لتوقد ذهبه بالنار، وتطهره من الخبث،

إحمله بيديك، عندها لم يعد يجرؤ أحدٌ على خطفه.

سأحمل قلبي بيدي، ولن أموت، بل سأحيا.

وسأقف أمامك، ومن أجل ندائك، سأبذل كل ما عندي،

وأعطيك كل ما أملك،

ابتسم وسأغني، ولكن إياك أن تسألني.

* * *



الشاعر الفرنسي بنجامان بيريه

Benjam Peret

١٨٩٩ - ١٩٥٩

في غمرة الاحتفالات بذكرى ظهور المذهب السوريالي في الأدب والفن، تبرز ذكرى الشاعر الفرنسي (بنجامان بيريه Peret) الذي يقترن اسمه بظهور المذهب السوريالي في الأدب الحديث، أو أدب ما فوق الواقع.

فقد كان (بيريه) أحد أقطاب هذه البدعة، التي ظهرت في أوروبا عام ١٩٢١ في حركة (الدادا)، التي حاولت إدخال الإشارات، وتعابير الملامح، في الأداء الفني. واشترك بيريه عام ١٩٢٤ مع (أندريه بريتون) في نشر كراسة (الثورة السوريالية) التي تركت أثراً كبيراً في الأدب المعاصر، خلال فترة ما بين الحربين، ولم ينج منها الإنتاج الأدبي في البلاد العربية أيضاً.

- وقد قامت السوريالية على أساس أول، هو رفض جميع المظاهر الاجتماعية، والقيم الأخلاقية، واعتبار العالم بأسره مجرد رموز وإشارات، لا نستطيع أن نتبين فيها شيئاً من الحقيقة واليقين، ولذلك فإن كل شيء زائف في حياتنا الحديثة، ويجب أن نرفض الاعتراف بأي شيء..

- يقول الكاتب الروماني (تريستان تزارا Tzara) وهو من رواد هذه الحركة:

- لا حقيقة في الشعر، إن الشفاه هي التي تصنعه، وكل ما تراه العين، هو ضلال في ضلال...

- وقد كان هذا الموقف رداً على الأزمة الخلقية العنيفة، التي هزت الضمير الأدبي، إثر الحرب العالمية الأولى، وتكشفت فيها حقيقة الدولة والمجتمع، عن سلسلة من المآسي البشرية، تسحق الأفراد والمجتمعات. وقد مثل هذا الرد عدد من الشعراء الشباب في أوروبا، منذ عام ١٩١٨، منهم (أندريه بريتون) و(بول إيلوار)، و(لويس آراغون)، و(بيريه).. وعزز الدعوة إليها، جيل من الفنانين سلكوا سبيل الرموز، والخروج على المألوف في التصوير، منهم (بيكاسو) و(ماتيس) و(براك) و(روسو) و(هانس آرب)..

غير أن هذه الدعوة ترجع في الواقع إلى شاعر كبير لمع اسمه خلال الحرب الكبرى هو (غيوم أبولينير) الذي أصدر بياناً بعنوان (الروح الجديدة) دعا فيه إلى الثورة على كل تقاليد الحياة المعاصرة، والأساليب الأدبية. وقد أعطى في شعره نموذجاً لهذه الثورة.

يقول مثلاً:

- **سوف يعود الربيع وتمضي الزنابق،**
وصوتك يزدهر مثل السوسن،
إنه يسحر الحياة،
هذا الصوت، هذا الصوت الحبيب
إن باقة هذا الجسد، هي سعادة الزمن،
هناك ذئاب من كل نوع.. وأعرف أشدها شراسة،
قلبي الذي يحمله الشيطان،
إنه لم يعد إلا لعبة في يده..

وكانت مؤلفات العالم النفسي (فرويد) قد انتشرت في هذه الحقبة انتشاراً كبيراً، فوجد هؤلاء الكتاب في فكرة العقد النفيسة والحياة الباطنية اللاشعورية، ينبوعاً لبدعتهم هذه، ورأوا في الدوافع الداخلية الدفينة، سبيلاً

لهذه الثورة، فلا شيء يعتبر جديراً إلا الفرد الذي يخضع بدوره لنزواته الداخلية، باعتبارها صورة واضحة لحريته، ويعطي (آراغون) نموذجاً للشعر السوريالي في قوله:

- تتساقط الأرقام دون توقف،

تتساقط في الأوحال الدائرة، ومن الشدق العام،

وخيل إلي ذات يوم أني رأيت الشمبانيا على أرض الغابات،

ورأيت أشجار الليمون، والأرانب الهاربة، وأطراف الأظافر، وقلب الغابة، واللون الوردي، والذاكرة،

حقاً إن الذاكرة لشقراء،

على جوانبها عناقيد الإشراق الجميلة..

وهناك حيث الذكرى تتزوج الأكاذيب.

وكانت الدعوة السوريالية في البدء تنزع إلى قلب المفاهيم التي يعيش عليها المجتمع، وتبديل الحياة بأسرها، ولكن الحملة العنيفة التي لقيتها من الجمهور نفسه، جعلتها مذهباً في الأدب والفن لا أكثر، وأهم ما في هذا المذهب، الاعتماد على الأداء العفوي، أن نترك دوافعنا تخرج إلى ضوء النهار، مهما تكن عليه مظاهرها من الغموض والارتباك والتعقيد..

وليس المهم أن يكون الشاعر أو الفنان مفهوماً من الآخرين، ولا من نفسه، بل المهم أن يقول ما يشعر به على نحو ما...

يقول (جاك بريفير Prevert):

- أنا من أنا؟

لقد صنعت هكذا،

عندما تكون بي رغبة للضحك،

أضحك في قهقهات..
أحب من يحبني، فهل هي خطيئتي أنا؟
إذا كان هذا ليس هو الذي أحبه في كل مرة.
لقد صُنعت لكي أُسعد الآخرين،
ولا أستطيع أن أغير شيئاً مني،
قدماي عاريتان،
وقامتي حدباء
وصدري قاسٍ جداً..

يقول بنجامان بيريه في قصيدة بعنوان **مئة درجة سلم** وهي تعبير عن أسلوب المذهب السوريالي:

لا يمكن
لامرأة ترتدي ثياب «الأرملة المرحة»
أن تصبح فريسة للرياح،
لأن المليونيرة السيدة سان - جين
تعيش حياة صاخبة
في جسد إنسان آخر،
كان ابنها على حق
قائد الدورية ١٢٩ الذي يرتدي قبعة إيطالية من القش ،
الفارس المتفوق
يهجر مغامرة صغيرة
لأجل امرأة ،
قمر نيسان هو الذي يطارد الجاموس

إلى كنيسة نوتردام في باريس ،
الرجل الذي لا يُقهر يثير الملل،
بعينيه الصافيتين ..
يرغب في الحكم عليه بقانون الصحراء
لكن العشاق الذين تسكنهم روح الطفولة ذهبوا بعيداً ..
يا لها من رحلة ممتعة ....

ويقول في قصيدة أقدامٌ وأيادٍ:

عين واقفة، عين مستلقية، عين جالسة ،
لِمَ الطواف بين سياجَيْن مصنوعين من درابزون الدرج ،
في حين أن السلالم أصبحت ملساء
كبشرة الرضيع ..
كجنون (الزواوي) الذين يخسرون أرض وطنهم، كما يخسرون أحذيتهم.
لِمَ رفْع الأذرع للسماء
في حين أن السماء أغرقت نفسها دون إيقاع أو سبب ،
لتزجية الوقت ولإطلاق شاربها،

لماذا تجلس عيني قبل أن آوي إلى سريري؛
لأن السروج تصيب الحمير بالتقرحات،
ولأن أقلام الرصاص تتكسر بطرق غريبة لا يتصورها عقل،
طوال الوقت،
عدا في الأيام العاصفة ،
حين تتكسر بشكل متعرج ..
وفي الأيام المثلجة

حين تمزق أرديتها الصوفية إرباً ؛
لكن النظارات، النظارات القديمة الملطخة
تغني، وهي تجمع الأعشاب للقطط ،
ذيل السمكة يعتبر قلباً نابضاً ،
الحلق يرتفع وينخفض بانتظام تقليداً للبحر المحيط به
والسمكة تدور حول مروحة ....

هناك أيضاً أيدٍ
أيدٍ طويلة بيضاء بأظافر من خضرة يانعة
ومفاصل من ندى
رموش متأرجحة تتأمل الفراشات
حزينة لأن النهار اقترف خطأ على الدرج ..
الجنسان موجودان هناك أيضاً، عذبان كالماء الجاري
يتقافزان في الوادي
لأن الشمس تلفحهما ....

* * *



الشاعرة السويسرية مدام دوستايل

Mme De Stail

١٧٦٦ - ١٨١٧

يقول ويلسون: لبعض النساء إرادة قوية تزيح الجبال. وهذه القوة هي التي أخرجت آدم من الجنة.

تقول (مدام دوستايل) في روايتها (دلفين): إذا عرفتم بالفلسفة، القوة التي تجعل آلام الحياة بعيدة المنال، فمن المؤكد أنني لا أستحق الإهانة، ولا استحق الثناء، وأنتم تعلمون بأنني امرأة، لأنني اتصف بالصفات والأخطاء التي يحملها هذا المصير الخاضع الضعيف.

هي كاتبة فرنسية سويسرية اسمها (جيرمن نيكر) ولدت في ٢٢ نيسان عام ١٧٦٦ في باريس، فهي فرنسية المولد ولكنها سويسرية الأصل. وقد تزوجت من البارون دوستايل هولشتاين سفير السويد عام ١٧٨٦ وأنجبت أربعة أطفال. وقد افتتحت ندوة أو صالوناً أدبياً في السفارة.

كانت كثيرة الأسفار والرحلات، سافرت إلى إنكلترا، واتصلت بالكاتب المعروف (بنجامان كونستانت) وعادت إلى فتح صالونها من جديد. وفي عام ١٧٩٨ انفصلت عن زوجها الذي توفي بعد سنين قليلة. وقد نُفيت عدة مرات، وسافرت إلى ألمانيا وإيطاليا ورجعت إلى قصر في سويسرا، حيث تزوجت سراً من ضابط سويسري، في الرابعة والعشرين من عمره وكانت هي في الخامسة والأربعين. وذهبت إلى روسيا والسويد، وعادت إلى إنكلترا

وألمانيا، وماتت عام ١٨١٧ في سويسرا. ومن مؤلفاتها: رسائل عن جان جاك روسو، ومؤلف عن الأدب، ودلفين، وكورين ثم مؤلفها الشهير (عن ألمانيا)،

تقول في كتابها (عن ألمانيا).

إن سمو الفكر والروح في جميع البلاد نادر جداً، ولهذا السبب احتفظ بكلمة (سمو)، هكذا لكي نحكم على طابع أمة من الأمم، يجب أن يقوم بهذا الحكم جماهير الشعب، فإن رجال العبقرية يؤلفون فئة فيما بينهم، إلا أننا لكي نشعر حقيقة بالفرق بين الافرنسيين والألمان، يجب أن نعرف جمهور الشعب الذي يؤلف الأمتين. فالإفرنسي يعرف كيف يتحدث حتى لو لم تكن لديه أية فكرة، أما الألماني فلديه أفكار دوماً أكثر من التي يعبر عنها. وبإمكانك أن تجالس افرنسياً، وتتلهى معه حتى ولو كان بدون عقل، فيقص عليك ما عمل، وما رأى، وما هو مثله الأعلى، الذي يهدف إليه، وما يسمع من مديح وثناء، وما يعرف من العلماء، وما أمل من نجاح.

والألماني لا يتكلم إن لم يفكر، ويرتبك في الحالات التي يتوجب عليه فيها أن يكون مهذباً، ويصبح الموقف في حرج شديد.

وعندما تتكلم مدام دوستايل عن الأدب الكلاسيكي والأدب الرومنتيكي تقول:

إن الأمة الفرنسية التي تعتبر من أرقى الأمم اللاتينية، تميل نحو الشعر الكلاسيكي، محتذية حذو اليونان والرومان... والأمة الإنكليزية التي تعتبر من أشهر الأمم الجرمانية، تميل نحو الشعر الرومنتيكي، وشعر المجد والفروسية، وتمجد المؤلفات التي تنزع هذا المنزع.

أما أنا فلن أبحث هنا عن أي النوعين من الشعر يستحق التقدير، بل اكتفي بأن أبين أن اختلاف الذوق - من هذه الناحية - لا ينشأ عن الأسباب العرضية فقط، بل عن المنابع الأولية للخيال والفكر أيضاً. ثم تقول:

والشعر الفرنسي الذي هو أكثر الأشعار الحديثة ميلاً نحو الكلاسيكية، هو الشعر الوحيد الذي لم ينتشر بين أفراد الشعب، فقصائد (تاس) كان يغنيها البحارة في البندقية، وانتشرت قصائد كالدرون وأغاني كاموئين بين جميع طبقات الشعب الأسباني والبرتغالي، وحفظوها بكل عواطفهم... ويعرف الشعب الإنكليزي، أشعار (شكسبير) أكثر مما تعرفه الطبقة الراقية، ولحنت قصائد غوته وبيورجير Burger، فتسمع أصداءها تتردد من ضفاف الرين إلى بحر البلطيق.

وكتبت مدام دوستايل قصيدة تقول فيها:

أتعرف هذه الأرض التي يزدهر فيها الغار،

وتنهمر فيها أضواء السماء في لهفة وحب،

وتتجاوب في الفضاء ألحان ساحرة.

ويعقب فيها الليل الهادئ أجمل نهار...

أجبني هل شعرت بهذه الحياة النشوى، التي توجهها شمس الجنوب إلى جميع الحواس؟

هل تذوقت مرة هذا الشعور المؤثر الذي تسكبه في شعور الإنسان، الأشذاء والأزهار والأمواج المهدهدة، والرياح الحالمة في المساء،

وأناشيد الغجر في هذه الأماكن السعيدة؟

والحب أيضاً، الحب يضيف مسراته إلى المسرات التي تغدقها السماء،

والأحزان القاسية التي تفرضها الحياة، تتلاشى أمام ضوء السماء، كما تتلاشى الظلال العابرة.

لقد اندملت الجراح، وهنا نستطيع أن نستسلم للموت، ولكن، من يحيا فله السعادة.

إنها أرض النسيان، إنها سماء لا غيوم فيها، تعيد القلب طليقاً، والروح مرهفة.

في هذا القلب، لعل من الممكن أحياناً، أن تنشأ العواصف، فلا تنكروا أبداً شراً عابراً كهذا.

فترون الفرح قد عاد كما كان،

والنسيم وقد غسلته موجة البحار.

والأزهار وقد ضمخت أنفاسها بالعبير.

والأرض وقد نشرت أريجها في الهواء،

وحتى الليل، الليل نفسه، بظلاله الخجلى، لا يكاد يحجب إلا شيئاً من روائع النهار.

والبركان ما يزال يشرق بلهيبه القاتم.

إنّ الطبيعة لا تحجب مطلقاً هذه المفاتن عن الإنسان، عن هذا الكائن الذي خصته بحبها اللاهب.

فهو لم يعد وحيداً، لم يعد معتزلاً.

وإذا ما ذرف بعض الدموع من أحزان هذه الحياة،

فلينظر إلى السماء حتى يغمره السلوان..

* * *



الشاعر البلغاري نيكولا فابتساروف

Nicola Vaptsarov

١٩٠٩ - ١٩٤٢

يحتفل في بلغاريا بذكرى الشاعر المناضل (فابتساروف) الذي نذر شعره للكفاح ضد الفاشية، ومات وهو يناضل.

فعندما ولد شاعر بلغاريا الكبير قضى أيام طفولته في سنوات الحرب العصيبة، فخلال أقل من عشر سنوات، عانت بلغاريا أهوال ثلاثة حروب مدمرة.. وكان (فابتساروف) صبياً عندما هب الشعب ضد الفاشية عام ١٩٢٣.. وعانى خلال شبابه من الإرهاب الفاشي العنيف.. فكان شعره نموذجاً لشعر البطولة والكفاح..

لم يتمكن (فابتساروف) من دراسة الأدب، ودرس في المدرسة البحرية في مدينة فارنا، وانتهت سنوات الدرس بجولة في البحر، شعر خلالها بأن أحلامه تنهار أمام الواقع المرير.. وتنقّل بين عدد من المهن الشاقة، وذاق مرارة الجوع، وفقد طفله الوحيد مما ترك أثراً كبيراً في شعره.

يقول في قصيدة أطفالنا:

يموت أطفالنا في العفن القاتل

وعيونهم ظمأى إلى الشمس...

أما نحن... فنحمي رؤوسنا بجمود

ونصمت... نصمت صمتاً شائناً..

لقد صفعت الحياة أفواهنا العطشى،

ببراثنها الوحشية دون رحمة،
ولذا فنحن بحاجة إلى العذوبة
في الأشعار التي نكتبها،
خلال ساعات نسرقها من رقادنا
لا يتضوع منها الأريج.
بل هي قصيرة عابسة...

إلا أنَّ قصائد (فابتساروف) ليست مجرد لوحات عنيفة من الحياة، فهو لا يسجل ولا يقنع بتقرير الواقع... إن الحياة البائسة تثير الحقد.. هذا الحقد ليس مفهوماً مجرداً في شعر (نيكولا فابتساروف) بل هو شيء أقوى من الإنسان، إنه قوة غامضة تسيطر على كل المظلومين، فهذا الحقد يتغلغل في كيانهم كقوة خفية..

ويقول:
وفيما بعد، فيما بعد،
تغلغل الحقد في أعماق القلوب،
كالجرح المتعفن، لا بل كالجذام..
ينتشر بشراسة تحيل الروح إلى أشلاء مهترئة..
ويلقي بشباكه السامة،
في الوحشة والقنوط المدلهم..
ويتغلغل في الدماء وهو يهدر ويتوعد..
كان ذلك في وقت مبكر. مبكر جداً..

- لقد كتب (فابتساروف) عن الكادحين في مختلف فئاتهم، الوقاد الذي يحمل الفحم طوال الليل، والسل ينخر صدره، وذلك ليقدم الطعام لأطفاله.. السائق الذي يحس في صوت الآلة الرتيب آلامه الراعشة، صياد السمك الذي يعود إلى بيته وهو متجمد الأطراف، لأن الرياح الباردة تنهشه بأنيابها، ولأن قطرات الثلج موجعة كالرصاص.. وكتب عن الفلاحين الذين يعملون كالبهائم. فالإنسان لا

يحتاج إلى الخبز وحده، بل إلى الحرية والحياة الإنسانية. وفي مطلع الأربعينات وقف الشعب بأسره ضد الطغيان، وكان لابد من تغيير الحياة، وكان (فابتساروف) يدعو في شعره إلى النضال والثورة إذ يقول في **قصيدة عن النضال والثورة**:

يا ربيعي، يا ربيعي الأبيض

أعلم أنك آتٍ مع الرياح والأعاصير

كعاصفة رهيبة محملة بالرعود

لتعيد الأمل ولتغسل الجراح الدامية

وفي عام ١٩٤٢ اعتقلته السلطة الفاشية لأنه مناضل ثوري، وحكم عليه بالموت، وكان يتحمل في السجن أنواع التعذيب والإهانة، إلا أنه لم يرضخ بل كان يتصرف ببطولة ورجولة.. وكانت آخر كلماته أمام المحكمة: لقد كنت أعمل وأنا أعرف تماماً أنني أخدم وطني، كواحد من أبنائه المخلصين، ولست آسفاً على ذلك، لا أريد رحمة من أحد، بل كل ما أرجوه هو أن يفرج عن الآخرين لأنهم أبرياء..

ويقول في قصيدته الأخيرة التي كتبها في السجن، قبيل إعدامه ببضع ساعات:

النضال قاس، بلا رحمة

النضال ملحمة..

لقد سقطت، وسوف يخلفني آخر.. وهذا كل شيء..

فأية قيمة للإنسان؟

رصاصة، وبعدها الديدان..

أمر في منتهى البساطة والمنطق،

بيد أننا سنكون معك في العاصفة من جديد

يا شعبي..

لأننا أحببناك بكل جوارحنا....

* * *



الشاعرة الفرنسية جيرمين بومون

Germaine Beaumont

١٨٩٠ - ١٩٦٣

قال جورج لوكونت Leconte:

إن (جيرمين بومون) شاعرة في الدرجة الأولى، شاعرة قوية، حيث إنه بإمكاننا أن نقول لها منذ بداية كتابتها النثرية: (لن تكوني إلا شاعرة).

و(جيرمن بومون) شاعرة فرنسية معاصرة، تعيش في باريس، وتكتب في مجلة Les nouvelles Litteraires منذ زمن، ويكاد لا يخلو عدد من أعداد هذه المجلة من كتاباتها النثرية والشعرية..

تقول في قصيدة لها تحت عنوان (الخريف)

أيها القلب المعذب، يا قلبي الراجف.
هذه المواكب الهازجة من أوراق الشجر، والمطر المنهمر،
متى نشهدها معاً من جديد،
في أي خريف وفي أية حياة..؟
متى نشهد هذه الرقصة، وهي تعبر من دون موسيقى، بساتين (السين)
والشوارع القلقة الحزينة، وساحات بولونيا و(فانسين).
والأحياء القديمة، حيث يجلس الحلم هادئاً، قرب المتعبين من الحياة؟..
والطرقات المديدة في المراعي البعاد؟..
مواكب الأوراق الصفراء والمطر المنهمر،

تتراقص في جنون، حداؤها الرياح العواصف،
لقد رأيناها في معظم الأحيان؛
ونحن وقوف وراء النافذة، في اهتمام قليل، مع قليل من الأحلام..
وملء خيالنا تعبر مواكب أخر، في حياة غير هذه الحياة.
وأنت تتأملها أيها القلب المرتجف، يا قلبي الباكي.
وقد رقصت فيها الملائكة والجنيات،
هذه تكلل جبينها الأشواك، وتلك الأزهار النضرة،
هذه تثب على رؤوس أقدامها الحذرة،
وتلك تنطلق بأجنحتها المرفرفة في عواصف من الحنان،
فيا للكائنات العجيبة، يخلقها الوهم من همسات الضياء ورفيف الظلال.
أواه أيها القلب المعذب، أيها الخافق،
أرهف السمع إلى هذه الآلاف من الخطى الصغيرة،
وهي تدور على مسرح الرقصات المتلاشية، في الشارع وأمام الأبواب...
في الممرات الضيقة، وعلى سطوح المنازل والجدران،
اصغ، ولكن حذار أن تخدعك هذه الأهازيج، وتلك المواكب،
فثم شيء ثمين، يفر من يديك طليقاً.
أيها القلب الحالم، المليء بالظنون،
ثمة شيء ثمين يفر في طرق أخرى، وتحت سماوات أخر
والموكب الرائع، ينطلق من جديد، في أسفاره،
قبل أن يتأمله القلب ملياً، ويصفق له.
فمتى نراه من جديد، متى نراه معاً؟
أيتها القلوب التي يضنيها الفراق، أيتها القلوب الواجفة.
وأنت يا قلبي الممزق، أنت البعيد عني.
فقد رحلت وحيدة في فيض من الدموع.

ولكن روحي تنطلق إليك في أسفارها البعيدة
هائمة في دروب شتى، في حياة غير هذه الحياة.
حياة لا رياح فيها ولا خريف، ولا تنهمر فيها الأمطار...

وهذه قصيدة تحت عنوان (العودة):

إيه طفولتي، إن كاهلي ليرزح يوماً بعد يوم تحت ظلال يدك،
لقد اجتزت البحر، وها هو ذا القطب الآخر،
وها أنذي على شاطئ جزر الصمت، وإذا كان الزورق، ما يزال يتهادى على مياه الشواطئ،
والشراع يخفق في الهواء، فذلك أن النداء الآتي من جزر الصمت،
ما يزال بعيداً لا تعيه الأسماع.
أواه، لقد كانت الرحلة طويلة، كثيرة العقبات،
والأمواج ضاربة حول الصخور، وفجأة سمعت رنين أجراسك، أيها الضباب،
يا شبكة القلوب القلقة المتألقة؛
سمعت رعد الزوابع الهائلة، ينكسر على شطئان، ليس لها حدود،
وسمعت بين أناملي، ضجيج الزمن العابر، تختلط فيه الدموع بالرمال.
وعرفت مرة ونحن نجتاز الأمواج العالية،
عرفت رعدة خضراء شجية الإيقاع.

لا ريب أن الآلهة ترقد هنا هادئة في أبدية النخيل...
وأحياناً كان يتراءى لي كهف عميق، يطل من صخور الشاطئ السوداء، بين الأمواج،
وأرى العديد من عرائس البحر، يرقصن ويتهامسن أبداً، بنداء المستحيل..
ورأيت الموت الرهيب بعد ذاك، بأجنحته المطوية،
موت السفن الكبيرة يهدهدها الموج العميق،

والعلم الأسود يرفرف في هذيان المعارك البحرية الرهيبة، والرياح العاتية

لقد كانت تلك حياتي. تهبها الصدفة دون انقطاع، فرصاً جديدة،

ثم تموت أمام عيني، لقد كنت تغمرني بالعجب،

يا لون السماوات الآخر، يا قوافل السراب العابرة،

يمر بها شعاع مفاجئ، فيبددها ويطويها...

وأنت أيتها الطفولة،

أنت التي لم أكن التفت إليك أو أراك...

لقد كنت تائهة من دون مغيث، في تيه قضي علي فيه بالتشرد إلى الأبد،

لا رفيق غير النجمة المتنقلة، ولا هدف غير دائرة الآفاق الجرداء، ولا غذاء غير سمومك القاتلة،

أيتها العزلة، يا شقيقتي ذات النظرة الساحرة.

ثم، في ذات مساء، لمحتك أمام الحاجز، وأنت مرتعشة غائمة،

كما لو كنت من الضباب، وعرفت قوتك، و عرفت الخوف ملء كياني..

فإذا ما عدت إلي أيتها الطفولة، فذلك لأنني قد عرفت الضياع.

إن صورة رائعة تجسدت عنك أمامي،

يجتمع فيها النقيضان المتباعدان منذ الأزل،

فكان الموج يعكس عنها في ثناياه الذهبية وجهاً واحداً، يحمل رجفة الشيخوخة وعنفوان الشباب..

أما أنت، أيتها الطفلة البادية من ذلك العهد السحيق،

فإنك لم تغيبي مرة عن عيني، ولم تهدأ منك الجراح، فقد كنت إياك.

لقد رصدك السحر بفتونه، والرحلة طويلة، والدموع غزيرة،

والرغبة تلح في نشدان وطن آخر، في غير مكان، (وطن) يكون مربعاً ومقاماً...

رغبة أنت مداها يا صورتي الثانية، ذات الملامح الشقراء..

إن المستقبل ليبدو جلياً خارج طرق هذا العالم، وأخال أنني أتبعه.. وتلك عودتي...

ونشرت جيرمين بومون أيضاً هذه القصيدة بعنوان (**الينابيع**):

(جميع الينابيع تهفو إلى البحر)
بهذه الكلمات هتف صوت قوي جبار في حلمي.
ولكني لا أدري من كلمني، ولا أعرف مبعث هذا الصوت،
إنما كنت أفكر في إلهام الينابيع هذا، ذلك الوحي الخرافي،
وهو الهدير الذي يسوق المياه الهادئة نحو صخب الرمال الرائع.
لا أعلم من الذي حدثني عن الينابيع في الحلم.
ولكن الصوت كان جميلاً وقوياً، كصوت ملاك لم يتسرب إليه الشك،
أصغيت فاستمعت إلى ترنيمة المياه الرطبة،
وهي تركض تحت العشب، فلا تكاد ترى،
وإلى صوت المياه العذب، وهي تغني، فنسمع إليها، عندما يصمت الإنسان،
ويفتح البحر ذراعي تموجاته اللانهائية،
حين يضيع كل شيء ليستقبل هذه الينابيع،

لقد أصغيت إلى ترانيم الينابيع وهي تركض نحو البحر.
ولا يمكن أن تكوني أنت، يا مياه الربيع،
أنت يا مدَّ الحياة، وأغنية الأمواج الحبيسة، التي تناديها أبداً أغنية الزمان.
في الربيع، جميع الينابيع تندفع، مع دماء العروق القرمزية، نحو نهاية فسيحة.
لله، أي صوت يحدثني هكذا في الظلام، كي يقود وثبتي نحو نهاياته السامية.
(جميع الينابيع تهفو إلى البحر)
أما نحن فنهفو إلى العظمة، التي تستفزنا وتواسينا،

كم كان الصوت قوياً والكلمات حازمة، واللهجة واثقة في حديثه الغاضب الهادئ،

فنحن عندما نفقد المثال والنفس والرادع،

نتذكر دورنا في الحياة من خلال التفاهة والعمق اليومي.

ماذا تعني الينابيع إذا لم تستجب لنداء المحيط؛

إنها لا تعني شيئاً، أنها لا شيء غير خيوط فضية، ترتسم على الأرض من دون جدوى،

لا شيء غير مرايا تعكس وجوهاً أحيطت بمناظر ملونة زرقاء وخضراء.

أيتها الينابيع لأقبلن فيك المطلق،

ولأذهبن معك نحو البحر،

فكل شيء يتدفق من صميم القلب الإنساني،

وما تهمني يد المعونة وصوت النصح،

هذه الجداول العابثة التي يصطدم بها الحجيج في طريقهم،

من خلال الأقدار ترتسم حدودي، والبحر الذي في نفسي يهدهدني...

إنها لا نهاية الحياة المتلألئة المندفعة نحو البحر.

إنها اتحاد ملايين وملايين من حياة الإنسان،

كل واحدة من أجل الأخرى، تنسج أغنيتها من خيوط بعضها في غبطة أبدية.

إنها وحدة الزمن والجمال، والأصوات والنغم، والألم والندم والأمل،

وكل شيء عندما ينتهي يبعث من جديد،

وثم الذهاب والعودة الأبدية، والموج يختلط بالأسباب والأفعال،

ولكن السكينة والسلام، تضفيان على كل شيء هذا الصفاء الذي يبعث السعادة ويخلق الحب..

* * *

الشعر الفنلندي والسويدي

نشرت مجموعة جديدة من الدراسات عن الأدب الفنلندي والسويدي، لعدد من الكتاب، ألقت ضوءاً على جوانب دقيقة، عن علاقة الإنتاج الأدبي بحياة الكاتب ومزاجه.

الدراسة الأولى لديوان الشاعر السويدي (**غونار إيكلوف Gunnar Ekclof**) **الذي يحمل عنوان (ديوان أمير امجيون Emjion)** الذي يحمل نفحة من كتاب ألف ليلة وليلة، وقد ولد الشاعر ايكلوف عام ١٩٠٧ وتوفي عام ١٩٦٨. وقد بدأت شهرته كشاعر مبدع عام ١٩٣٢ بقصيدة تحمل عنوان (متباطئ على الأرض) تأثر فيها بأشعار (رامبو) الذي ألهبت كلماته أحاسيس ايكلوف، وأسكرته بخمر جديدة سوريالية، امتزجت بألحان نار الفرح والبهجة، في موسيقى (سترافنسكي)، فكانت القصيدة فتحاً أدبياً جديداً، احتل مكانة كبيرة في الأدب السوريالي. إلا أن أصالة (ايكلوف) قد تميزت بحس الفاجع، بحس الموت، الذي جعل أشعاره أقرب إلى قصائد (إليوت)، ويلح على فكرة العدم بصورة خاصة.. ومع ذلك فإن (ايكلوف) لم تسيطر عليه كتابات الموت والانتحار، بل اتجه إلى أعماق نفسه ليصبح (الخيال) الشهير (لاندريه برتون A. Breton).

واتجه الشاعر إلى الشرق في حوالي الثلاثينات حيث اكتشف بديله الروحي، إنه أمير اميجون، الذي عاش في بلاد فارس.. واستوحى ديوانه الشعري، من ثلاثية شعرية تتحدث عن تقاليد وأمجاد سكان البحر المتوسط، وهذه الثلاثية هي مجموعة من القصائد لروائيين شعبيين من اليونان، تتحدث عن بطل بيزنطي، هذا البطل هو أمير سجين، فقد بصره في السجن وأصبح أعمى.. هذا الأمير الأعمى الشاعر الأعمى، رأى من **خلال قصيدة تقول**:

أوه، بعيداً، بعيداً، بعيداً

بعيداً من هنا يوجد شيء من القريب..

في أعمق أعماقي، وفيما هو أقرب يوجد البعيد،

شيء ما قريب من هنا، يوجد بعيداً..

شيء ما، قد يكون سحابة، وقد يكون صورة،

وقد يكون سحابة وصورة.. ولكنه شيء آخر...

في مثل هذه القصيدة تتجلى بعض المعاني الغنية التي تزين ألف ليلة وليلة.. لقد كرس (**ايكلوف**) جهوده الأدبية لإيجاد صوفية تنتزع المرء من هلع الفكر...

- الدراسة الثانية تحمل عنوان (**كانتيلتار Kanteletar**)، وهي مجموعة من الأشعار القديمة الشهيرة في فنلندا، يعود تاريخها إلى ما قبل التاريخ.. وهذه المجموعة تدعى بالأصل (كاليفالا Kalevala)، قام بجمعها وتدقيقها وطبعها، الشاعر (**جان لوك موردو Jean Lue Moreau**) أستاذ اللغات الفنلندية، في معهد اللغات والحضارات الشرقية، وقد أضاف (مورو) إلى هذه المجموعة الرائعة، دراسة مطولة عن الشعر في البلاد الاسكندنافية، وأطلق على هذه الدراسة اسم (كانتيليتار Kanteletar). وقد جمعت الأشعار القديمة ما بين عام ١٨٣٠-١٨٤٣ وقام بجمعها (إلاس لونرو Ellas Lonneror) خلال رحلاته في المناطق المختلفة من البلاد الاسكندنافية، وخصوصاً في منطقة (كاريلي) حيث يقدس المواطنون هناك قيثارة موسيقية تحمل اسم (كانتيلي Kantele) فسميت هذه المجموعة باسم هذه القيثارة..

وكانتاليتار مجموعة كبيرة من القصائد يفوق عددها ٧٠٠ قصيدة، ألفها جيل من الفلاحين المجهولين.. إلا أن المؤلف اختار خمسين قصيدة، تميزت بأروع المعاني وأرق المشاعر.. وقد حرص المؤلفون على وحدة النثر التقليدي، الذي يعتمد على وحدة المقاطع، والتعبير المتناسق بين قصيدة وأخرى، بحيث تتحدث عدة قصائد عن فكرة واحدة وبكلمات مختلفة.. وقد كان من عادة قدماء الفنلنديين تذوق الشعر والغناء معاً، بحيث تمتزج القصيدة الشعرية بالأغاني، فالقصيدة لحن لا ينتهي..

ويعود تاريخ هذه القصائد، إلى العهد الذي كانت فيه الكلمة أسطورة عجيبة، فالكلمة هي الإبداع، هي تعبير عن وجود المقدس في قلب الكون.

ويبدو أن معظم هذه القصائد، التي تحدثت عن العمل واللهو، عن الليل والنهار، كانت من إبداع المرأة، التي عبرت عن الحب والحنين والوحدة، وقد بقيت هذه القصائد قوية الصياغة والأسلوب، واعتبرت إرثاً ثميناً. كما أن بعض القصائد تعبر عن القسوة، التي كانت تهيمن على أسلوب الحياة آنذاك، ويبدو ذلك من خلال هذه القصيدة التي تقول:

نم يا صغيري، يا غمامي..

في هدهدة مظلمة، في كوخ معتم

فعند الموت سوف يضعك النوم تحت حجر كبير،

فتنام تحت العشب الأخضر،

تحت الأرض حيث تستريح..

تهدهدك أغاني الموت. بين أيدي حوريات الجنة.

- الدراسة الثالثة عن **الشاعرة الفنلندية المشهورة (اديث سوديرغران Edith Sodergran)** وتعد هذه الشاعرة من أعظم الشاعرات في اسكندنافيا، لما لها من أهمية كبرى في الأوساط الأدبية، وذلك لأنها كانت أول من كتب الشعر الحديث.. فقبل عام ١٩٢٠ بدأت الثورة الحديثة في الشعر، والتي استمرت حتى الأربعينات.. إلا أن الشاعرة (اديث) تحررت من هذه الموجة الطاغية، كي تصبح الشاعرة الوحيدة، التي يستمع الجميع إلى جرسها الشعري، وصورها العنيفة، التي تذكر بلوحات (مونك Munch)، وتجاوزت الرموز والصور، لتعبر بأسلوب رشيق، عن مشاعرها الرفيعة، بتعبير قوي وبعاطفة غامرة، تتجاوز جميع الصور القديمة، وقد قال أحد النقاد: إن المادة تتداخل في البنية الشعرية عند (إديث) بحيث تحقق وحدة متكاملة..

ولدت (اديث سودبرغران) في سان بترسبورغ عام ١٨٩٤ ودرست في مدرسة ألمانية، ومنذ عام ١٩٠٢ كتبت أشعاراً باللغة الألمانية استوحتها من الشاعر الألماني الكبير (هايني).. وفي عام ١٩٠٧ مات أبوها بالسل، وورثت عنه هذا المرض الذي ترك أثراً كبيراً في حياتها الأدبية، وذهبت إلى سويسرا للعلاج، وفي هذه الفترة قامت الثورة الروسية، وتحرير فنلندا، مما ترك الشاعرة خارج بلدها محطمة مهملة..

وتتضمن أعمال (اديث) ثلاثة مجموعات شعرية رئيسية، هي أشعار عام ١٩١٦، قيثارة أيلول عام ١٩١٨، مذبح الزهور ١٩١٩، ظل المستقبل عام ١٩٢٠، كما تركت مجموعة لم تتم، هي قصة بلد لم يوجد نشرت عام ١٩٢٥، وقد انطفأت (اديث) عام ١٩٢٣ في أطول أيام السنة حيث بدا كل شيء وكأنه لا يريد أن ينطفئ.. تقول:

عندما ينفذ الضياء إلى نفسي سوف أموت،
ولكنني سوف أعود إلى الحياة، باسمة مشرقة
عندما أدوس بأقدامي كل مصير...

وقد تناول الناقد الفرنسي (روسيه Rousset) موجة الشعر الحديث لدى الجيل الجديد في فنلندا، جيل الستينات - كما يدعوه - ويؤكد في دراسته له عن النماذج الشعرية التي عرضها عنه، أنه يمثل انعطافاً كبيراً في تاريخ الشعر الأدبي المعاصر.

والمعروف أن الأدب الفنلندي ما يزال مجهولاً على الصعيد العالمي، على الرغم من أن المجتمع الفنلندي قد بلغ أوج التقدم الحضاري، والحياة التقنية المعاصرة منذ منتصف القرن العشرين، ولم تبدأ محاولات الإنتاج الأدبي إلا منذ مائة وخمسين عاماً، كان الشعر خلالها مغلقاً على نفسه، معنياً باللفظية بعيداً عن العصر حتى الأعوام الأخيرة.

ومن الصعب عرض التطورات الأساسية للأدب الفنلندي ولاسيما في مراحل نشوئه الأولى أي في الحقبة الكلاسيكية، التي استمر تأثيرها حتى جيل

الستينيات نفسه كما يقول (روسيه Ruosset) غير أننا نستطيع أن نتناول عدداً من النماذج، التي عرضها هذا الناقد في بحثه الأخير، ويمثلها خمسة شعراء شباب، يمكن أن يعدوا من أقوى ممثلي الموجة الحسية الجديدة في الشعر العالمي، لدى الأجيال الناشئة...

في طليعة هؤلاء **الشاعر الشاب (بنتي ساريكوسكي Penti Saarikosky)** وقد ولد عام ١٩٣٧ وبدأ حياته الأدبية في الاهتمام بالتعبير الكلاسيكي، ومنذ عام ١٩٥٩ بدأ ينشر القصائد الجديدة، وفتح صفحة أخرى في إنتاجه الأدبي، يدعوها الناقد الفرنسي، المرحلة الحمراء، وأبرز ما كتب، قصائده في عام ١٩٦٦ وهي تحمل هذه العناوين: بصوت عال، أذهب حيث أذهب، لا أقبل النهاية، و **قصيدته المشهورة هي (السأم)** وهو أخطر قضية ، يقول فيها:

- من خلال النافذة المفتوحة، يأتي الكلام وتتموج الستائر، وإلى جانب الشجرة البيضاء تنتصب لافتة صفراء،

إنه موقف الباص،

وأمامه أ ناس ينتظرون،

يمكن الآن في سويسرا أن تحصل على ملاجئ من الغارات الذرية، لا تكلف كما يبدو، إلا مقدار ما تكلفه سيارة جديدة، فلو أن السيارة والملجأ الذري اجتمعا معا،

لما كان لنا أن نبقى هكذا، في نفس المكان..

إن السأم هو أخطر القضايا،

في جميع الملاجئ..

* * *

شعراء من أفريقيا ومن آسيا

المعروف أن منظمة التضامن الأفروآسيوي تضم في الوقت نفسه، منظمة قد تكون أكثر أهمية وخطورة في التعبير عن التقاء الوجدان الشعبي لدى الجماهير الواسعة، في هاتين القارتين هي منظمة الكتاب الأفريقيين الآسيويين...

ومع أن كتاب أفريقيا وآسيا يهتمون بعقد المؤتمرات المعنية في تنسيق العمل الثقافي التقدمي، بين كتاب الشعوب المختلفة، وذلك في سبيل إسهام الأدب على نحو خاص، في دعم معركة التحرر، التي تخوضها هذه الشعوب، للانعتاق من سيطرة الاستعمار الغربي، ومن شروط التخلف القاسية في آن واحد، مع هذا فإن المادة الأساسية لمثل هذه اللقاءات قلما تعرف وتنتشر بين الجمهور، ونعني بهذه المادة آداب الشعوب المغمورة في آسيا وأفريقيا.

وقد كان من أكبر مفاجآت الحياة الفنية في الربع الأول من القرن العشرين، اكتشاف الفن البدائي الذي عرفته الشعوب الأفريقية منذ عصور بعيدة. مثلما كان اكتشاف الموسيقى البدائية التي طعمت بها معظم الاتجاهات الموسيقى المعاصرة، ولا سيما في تجربة (سترافنسكي) و(جيرشوين) غير أن الاكتشاف الأشد خطورة هو يقظة الوجدان الأفريقي أمام التحديات الأجنبية، وذلك من خلال النتاج الشعري والقصصي والروائي لدى هذه الشعوب الغامضة. فإذا كان باستطاعتنا أن نتبين الجذور البعيدة للتجارب

الأدبية في آسيا وهي أقدم قارة من الوجهة الحضارية، فإن اللغة كانت عائقاً دون اكتشاف الملامح الحقيقية للتجربة الأفريقية في الأدب والفن.

وبمناسبة الملتقى الثقافي للتضامن الأفريقي الآسيوي لابد من التعرض لبعض النماذج الأدبية المجهولة لدى الشعوب الصغيرة في القارتين العريقتين:

الشاعر (اغوستينو نيتو) من انجولا في قصيدة بعنوان صوت الدم:

- ينبض في داخلي
صوت الطبول،
وإيقاعات موسيقى (البلووز)
تخامرها الكآبة
آه.. أيها الأسود الممزق في هارلم!!
آه أيها الراقص في شيكاغو!
آه أيها الخادم الأسود في الجنوب،
أيها السود في أقاصي الأرض وأدانيها
إنني انضم إليكم بصوتي الواهي
وآتي إلى أركانكم،
بإيقاعات موسيقاي في تواضع..
إني أصحبكم، حيث تلتقي أفريقيا، على الطريق
أنني أحس بكم جميعاً..
أيها السود في جميع أركان الأرض، وأحيا آلامكم
أي أخوتي...

قصيدة بعنوان المساء، لشاعر من بورما، هو (يوبين بي).. يقول:

- حين تغير التلال ألوانها، في المساء الأخضر الزمردي...

من خضرة البحر في دهمتها الداكنة، إلى زرقة العباب في مصبات الأنهار، عندئذ تصعّد الأحراش أنفاساً تتضوع بعبق الطفولة،

وتتدلع الأشجار.

وإذا بالبراعم انبثاقات، تتبجس من نور غصن

ناعم رقيق،

الطريق تشقه الأخاديد، قديم،..

محفوف بأسرار كأنها عرائش اللبلاب،

وجلمود الصخر الصبور، قد استغرقه الفكر.

إن يوماً آخر قد آذن بالأفول..

وفجأة تتطاير الوطاويط متدافعة هاربة..

بين السقوف المخروطية فوق البيوت..

وتسري رعدة الأجنحة بين أفنان (تمر الهند) التي تتولى منها الشعاب عبر الحقول، التي يغطيها الهشيم،

تتردد بين النخيل صيحات الدجاج البري، كأنها فقاعات الماء، تتموج إزاء نبض المساء.

وأسمعها بين الأضرحة والقبور الممتدة في صدري.

كأنها أصداء القمر، تتخلل المعابد العتيقة في (باجان)

توقفت قطرة الماء طويلاً، أطول مما ينبغي،

على الأنبوبة الرصاصية في الحديقة.

وران الغيم ضبابياً غامضاً، طويلاً، أطول مما ينبغي، فوق التلال..

لماذا تكونين كقطرة الماء، وغيم الضباب؟

أيتها الأيام إنك تتسربين من هذه المصافي الزمردية،
سراعاً إلى غير مآب...

شاعر معروف من منغوليا هو الشاعر (ناشا جدورج) كتب قصيدة طويلة بعنوان الفصول الأربعة، كل فصل في إيقاع شعري ساحر، عن مشاعر الفنان وأحاسيسه. يقول الشتاء مثلاً:

- تصفر الريح وتئن.
لها رفيف، بأنفاسها المثلوجة..
وتكتسي الجبال، بقشرة فضية
في سماء ليالي الشتاء، تشع النجوم كالشرر،
أغنية حادي القافلة، تتردد في السهوب، لا نهاية لها.
وعلى ذرى الجبال، يخيم الضباب غيماً كثيفاً،
والعيون قد سدرت من الانبهار، وعشيتها
امتدادات من الثلج فسيحة..
قد عادت الماشية من مرعاها.
يلمع جلدها بالشعر المبلول،
ويصُفر الراعي الفتى الغض الإهاب،
يحث القطيع..
للبرد حدة وحشية، تثلج العظام
ولكن النار تتقد دائماً في العيون
عند شباب منغوليا،
ويشع نجم الدب الأكبر، على سمت الرأس -
والأجداد قد جلسوا يثرثرون ويتحدثون

إلى جانب الموقد المضطرم،
فصول السنة الأربعة
تتوالى، كلٌ إلى معاد،
والطبيعة وفية تكن الولاء،
لنغمها المتسق، طوال أحقاب الأحقاب..
تتلقى الوليد بالترحاب،
وتفضي بالشيوخ إلى مآبهم الأخير
ولكننا لا نعرف طوال آلاف السنين
ما هو الفراغ...

ومن أوزبكستان كتب الشاعر (أليسشر نافوي) الذي عاش ما بين عام ١٤٤١-١٥٠١م قصيدة بعنوان غزل يقول فيها:

- كم تحترق بحمى الفراق يدي،
حتى لأخشى أن تكتوي بها
أصابع طبيبي الحانية..
أهازيج الحب ليست نافورة،
لكنها بكاء مصير بلا أمل،
أتسمعها كيف تبكي؟
كيف تهمس في أذني بالأسى؟
ليت دفق الدموع يمضي بعيني في مجراه الجارف، بعيداً،
مظلمة لليالي الحزن، وابتسامة سخرية هي الشمس في عيني.
تتصاعد الزفرات حرّى إلى سماء مخملية معتمة..

وتقولين لي أيتها النجوم المتلألئة، نجمة إثر نجمة..

في قبة السماء:

احتمل في صمت، ما ألقي عليك من أعباء،

إني لأعرف ذلك، وأسفاه..

هل تستطيع قشة أن تحمل جبلاً وتسيره،

دون أن تتكسر؟

لا تأمن لهذا المأوى طالما انجذب إليه كثير من الهائمين،

ثم ما لبثوا فيما أسمع أن بارحوه

محزونين، انكشفت عن أعينهم الغشاوة

إن الشاعر يبعث برسالته، وعبثاً ينتظر عليها رداً،

من معذبته القاسية، الأثيرة لديه أبد الآبدين.

قصيدة للشاعرة الشابة (زولفيا) بعنوان أقبل الربيع يسأل عنك:

- بالأمطار اغتسلت أشجار الموز، وفي الفجر بدا الربيع

أوه، لقد أحببت هذه العتمة في الليل،

ولكم أحببت من الأرض المنداة رائحتها النافذة،

وأشجار المشمش وهي توشك أن تزدهر،

و طقطقة البراعم حين تتفتح عن إهابها،

أطاح الربيع بعيداً بأيام الشتاء،

وإذ تتغنى بصوت خافت أغنيتك الأثيرة

ينطلق الربيع يبحث عنك،

يتحول، لكي يجدك، إلى نسمة رقيقة،

وإلى الحدائق انسل، يبحث عنك.

وفي الغابات تفقدك وبين الأشجار،

وعلى شواطئ الأنهار وفي الصحارى الجرداء،

لكنه لم يعثر بك في أي مكان،

وإذا امتلأ سخطاً على الدنيا

مزق الهواء بصرخاته العاصفة الهوجاء.

فتصدعت الصخور وتحدرت على سفوح التلال،

سأل الشباب: أين الشاعر؟ فلم يعر الرعاة جواباً، ثم تسرب إلى بيتي المظلم، وقبّل في الغسق أطفالي،

بيد أنه لم يقدر للربيع أن يجدك،

لقد فر الربيع بعيداً وحمل حزني معه بعيداً،

لقد شدا العندليب بأغنيتك

والطبيعة وقد أيقظها الربيع العطر

اهتزت بالحياة على ذكراك....

- **أما الشاعر الجزائري (محمد ديب) فمن أشهر قصائده قصيدة (المنفى)** من مجموعته الشهيرة (أيام المنفى ولياليه):

وهي أول كتاب شعري يؤلفه (محمد ديب)، بعد رواياته الثلاث المعروفة (البيت الكبير) و(الحريق) و(مهنة النسيج) التي صور فيها الحياة البائسة التي عاشها عرب الجزائر.. أما مجموعة أشعاره، فإنها تضم عدداً من القصائد لحزينة. يقول في **قصيدة المنفى**:

- السماء تمطر، والضوضاء تتعالى في المرفأ..
لماذا أقف هنا؟ أنظر إلى السفينة البيضاء..
الأرصفة يجللها الاغبرار من جمهور راكد..
والشمس معلقة خلال الدخان،
فما عليك أن تفعل، والعذاب يمِضّك حتى النحيب
والسفينة ماضية.. وها هي المدينة..
إن الشتاء يخيم في كل مكان..
فثمة كابوس ينسج من الماء والسأم، رداء،
يمتد إلى المدينة النائية (بوردو)
والآن أين تتاح لك السكينة؟
إنه ما لا سبيل إليه، والمطر يتناثر،
مرت الظهيرة، وفجأة أقبل الظلام.
والآن أين تبحث عن ملجأ تأوي إليه؟
في السينما أم في الحانة التي تغمرها الأضواء الباهرة..
والسكارى الضائعون في الدخان وضوضاء الأحاديث،
يا للحماقة! أن يقول الإنسان هذه الكلمات وهي لا تجدي..
ويقول في إحدى قصائده:
من يبيع نفسه هذه الليلة؟
أيتها الأخوات، إن التائه يقفو آثاركن..
ويقدم لكن هذه الأزهار الفاخرة،
فتقبلنها بما عرف عنكن من الفرح
تقبلن الورد والغزل،

أين هو الحب العظيم؟ أيها الأنداد
لا تكن بخيلات بما في نفوسكن من الطيبة،
ولا متكبرات بهذا القلب الذي لا يعرف ما يفعل...

ومن هؤلاء الشعراء:

الشاعر الروسي كونستان سيمونوف

Constantin Simonov

١٩١٥-١٩٧٩

ومن أهم قصائده قصيدة (انتظريني):

إنتظريني فسوف أعود
ولكن انتظريني بكل قواك،
إنتظريني حين تغزوك بأحزانها الأمطار الصفراء،
إنتظريني عندما يخرج صيادو الثلوج،
إنتظريني عندما يكون الجو قائظاً،
عندما سوف ينتهي جميع الآخرين من الانتظار،
وقد نسوا كل ما كان بالأمس...
إنتظريني عندما تنقطع عنك الرسائل من الأبعاد،
عندما يسأم جميع الذين ينتظرون معك،
إنتظريني فسوف أعود،
فكري بأن لا تحسني الظن،

بجميع الذين يعرفون عن ظهر قلب
بأنه قد آن أوان النسيان،
باستطاعة الإبن والأم أن يعتقدا بأنني لن أعود،
ويستطيع الأصدقاء أن يملوا الانتظار،
ويجلسوا قرب النار..
يشربون الخمر نخب روحي...
إنتظريني!... لا تسرعي،وأنت معهم بارتشاف الكأس،
إنتظريني وسوف أعود
كي أختزن الموت،
وليقل كل من كانوا يتوقفون عن انتظاري،
لقد أتيحت له فرصة النجاة..
إن الذين كانوا يكفون عن انتظاري
لن يفهموا أبداً، كيف أنقذتني أنت بانتظارك
من قلب النار.
أنا وأنت وحدنا سوف نعرف،
كيف تغلبت على الموت
بكل بساطة، أنت عرفت كيف تنتظرين،
مثلما لا يفعل أي شخص آخر..

* * *

وهذه قصيدة للشاعر المجري شاندور بيتوفي

Sandor Petovi

١٨٢٣ - ١٨٥٦

- يؤرقّني خاطر واحد،
هو أن أموت في فراشي الوثير،
أو أذبل ببطء كالزهرة،
تمضغها الحشرات المجهولة.
أو انطفئ بهدوء كالشمعة،
في بهو مهجور، وهي تضيء بذبالتها،
فاحمني يا رب من مثل هذا الموت
أبعده عني
أود أن أكون مثل الشجرة،
التي تشقها البروق أو تجتثها العاصفة،
أو مثل الحجر يدفعه الرعد من القمة حتى الوادي،
رعد يترنح الكون تحت هديره

* * *

حين تهب الشعوب المكبلة المتعبة،
تهب ثائرة تحمل راياتها الدامية،

وقد نقش فوقها شعار الحياة المقدس،

حرية العالم.

تردده في نشيد غنائي،

يهتف بصداه من الشرق إلى الغرب

ويشتبك الظلم معه بالجنود الأبطال،

هناك فلأسقط في الميدان

وينساب الدم الأحمر من قلبي الثائر،

تحت صليل الفولاذ القاسي.

ورعود المدافع..

ولتكن كلماتي آخر كلمات الفرح.

ولتعدو الخيول اللاهثة، المندفعة نحو النصر،

لتعدو فوق جسدي

وتتركني حطاماً.

ولتخفق الرايات فوق أجساد الشهداء،

الذين ماتوا من أجلك كي تزدهري ،

يا حرية العالم....

* * *

وتقول الشاعرة الروسية ماريان تسفيتايفا

Maranne Tsvietavieva

أيها العابر الذي يتوجه إلي، وعيناه مطرقتان..
مثلما كنت أغض من بصري أنا أيضاً..
أيها العابر أمامي، توقف عن المسير.
قف أمامي هنيهة، وأنا أقطف شقائق النعمان،
وأجمع الياسمين.
قف واقرأ في وجهي كم كان لي من العمر،
وسلني عن الإسم الذي به أنادى.
لا تفكر أمام شيخوختي بصمت المقابر
فليس بي ما ينذر بالفناء،
لقد كنت أضحك كثيراً في الأيام الخوالي،
حين كان الضحك ممنوعاً عن الجميع.
كانت دمائي كلها تتحرك في ملامح وجهي
وكل غدائر شعري كانت تتراقص على كتفي،
فقف أيها العابر هنيهة أمامي،
لقد كنت الحياة كلها في غوابر الأيام.
لا أريد الأبدية مهما تكن رائعة،
لأنني لا أريد أن أدفن ذات يوم،
لا أريد الذهاب إلى أي مكان مجهول،
لا أريد أن أغادر أرضي الحبيبة.

إن أشد الألحان صخباً وأعنف الأنغام
ليست في مسمعي إلا همسات عشب فتي.
وكل ما في العواصف من روعة الإيقاع،
ليست في سمعي إلا زقزقة عصفور صغير.
ومهما يكن في أجنحة النسور من جمال العنفوان،
فإنها في عيني رفة هدب حزين..

باسمك أغمغم أيها الشاعر الصديق،
إنه عصفور في يدي، هذا الإسم الجميل،
إنه رحيق على لساني،
تمتمة مرهفة على شفتي،
أناديك، فما أشبه النداء
بحجر يلقى في غدير صامت،
وتهوي إلى الأعماق في انتحاب خاطف.
أناديك، فأسمع وقع خطى مجهولة،
تطرق سكون الليل ويتردد صداها في قلبي.
أهو كلمة صغيرة؟ أم قبلة على العيون؟
قبلة دافئة الحنان على أهداب باردة.
إنه جرعة من نبع ظليل، صفاء الآفاق اللازوردية.
الخفقة التي يعلن بها القلب أنه حي إلى الأبد.

قلبي يغني النشوة في كل شمس طالعة،
ينهل خمرة الضياء، لأنها الروح التي تمنحه الحياة،
إن ما ترشفون، أيها المالئون الأرض بالضوضاء،

ليس إلا الصمت الذي به تحلمون.
أية نجمة طليقة تزرع الليل بذرات التبر الوديع،
تهرع عبر الفضاء كأنها تبحث عن مكان بهيج،
أتريد السقوط؟.. أمن أجل هذا المصير الخاطف،
كنت أراها ترتعد كل مساء؟.

لقد أخذتني الأحلام إلى وديانها البعيدة،
كما يأخذ التيه خطوات الرحالة الظامئة إلى رمال الصحراء،
كما تنتزع رياح الخريف أوراق الشجر، في غفلة من عين الشمس المتوارية،
كما تجتذب الأزهار المتعددة الألوان فراشة ساذجة،
في حديقة مهجورة..
مثلما يفتح الفضاء منعطفاته الخاوية لأمواج الدخان العديدة،
مثلما تدعو الكلمات الحزينة قطرات الدمع مثقلة بالحنين.

ولكن الأحلام تمضي هي أيضاً، وآسفاه!.
دون أن تترك لنا إلا التفاتة يائسة..
ينحسر فيها الخيال عن كل عوالم الماضي النائية،
أيام كنا ننعم بالحب الطفولي، وعدم الاكتراث،
أيام كانت لنا الأغاني الصغيرة، كما تكون النجوم لصيادي البحار؛
أيام كانت حجارة الرصيف بلاداً سحرية عامرة بالمدن،

أكانت الأشياء حافلة بالحياة في أجيال الطفولة البعيدة؟
أكان العصفور يفهم ما نقول، وكانت تخاطبنا جنادب الممرات المعشبة؟.
أم أننا كنا أسرى الحلم الجميل؟..
لا هذا ولا ذاك!..
إن الهواء المرهف يستطيع أن يحرك الظلال على أقدم الجدران..
وضوء الفجر الوليد يجعل الأشباح السوداء. وجوهاً إنسانية مشرقة الملامح..
وهمسة الشعر المتواضعة تنبت في كل صدر قلباً زاخراً بالود والشهامة...
فلماذا نخاف الوهم ونحطم أجنحة الخيال..
لماذا نخشى عذاب الحنين إلى المجهول،
ونفضّل ارتعادة الصقيع، على أن نتحمل القليل من حرقة الدخان، تذروه الأحطاب الندية؟...
وما دامت الحكمة القديمة تحمل الصواب أبداً:
لا شيء يعطى مرتين، لا الحياة ولا الحب ولا براءة النفس السعيدة..
فلتكن لنا في اختلاجة القلب الحالم، متعة المرة الثانية...

* * *

قصيدة للشاعر التشيكي جاروسلاف شيفرت

إن كنت أعزف على الناي ألحاني،
فكيف يتاح لي أن أنظم الأشعار؟
هشيم من الكلمات.
ماذا تستطيع أن تفعل بها الألحان؟
التي تتراقص في كل مكان،
حتى عندما تهب الرياح الرديئة
في ليل الشتاء الطويل
أين القبر؟
إن القضبان قد توارت،
في الظلام المرير
لا، لم تتوار بعد
فما زلت أمام مقبرة سحيقة،
مستغرقاً في الأفكار..
الزمن يمضي، والحياة في جريان
وما من ذكرى تلوح على الأرض،
الأرض التي غمرها صوته الساحر
غير أنني ألمح صورة رائعة،
تلمع فيها عناقيد يانعة،

إن الذي قطعها في يوم من الأيام

كان يحلم بثغر باسم وصدر دافئ،

ذلك أن مخلب الزمن، يدمي الأشياء،

ولا بقاء إلا للألحان.

أين مضى، ذلك الطيف الجميل؟ لم نر منه أخيراً

إلا مركبة سوداء... إنهم يحملونه إلى القبر..

عندما كانت فيينا ترقص دون انقطاع. كان لحنها الجميل في طريقه إلى الأبد،

إن العصفور وحده يفارق الحياة.

على هذا النحوِ الصامت، يختار مصيره، ورأسه بين قطرات الندى،

متى رفرف بجناحيه؟ ومن أين جاء؟ وكيف أنشد ألحانه وتوارى؟

ما من أحد يذكر قصته،

حسبنا أنه ما زال بيننا، لحناً من دون جسد،

وذكرى لا يحدّها مكانْ...

حسبنا أن نعرف أنه انتزع المجد،

حتى من الذين أنكروه،

إن العصفور وحده يختار هذا المصير...

* * *

قصائد للشاعر الروسي المعاصر ميخائيل دودين

Doudine

في الشعر سؤال قديم:

لماذا الانطلاق بعيداً؟

فالقصائد تساوم جميع الأشياء

ولكنها تجهل كل شيء عدا الإيقاع الرشيق..

لقد عرفت جميع الأناشيد دون سؤال،

إلا إذا سئل الحب: لماذا تتورد الوجنات الصامتة؟

وإذا سئلت الطبيعة: كيف تنبت الأزهار؟

أعرف من الشعر هنيهاتِ الصمت والانتظار،

وانهل الكثير من ينابيع الحقيقة والأكاذيب،

ربما كنت يوماً ممن تقذفه وثبات الأساطير،

في جزر لم تطأها قدم إنسان.

الشعر هو مصيرنا جميعاً حين يملي علينا الزمن،

أن نتبادل النظرات المتألقة، ونكتم حبنا الدفين،

أن نقول: كان لنا الأمس،

وها نحن نستطيع أبداً أن نكون كما نريد،

لا نعرف من ألوان الحزن الخضيب،

إلا حسراتِ الشفاه البريئة..

في قلبي صيحتان بعيدتان،
نداءان من أعماقِ الحياة، يملآن كل الجوانح،
يغوران في الأبعاد النائية، في الزمن السحيق،
حين عرفت اليوم الأول من الحرب
كان ذلك في شبه جزيرة معروفة،
وكنت أقضي الأيام في برج قصي أكتب اليوميات
ومن البعيد يتناهى إلى سمعي الواجم
حديث القتال في زمجرة تمتلك الليل والنهار.
كان الشعر يزورني بين الجدران العتيقة،
رغم الدوي والضوضاء.
رغم جنون القنابل المحرقة،
وكنت أتبع الشعر في همساتهِ الدافئة،
أتبع خطاه في مغامرة مجهولة الآفاق،
كنت أقرأ في عينيه وميض الانتصار،
وفي قلبه الممتلئ بالشجاعة
كنت أتلو أناشيد القلب البشري،
تترنم بها الأصوات البريئة، الأصوات الخافتة
الأصوات التي تبعث الماضي من أجل الجميع..
فلتسعفني الذاكرة..

لقد رأيت الأرض تميد ويجتاحها الزلزال،
وامرأة تصرخ من الآلام،

وتضع طفلاً على جدار كهفي القديم.

ورغم النار المنتشرة والحرب الصائحة،

والضجيج المدوي يملأ كل مكان،

يتناهى إلى سمعي في وهج النهار،

نداء إنسان، أول صيحة من طفل وليد.

كان نداءًا غامراً أسبل ستار السكون

على جميع الأصوات،

حتى لكأن المياه والأحجار وجميع أناس العالم،

تسمع إيقاعه الجميل.

كان يشمخ كالسنبلة الرشيقة،

أشد نصوعاً من إشراق الضياء الجديد،

هذا الصوت الضعيف الأعزل،

هو أول نداء للحياة الأبدية.

وتمر الأعوام وتهب الرياح،

جديدة كل حين، متغيرة كل موسم،

ولكن صيحة النداء، ولكنّ فرحة الصوت الواهن،

تلبث أبداً في أعماق مصيري، كأنها خلجات قلبي.

أبداً اسمعه في جوانب العالم، ولا شيء يمحوه،

بل أسمعه أيضاً بين الثلج والضباب،

فلتصغوا إليه يا من ألفنا من البشر،

اصغوا إليه جيداً،

إن إنساناً قد وجد مع كوكبنا الأرضي.

ثقوا أنني عرفت الكثير من الحروب

ألا ترونْها ماثلة في نظراتي الشاردة؟

إن غروب الشمس ليبدو لي حريقاً في الآفاق،

واسمع في العاصفة دوي المدافع الضارية.

والأزهار اليانعة على الروابي

تبدو لعيني مصبوغة بأرجوان الدم،

فهل من الممكن أن يعرف القلب

كيف استقرّ على هذا التماثل الغريب؟

وتمضي السنوات وتتعاقب الأيام،

وفي كل ليلة هادئة، حتى هذه الهنيهة.

اسمع في البعيد نفيراً غير مألوف،

فانتفض من الرقاد في ذعر هالع.

إن أشعاري تلهث أمام الحروب

وتمشي في خطىً مثقلة بالغبار..

إنها الثلوج،

ثلوج بيضاء، انصع من البياض،

أنقى ثلوج الأرض،

ولكنها صامتة كالتنهدات.

أية ابتسامة رشيقة،
تطير بها الثلوج الجميلة
وعلى مهاجعنا تزرع زغبها الواهي،
وتلثم كل خد حالم..
أيمكن أن يمحى
ما كان متوارياً منذ هنيهة ؟
أيمكن أن تتلاشى الأحزان ؟
هذا ما تقوله اليد لليد.
فماذا تقول النجوم أيضاً.
أي مصير ينتظرنا ونحن معاً تحت الثلوج البيضاء،

إن في عينيكِ حرارةً تنبئ بالشيء الكثير،
أهي الوعود أم الذكريات!
أم أن حدائق الكرز تبيّض في الظلام،
فتحمل إلى القلب دموع الحنين.
لا، بل إنها الثلوج توشك أن تتساقط على طريقنِا الحالمة،
كما يتساقط حلم مذهب الحواشي،
كما تنهمر الألحان الجامحة دون هوادة
أنغام تصدح في ذراتِ الفضاء الخفية،
كأنها ضحكات مشرقة ،
فليغمرنا الحب بثلوجه الدافئة
وليتوّج البياض النقي أحلامنا الأنيقة،
ولتتبدد خطوات الهمومِ القاتمة في دروب النسيان،

ولتغسل أحلام الوفاء الندية كل مخاوف الظلام..
أيةً سعادة عظيمة تشرق في القلب،

إنه عصر الاكتشاف على الأرض.
إلى جانبي طائر النار،
وريشه الذهبي ينثر اللهيب..
في أرجاءِ الكون الرحيبة، بحثت عنه،
ومن أجله عرفت الأخطار واقتحمت الأهوال،
إن على الرجل أن يفعل كل شيء.
لكي يستطيع أن يمسك باللهيب.
ولكنني اقتنصت اللهيب طائراً.
وكم نسجت الأماني العذاب
حين احتفظت به سجيناً في منزلي.
ولكن واأسفاه، نسي الغناء
وزايلته النار الذهبية،
فأطلقته من جديد. فتحت له النافذة،
وقلت: امضِ أيها الطائر،
ولكن عدْ إلي بين الحين والحين،
انبئني عن الآفاقِ الرحيبة التي ارتادها جناحاك،
لأنني كائن بشري يريد الاكتشاف..
ولا سبيل له إلا الأجنحة والنار..

* * *

أما قصيدة المساكن القديمة فهي للشاعر

ليونيه مارتينوف Martynov،

يقول فيها:

- بين المساكن القديمة

بين الجدران الرمادية،

بين الأرصفة المرتفعة

تتقدم إحدى المصفحات...

وراء ستار النوافذ..

يرتجف الناس..

هذه المدافع على الطرقات..

وهذه النظرة التي لا تحيد

عما تشهد

تتراءى بها بمثل لمح البصر

أحداث الثورة ؛

إن لها أياد مغموسة بالشحم،

وأصابع مبللة بالنفط،

وعيناها ذات زرقة نافذة

عيناها زرقاوان

كل الزرقة، كأنها روسيا ....

* * *

وقصيدة ثالثة للشاعر المشهور

ستيفان شيباتشيف Chtehipatchev

وهو من ألمع شعراء الاتحاد السوفياتي المعاصرين وتحمل عنوان عائلة واحدة. يقول فيها:

- وتمضي السنون والنجوم تجري.
والظلمات الضارية تتراجع.
والرعد الهادر ما يكف يتنبأ..
بالثورة الكبرى،

ماذا يهم هنا وهناك!
هذا الدخان الدامي
ماذا يهم.. أيتها الشمس
إلمسي شعري الأبيض
من عليائك التي لا تعرف الزوال،
أن جميع الشعوب لن تكون
إلا أسرة واحدة

انني أغبطك على ذلك الزمن
الذي ترين فيه هذه الحقيقة.....

* * *

موسيقى الشعر

يعد كتاب موسيقى الشعر ومعناه، للناقد الإنكليزي المعروف (كرومي) من أهم الوثائق المعاصرة في نقد الشعر وطبيعته، وعلى الرغم من أن المؤلف قد ألح على القسم الأول من الموضوع وهو موسيقى الشعر، وعلاقة الكلمات بالجرس اللفظي، وما يمكن أن يبعثه في النفس من الانطباعات، التي تعتبر مصدر الإيحاء في الشعر، على الرغم من هذا فإن المقدمة المسهبة التي بحث فيها الكاتب عن طبيعة الشعر ونشأته، هي ذات أهمية كبرى بالنسبة للنقد الأدبي..

يقول:

-منذ أقدم عهود التاريخ كان الشعر يتمثل في التزام الوزن، في القصيدة الواحدة، أو بتعبير آخر إن البيت كان العمود الفقري للأداء الشعري.. والحقيقة أنه ليس كل ما يكتب في أبيات شعرية هو شعر، كما أن الشعر لا يقتضي دائماً أن يكون في أبيات وأوزان،.. بل إن صفحات رائعة من الشعر الذي يملأ النفس، وردت في سياق نثري، لا أثر فيه لالتزام الوزن.. ومن منا يستطيع أن ينكر الهيمنة الشعرية العميقة التي نذعن لها، مثلاً، أمام كلمات المسيح..

ويلاحظ الكاتب أن هذه الحقيقة تطرح أمامنا مشكلة الموسيقى في الكلمات، فلا ريب أن الإيحاء العاطفي الذي يمكن أن يبعثه الشعر، سواء أكان في أبيات أم كان نثراً، يرجع إلى سحر الألفاظ.. واللفظة في نظر هذا الكتاب لها قيمة خاصة بذاتها، لا لأن الألفاظ ذات جرس يلامس السمع ويستهوي القلب لأول وهلة.. بل لأن اللفظة هي ذات معنى.. يقول:

- تلك هي الحقيقة، إذا ذهب المعنى ذهب الشعر، إن الموسيقى تكون جديرة بالنسبة للنفس البشرية، عندما تحمل صورة معبرة، أو عاطفة إنسانية، أو فكرة تتغلغل في الأعماق.. ولكن هذا لا يعني أن المعنى هو الشعر، فالمعروف أن جميع الكلمات التي نتخاطب بها، هي ذات معان، فلابد إذن من أن تكون معاني الكلمات في الشعر، شيئاً آخر، غير المعاني المألوفة، وبتعبير آخر لابد من أن تكون دلالات الكلمات الشعرية أوسع مدى وأرحب أفقاً من المعاني العادية..

- ويتابع الكاتب تحليل الدلالات التي تنطوي عليها الكلمة في الشعر، فيرى أن فهم المعاني التي يقصد إليها الشاعر، لا تعني تذوق الشعر كفنّ.. فإذا كان الوزن ليس ضرورة شعرية بذاته، وكان الأسلوب الشعري طليقاً من القواعد التي ألفنا أن نراها أساساً للشعر.. إذا كان هذا، فإن وظيفة الشاعر في الحقيقة لا يمكن أن تتمثل في وصف الأشياء أو إثارة الأفكار أو الخيال، بل أن وظيفة الشعر الأساسية هي أن تتيح لنا - نحن جماهير الناس - أن نتمثل جميع الأشياء التي نعيشها تمثلاً ذاتياً.. ويوضح الكاتب ذلك بقوله:

إن الألفاظ والصور هي رموز لتجربة عاشها الشاعر.. ولكي نحس الشعر في القصيدة ونتمثله حقاً، لابد من أن نشارك الشاعر هذه التجربة، وهي مشاركة صعبة، ذلك أن نقل المشاعر لا يكفي بل ينبغي أن تهيمن هذه المشاعر على النفوس، على نحو يجعل كل إنسان في مستوى اليقظة الفنية التي صدرت عنها تجربة الشاعر، ومن ثم كانت أزمة الشعر في عصرنا الحاضر.. إن شروط الحياة المعاصرة تعرقل كل يقظة من هذا القبيل، ولذا فإن الشعر هو في تقهقر دائم..

- ثم يتساءل الكاتب عن العصر الأساسي الذي أشار إليه، واعتبره نقطة الانطلاق في الفن الشعري: ما هي التجربة الشعرية؟ ولكي يجيب على هذا السؤال يتناول الإنتاج الشعري في واقعه الحي. فيلاحظ أن هناك ثلاثة مظاهر للأداء الشعري: الشعر الغنائي والشعر المسرحي، وشعر الملاحم، ويقول:

- غير أن الفروق بين هذه الفنون الشعرية ليست كبيرة، فقد نجد ظلالاً للشعر الغنائي في شعر الملاحم، كما يمكن أن نجد طابع الروح المسرحية في الشعر الغنائي أيضاً.. ولذا فإننا نستطيع أن نتبين نوعين من الشعر فحسب: الغنائي والقصصي الذي يشتمل المرح والملحمة. والشعر الغنائي في الواقع هو الشكل الذاتي للتعبير عن التجربة الشعرية، إنه رؤيا خاصة، يحاول الشاعر أن يوقظها في نفوس الآخرين، وليس له من هدف آخر.. ومن ثم فإنه يعتمد على اللفظة والإيقاع، أكثر مما يعتمد عليه الشاعر القصصي.

ويتناول الكاتب قضية الشعر القصصي فيلاحظ أن هذا اللون من الشعر، المسرح والملحمة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجربة الإنسانية في صورتها العامة، ذلك أنه يعتمد على الحوادث والتاريخ، ويعني بالتاريخ في هذا المجال (حياة الإنسان خلال الزمن) ويقول:

- على الرغم من الروح الغنائية الفذة في شعر الملاحم مثلاً، كما تمثله الألياذة والأوديسة، فإن هذا اللون من الشعر القصصي لا يرتبط بالشاعر بمقدار ما يرتبط بتجارب الإنسان بصورة عامة.. وإذا كان هناك ما يجعلنا في انتقال حقيقي أمام هذا الشعر، فهو أن الشاعر حين يتناول القصة المسرحية، أو الحادثة الحية، إنما يثير فينا الشعور، بأننا على جانب من الأهمية باعتبارنا أحياء، نعيش في عالم لا ندركه تماماً، ولابد من نور غير عادي، يقشع عن عيوننا، ضباب العادة والتكرار، ويعلمنا كيف نتذوق حياتنا على نحو أجمل وأغنى،. وأفضل مثال على ذلك هذه القصيدة:

- إنني أقول في غمغمات مرحة: مهما يكن العالم دخيلاً على ما نريد، مهما يبدو لنا بعيداً عن الخير والسعادة والصواب،

فإنه يلبث أبداً أجمل العالمين.. وتلك هي كلمة الحب الأولى..

ومن هذا الإحساس، من هذه الفكرة انطلق في الحياة..

وأنا أعرف أنه لا شيء بعد ذلك يمكن أن يزعزع طمأنينة قلبي..

لا الشكوك التي تدين كل شيء، ولا المخاوف الصغيرة، لأنني أؤمن بأن النظرة العميقة تستطيع أن تنفذ إلى سر الطبيعة،

وأن جميع الأشياء تحيا حياة خالدة..

وأن الموت نفسه ليس إلا صديقاً للقلوب العامرة بالود، بل هو مجرد وهم لا جدوى من التفكير فيه..

تلك هي سعادتي الحقة: أن أبدد أيام حياتي،

في هذا المزيج المتشابك من الفرح والعذاب،

تنمو فيه توابل الحياة، وينبت زهر الأحاسيس،

وتستيقظ شهوة الفكر، فتظلل كل إحساس بصفاء الحكمة،

ولكن النار باقية في نبضات الفروق،

فما كان لأحلامي أن تقبل في موعد جميل،

ما كان لي أن أحطم أشواك الحنين التي تدمي الجوانح،

أو أخمد هذا الشوق الوديع في ظلال الهجران الباردة.

لا.. لم يكن حنيني إلى لقياك فحسب، كما يفعل المحبون،

بل إنها جذوة غريبة من العواطف والذكريات..

تحملني أبداً على أن أراك كل يوم من العمر،

فإذا كانت الحياة واحدة، والشمس التي تشرق وتغيب، هي نفسها شمس كل نهار..

فكيف لا أبتهل إليك أن تكوني المغامرة الوحيدة في حكاية القلب.

بكل ما فيها من الهمسات والألوان والرعشات..

أن تكوني الإرادة النهمة والرغبة التي لا تعرف الاكتفاء،

أن تقتنصي كل هنيهة من تيار السنوات السريع،
لأن الزمن سجان عابث، لا تفلت منه الأويقات العذبة،
إلا إذا سقيناه الكأس حتى الثمالة..

ولكن الكلمات، واأسفاه! قلقة باهتة في غمرة الأماني،
أعلي أن أعيد همسات البوح في كل لحظة؟
أن أمجد هذه العاطفة في كل مطلع شمس؟
أن أوقع كل مساء لحن اللقاء الأول؟
كما لو أن الحب لا يقف على قدميه إلا بالبراهين؟
كما لو أن زهراته المرهفة لا تتنفس إلا مع الندى البليل؟
فليكن؟ إن الخيال ليزداد جموحاً، والرغبات لا تخلد إلى السكون،
وهل في الحب إلا الانتظار المتطلع إلى الأبعاد؟
هل تحتمل عليه أن يتوقع الحياة أبداً من دون أمل؟
ولكن كل فكرة من أفكاري، تنبت وتنمو، وتعطي ثمارها اليافعة..
كل ذكرى تخيم على وجودي، كما تخيم قبة السماء الرحيبة
وأسأل نفسي في غمرة من الوجد الراعش:
أهناك أشياء أخرى تحتل الأمكنة وتحمل الألوان،
أهناك ما يقوى على الحركة دون لمسة الحب المشرقة؟
لا.. ليس في الوجود إلا هذا العالم الحقيقي.
إن ما يضيئه القلب هو الذي نلمسه ونراه.
وكل شيء دونه يتبعثر أشتاتاً في فراغ النسيان..
كل شيء.. حتى الزمن..

أليس لنا إذن أن نقدس الوفاء،
أن يتبع أحدنا الآخر إلى أغوار الفناء!
كما تُرغم التقاليد القدسية نساء الهنود،
إلى أن يتبعن أزواجهن إلى ظلام القبر.

أليس لنا أن نرتقب معاً ذلك اليوم السحري،
الذي نصبح فيه زهرتين في غصن واحد..
أو ورقتين وادعتين في زهرة أنيقة؟
ألا تذكرين أيام الغراس الضاحكة،
نحين ألقينا أولى البذور..
أيام أحسسنا الجذور الفتية تتشعب في جوانحنا؟
كما لو أنها عاشت منذ مائة عام...

لقد عرفنا الكثير من الجراح الصغيرة والهموم المتعبة
واستطاعت الأقاويل أن توردنا القطيعة الخرساء،
وكان لنا الارتياب القاسي، وساعات الفتور الشاحبة،
ولكن وجودنا معاً كان حقيقة أكثر من كل شيء...
كنا نعرف أن الألم العميق، يصبح عابراً في تنهدات المحبين..
ليعود بعد حين في إيقاع الألفة العائدة..

* * *

n

الصفحة

كلمة ٥
مدخل ٧
الشاعر الروسي ألكسندر بوشكين ١١
الشاعر الفرنسي لويس آراغون ١٩
الشاعر اليوناني نيكوس كازانتزاكي ٢٤
الشاعر النرويجي هنريك إبسن ٢٩
الشاعر الإيطالي غابرييل دانونزيو ٣٥
الشاعر الروسي فلاديمير ماياكوفسكي ٣٨
الشاعر الأمريكي ت. س. اليوت ٤٦
الشاعر الروسي بوريس باسترناك ٥٧
الشاعر الإنكليزي د. هـ. لورانس ٦٤
الشاعر الفرنسي بول ايلوار ٦٩
الشاعر الأمريكي ادغار ألن بو ٧٧
الشاعر البلجيكي موريس ماترلنيك ٨٠
الشاعر الإنكليزي روبرت براونينغ ٨٨

الصفحة

الشاعر الإيطالي سيزار بافيزي ٩٣
الشاعرة النروجية سيغريد اوندست ١٠٠
الشاعر الفرنسي ماكس جاكوب ١٠٨
الشاعرة العربية مي زيادة ١١٤
الشاعر جول سوبرفيل من الأورغواي ١١٩
الشاعر الفرنسي بيير لويس ١٢٥
الشاعر الألماني جاك بول ريختر ١٢٩
الشاعر الفرنسي رينيه شار ١٣٣
ريكاردو بازيرو شاعر من الأورغواي ١٣٦
الشاعر الفرنسي لويس فودوايه ١٤٠
الشاعر السويسري بليز ساندرار ١٤٣
الشاعر الإيطالي أوجينو مونتالي ١٤٨
الشاعر اليوناني يانيس ريتسوس ١٥٤
الشاعرة الإنكليزية أميلي برونتي ١٦١
الشاعر الفرنسي جورج دوهاميل ١٦٦
الشاعر الأمريكي روبرت فروست ١٧٠
الشاعر الإنكليزي وليم وودورث ١٧٦
الشاعرة الفرنسية كونتس دو نواي ١٨١
الشاعر البريطاني وليم بليك ١٨٥
الشاعر الفرنسي جول رومان ١٩٢
الشاعرة الإسبانية جوانا دو أسباج ١٩٦
الشاعرة الأمريكية اميلي دكنسون ٢٠٢
الشاعر الغنائي اليوناني بندار ٢٠٦

الصفحة

الشاعرة الفرنسية مدام جيرار دوفيل ٢١٠

الشاعر السوفياتي فلاديمير لوغوفسكي ٢١٦

الشاعر الفرنسي فرناند غريغ ٢٢٠

الشاعرة الإيطالية كريستينيا روزيتي ٢٢٤

الشاعر الفرنسي بنجامان بيريه ٢٢٩

الشاعرة الفرنسية مدام دوستايل ٢٣٥

الشاعر البلغاري نيكولا فابتساروف ٢٣٩

الشاعرة الفرنسية جيرمين بومون ٢٤٢

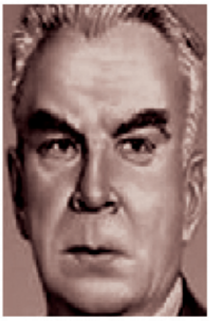
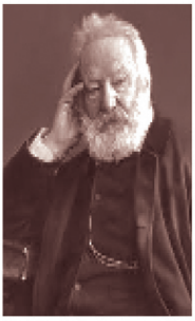
الشعر الفنلندي والسويدي ٢٤٨

شعراء من أفريقيا ومن آسيا ٢٥٣

موسيقى الشعر ٢٧٩

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة











www.syrbook.gov.sy
مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م

سعر النسخة ٢١٠ ل.س أو ما يعادلها